

الملاحم الأدبية في "أبجد العلوم" لنواب صديق حسن خان
القنّوجي- دراسة تحليلية
(نسخة منقحة)

أطروحة مقدمة إلى جامعة كالكوت
لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

قدمها

ذو الفقار م.

بإشراف

الأستاذ الدكتور. عبده. بي

رئيس قسم اللغة والدراسات العربية سابقا،
كلية السانسكريتية الحكومية، بتامبي، ومشرف البحوث
قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
كلية أم إي إس ممباد (حكم ذاتي) ملابرام، كيرالا، الهند



جامعة كالكوت

كيرالا، الهند

2026

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والديّ العزيزين، رمزي الحبّ والعطاء والدعاء،
إلى زوجتي وأبنائي وأقاربي، منابع السكن والمودة والمحبة،
إلى مشرفي وأساتذتي الأجلّاء، مشاعل العلم والتوجيه والإرشاد،
إلى أصدقائي الأوفياء، عناوين الدّعم والوفاء والإخلاص،
وإلى كل من أسهم في هذا البحث ولوبكلمة، وساعدني وشدّ من أزمي،
أهدي إليهم خالص شكري وامتناني.

المحتويات

٢	الإهداء
١١	المقدمة
١١	أهمية الموضوع
١٣	تحليل العنوان
١٤	دوافع البحث
١٤	الدراسات السابقة
١٥	أهداف البحث
١٥	إشكالية البحث
١٥	منهج البحث
١٦	جمع المعلومات
١٦	تبويب البحث

الباب الأول: صديق حسن خان القنوجي وموسوعيته في العلوم والفنون ٢٠

مقدمة الباب الأول ٢٠

الفصل الأول: الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية في الهند خلال القرن

التاسع عشر ٢٢

٢٢ الهند وما يتعلق بها

٢٣ روضة الديانات

٢٥ علاقة الهند بالعرب

٢٧ الأحوال السياسية

٣١ الأحوال الاجتماعية

٣٣ الأحوال الدينية والعلمية

٣٤ انتشار اللغة العربية وآدابها

الفصل الثاني: السيرة الذاتية للنواب صديق حسن خان القنوجي ٣٦

٣٦ اسمه وكنيته ولقبه

٣٧ نسبه وعائلته

٤١ مولده ونشأته

٤٣	مطالعة الكتب الأولية
٤٥	الرحلات العلمية
٤٩	الفصل الثالث: انتقاله إلى إمارة بهوبال وتأسيسه للرقابة الحكومية
٥٠	النواب دوست محمد خان
٥٦	جهود الأمير للوظائف الاقتصادية
٥٩	تعيين الأمير في مناصب عالية
٦٠	زواجه لأميرة شاه جهان بيكم
٦٤	الفصل الرابع: التقولات والوشايات بحقه، وموقفها من الحقيقة
٦٩	حقيقة الافتراءات
٧١	مواجهة الابتلاء والمحن والصبر عليها
٧٣	مرض الاستسقاء ووفاته
٧٤	الاعتراف والتقدير
٧٥	أولاد الأمير وأحفاده
٧٨	الباب الثاني: موسوعة 'أبجد العلوم' ومؤلفاته المشهورة
٧٨	مقدمة الباب الثاني
٧٩	الفصل الأول: الموسوعة وأهميتها في السياق العلمي والثقافي

٧٩	أهمية الموسوعة وفوائدها
٨٢	الموسوعة الإلكترونية
٨٢	أشهر الموسوعات العالمية
٨٣	مميزات الموسوعة وخصائصها
٨٤	الموسوعيون
٨٥	الموسوعات في اللغة العربية
٨٧	تطور الموسوعة العربية في الهند
٨٩	الفصل الثاني: عرض تحليلي لموسوعة 'أبجد العلوم'
٨٩	سبب التسمية
٩١	دوافع التأليف
٩٣	البصمة الأسلوبية في أبجد العلوم
٩٤	منهج التأليف والتنصيب
٩٧	أهمية أبجد العلوم
٩٨	محتويات الكتاب
٩٨	الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم
١٠١	السحاب المركوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم

١٠٣

الرحيق المختوم ومن تراجم أئمة العلوم

الفصل الثالث: المواضيع المتداولة في أعماله باللغات الثلاث:

١٠٩

العربية، الأردية، والفارسية

١١١

مؤلفاته العربية

١١٥

مؤلفاته الأردية

١٢٢

مؤلفاته الفارسية

١٢٤

مؤلفاته في الأردية والفارسية

الفصل الرابع: تفنيد الشبهات المثارة حول مؤلفاته، وبيان الحقائق المتعلقة بها

١٢٧

مهارة التأليف ومنهجه

١٢٨

التسهيلات الأساسية

١٢٨

الاعتراف والقبول

١٢٩

خصائص التأليف

١٣٢

الباب الثالث: المحسنات البلاغية في موسوعة 'أبجد العلوم'

١٣٣

مقدمة الباب الثالث

١٣٤

الفصل الأول: الاقتباس

١٣٦

الاقتباس من القرآن الكريم

١٥٠	الاقتباس من الأحاديث النبوية
١٥٢	الاقتباس من الأشعار العربية
١٥٣	الفصل الثاني: الطباق
١٥٣	الطباق في اللغة والاصطلاح
١٥٤	أقسام الطباق
١٥٤	الطباق في أبجد العلوم
١٥٧	الفصل الثالث: السجع
١٥٧	السجع في أبجد العلوم
١٦٨	الفصل الرابع: التشبيه
١٧١	التشبيه في ترجمة الحياة
١٧٣	التشبيه في الشعر والمنظومة
١٧٦	الفصل الخامس: الاستعارة
١٧٦	تعريف الاستعارة لغة واصطلاحاً
١٧٧	الاستعارة في أبجد العلوم
١٨٤	الباب الرابع: النصوص الأدبية في 'أبجد العلوم'
١٨٥	مقدمة الباب الرابع

١٨٦	الفصل الأول: الأشعار الواردة في 'أبجد العلوم'
١٩٥	الأداء التعبيري في شعره:
١٩٥	التضمين
١٩٦	التشبيه
١٩٧	مظاهر الصور التقليدية
١٩٧	الأماكن التاريخية والشخصيات التراثية
١٩٨	أغراض الشعر:
١٩٨	المدح
١٩٩	الثناء
٢٠٢	الفصل الثاني: الخصائص الفنية في الحكم والأمثال ضمن الموسوعة
٢٠٤	الحكم من الحديث النبوي
٢٠٥	حكم الفلاسفة والعلماء
٢٠٩	الأمثال
٢١٣	الفصل الثالث: جماليات التوظيف الاستشهادي في النصوص
٢١٤	الشواهد القرآنية
٢١٥	شواهد الأحاديث النبوية
٢١٨	الشواهد الشعرية

٢١٨

الشواهد من الحكم والأمثال

٢٢٠

خاتمة البحث

٢٢١

عرض لأهم نتائج البحث

٢٢٢

الاقتراحات والتوصيات

٢٢٣

ثبت المصادر والمراجع

المقدمة

الحمد لله الذي بحمده تتم كل رسالة ومقالة، والصلاة والسلام على محمد المصطفى صاحب النبوة والرسالة، وعلى آله وأصحابه الهادين من الضلالة. أما بعد: فهذه أطروحة علمية قدمها الباحث إلى جامعة كاليفورنيا، لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة في اللغة العربية وآدابها، تحت إشراف الدكتور ب. عبده رئيس قسم اللغة العربية سابقا في كلية سري نيلكندا كلية سنسكريتية ببنامبي.

١- أهمية الموضوع

فمما لا شك فيه أن الأدب عالم مفتوح، يجري فيه خيال الأديب، واللغة العربية من أعرق اللغات الإنسانية في الأدب، وهي حافلة بتراث أدبي وعلمي عريق، ولها دور حاسم في نشر العلم وتنمية الأدب، حيث بذرت العلوم والفنون بين الحضارات، وانتشرت من موطنها الأصلي في شبه الجزيرة العربية إلى أصقاع العالم كافة.

ولعل من أظهر المناطق التي شهدت بث اللغة العربية وآدابها، شبه القارة الهندية، التي لعبت دورا حيويا ومحوريا في الحفاظ على اللغة العربية وتنميتها؛ حيث كان العلماء الهنود من بين أغزر الشخصيات العلمية التي ساهمت في دعم اللغة العربية، حيث أسهموا في تأليف العديد من الكتب والموسوعات حاوية العلوم الإسلامية والفنون المتنوعة، مع الالتزام بجماليات اللغة العربية وأصالة أدبها الخالص.

ومن بين هؤلاء العلماء النابغين و الرواد المصلحين يلمع اسم صديق حسن خان القنوجي، الذي يعتبر أحد أشهر أعلام الهند في القرن التاسع عشر، حيث امتاز القنوجي بغزارة إنتاجه العلمي والأدبي ودقة منهجه الفريد في التأليف والأدب والإبداع، وتكريس حياته ووقته ومنصبه الرسمي لخدمة اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتوسيع دائرة المعرفة من خلال مؤلفاته المتنوعة التي تلقتها الأمة بالقبول والإشادة، ومن أبرزها موسوعته الشهيرة بـ (أبجد العلوم).

تعتبر موسوعة أبجد العلوم إحدى أبرز أعمال صديق حسن خان وأحسنها، حيث تضمنت على عدد من العلوم والفنون فضلا عن احتوائها على ملاح أدبية رائعة تعكس ثراء الأسلوب وبلاغة التعبير في تلك الفترة الزمنية النيرة.

ولم تكن هذه الموسوعة مجرد مصدر علمي وفني، بل كانت عملا أدبيا يبرز عن مهارة المؤلف وعبقريته في استخدام اللغة العربية. ومحاولته تطويعها لخدمة العلم والأدب معا، مع الحفاظ على الأسلوب الأدبي الرفيع الذي يعكس ذائقته اللغوية وعمق فهمه للغة العربية وآدابها.

كما اشتملت تلك الموسوعة الزاخرة العديد من المعلومات الدينية والتاريخية واللغوية والأدبية، وقد وظف فيها صديق حسن خان أدواته اللغوية ببراعة ليمنح النصوص عمقا معرفيا وجمالا خلاّبا، إذ لم يكن هدف القنوجي تقديم المعرفة العلمية فحسب، بل أراد أن يجعل لغة الموسوعة، بأسلوبها البليغ وسلاستها، نافذة تعكس عظمة الحضارة الإسلامية وثرائها الأدبي. مع أنّه أراد أن يجعلها في قالب أدبيّ بديع يجمع بين الفائدة والمتعة.

يهدف هذا البحث إلى تقديم تحليل دقيق للملاح الأدبية التي تميز موسوعة 'أبجد العلوم' من خلال استعراض الأساليب البلاغية، والصور الجمالية، وبنية النصوص التي أبدعها القنوجي.

كما تسعى إلى إظهار إسهاماته في تغذية العلوم والفنون بأسلوب يجمع بين العلمية والجمال الأدبي.

٢- تحليل العنوان:

الملاح الأدبية في 'أبجد العلوم' لنواب صديق حسن خان القنوجي: دراسة تحليلية

(المَلَمَح) في اللغة: صيغة إفرادية مشتقة على وزن مَفْعَل مَلَمَحٌ جمعه مَلَامِحٌ. وقد جاء في لسان العرب: "لَمَحَ إليه، يَلْمَحُ لَمَحًا وَلَمَحًا، بمعنى اختلس النَّظْرَ، وَاللَّمَحَةُ، والنَّظْرَةُ بالعجلة 'كلمح البصر' الفرّاء قال كخطفة بالبصر، وقيل لا يكون اللَّمَحُ إلّا من بعيد، وقولهم لأُرِينَكْ لَمَحًا باصرا، أي أمرا واضحا." ^١ وفي الاصطلاح: اللّمح معناه الملاحظة، والمقصود به الإشارة إلى العلم المنقول. (الأدبية) نسبة إلى الأدب، أي: الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين.

(في أبجد العلوم) أي: موسوعة أبجد العلوم، للنواب صديق حسن خان القنوجي، الذي ألف هذه الموسوعة.

(دراسة) مصدر من درس، يدرس، أدرس الكتاب درسا أي ذلّته لكثرة قراءته حتى خف حفظه عليه.

(تحليلية) مصدر من حلل، أي حاول معرفة عناصرها وخصائصها، وبين أفكار النص الأدبي ودلالة معانيه، والمراد بـ 'دراسة تحليلية'. إنّ هذا البحث مشتمل على الدراسة تحليل العناصر المختلفة لموسوعة أبجد العلوم.

^١ ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مج ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ ص ٣٥٦

٣-دوافع البحث:

١. الرغبة الشخصية في مطالعة الكتب الموسوعية.
٢. حب الباحث لاكتشاف موسوعة (أبجد العلوم) للعلامة النواب صديق حسن خان القنوجي.
٣. الرغبة في اكتشاف مميزات أسلوب المؤلف الأدبي في الموسوعة، وتحليل الموسوعة وآدابها.

٤-الدراسات السابقة:

هناك بعض البحوث والدراسات التي سبقت دراستي عن الأمير صديق حسن خان وموسوعته 'أبجد العلوم' ومنها:

١. دراسة في كتاب أبجد العلوم لصديق حسن خان القنوجي، رخسار أحمد، أقلام الهند، مجلة إلكترونية فصلية محكمة، السنة الرابعة، العدد الرابع (أكتوبر - ديسمبر ٢٠١٩ . <https://www.aqlamalhind.com>

٢. في تاريخ أعلام الهند، أبجد العلوم لنواب صديق حسن خان القنوجي، أ. كاشف جمال : باحث هندي في مركز الدراسات العربية والإفريقية في جامعة جواهر لال نهرو-نيو دلهي - الهند <https://diea.net/43742/> اطلع عليها ١٢ / ٠٨ / ٢٠٢٥ م

٣. مساهمة النواب سيد صديق حسن خان في الأدب العربي: دراسة تحليلية 'لعبيد الرحمن مركز الدراسات العربية والإفريقية مدرسة دراسة الأدب والثقافة واللغات جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي - عام ٢٠٠٣ م

٤. الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، الدكتور محمد اجتباء الندوي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت ١٩٩٩ م

٥. الأمير صديق حسن خان، وجهوده في الأدب العربي، الدكتور سعد الله المحمدي، مملكة البحرين (بحث علمي مقدم لنيل درجة الماجستير غير مطبوع).

٥-أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق عدد من الأهداف بفضل الله تعالى ومنها:

١. استخراج النصوص الأدبية من موسوعة أبجد العلوم وتحليلها تحليلًا أدبيًا بما يناسب المقام.

٢. استعراض العناصر البلاغية والجمالية في أبجد العلوم.

٣. إبراز منهج الموسوعة والتعرّف على ميزاتها.

٤. إظهار حقائق التهم والأوهام الموجهة لصديق حسن خان القنوجي ومناقشتها مناقشة علمية.

٥. تحليل الأسلوب العلمي الرصين في أبجد العلوم وجمالية اللغة والأسلوب.

٦. التعرف على مساهمات صديق حسن خان القنوجي في الأدب واللغة والعلوم والفنون.

٦-إشكالية البحث:

كيف نقيّم الملاح الأدبية والأسلوب العلمي في موسوعة أبجد العلوم؟ هل نجح الكاتب في دمج الجمالية الأدبية في أعماله العلمية؟

وما هي ميزات أبجد العلوم وسماته الأدبية البارزة؟ وكيف استطاع المؤلف أن يعبر بالأسلوب الأدبي عن العلوم والفنون؟ وكيف تتفوّق موسوعة أبجد العلوم على غيرها من الموسوعات؟

٧-منهج البحث

اتبع الباحث في هذا البحث المنهج التحليلي الوصفي، للوصول إلى أهداف البحث المقصودة.

قام الباحث بجمع المعلومات والدراسات والبحوث عن موسوعة أبجد العلوم، وقام بدراستها مفصلة و تحليلها عن منهجه وأسلوبه وميزاته، واستخراج منها أيضا الملاح الأديبية و المحسنات البلاغية من حيث الاقتباس، والطباق، والسجع، والتشبيه، والاستعارة وغيرها التي عالجهها صديق حسن خان القنوجي في الأعمال.

٨- جمع المعلومات

حاول الباحث جمع المعلومات المتعلقة بأبجد العلوم، ودراسته ومباحثه، واطلع على بحوث متعدّدة عن الكاتب ومؤلفاته، والمصادر والمراجع والبحوث والكتب والرسالات وغيرها المتعلقة بالموضوع، كما جمع من المواقع والقنوات التي تعالج هذا الموضوع، ومن المقابلات مع المتخصّصين في الموضوع. وقام الباحث باستقراء المعلومات وتحليلها مفصلا حتى وصل إلى استخلاص النتائج بفضل الله تعالى وتوفيقه ومنّه وكرمه.

٩-تبويب البحث:

الباب الأول: صديق حسن خان القنوجي وموسوعيّته في العلوم والفنون.

هذا الباب مقسم إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: يناقش عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية في الهند خلال القرن التاسع عشر، الفصل الثاني: السيرة الذاتية للنواب صديق حسن خان القنوجي، الفصل الثالث: انتقاله إلى إمارة بهوبال وتأسيسه للرقابة الحكومية، الفصل الرابع: التقولات والوشايات بحقه، وموقفها من الحقيقة

الباب الثاني: موسوعة 'أبجد العلوم' ومؤلفات مشهورة.

هذا الباب مقسم إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: الموسوعة وأهميتها في السياق العلمي والثقافي، والفصل الثاني: عرض تحليلي لموسوعة 'أبجد العلوم' والفصل الثالث: الموضوعات المتداولة في مؤلفات صديق حسن خان، باللغات الثلاث: العربية، الأردية، والفارسية. والفصل الرابع: تفنيد الشبهات المثارة حول مؤلفاته، وبيان الحقائق المتعلقة بها.

الباب الثالث: المحسنات البلاغية في موسوعة 'أبجد العلوم'

هذا الباب مقسم إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: يناقش فيه الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والأشعار، والفصل الثاني: الطباق، والفصل الثالث: السجع، والفصل الرابع: التشبيه، والفصل الخامس: الاستعارة

الباب الرابع: النصوص الأدبية في 'أبجد العلوم'

هذا الباب مقسم إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: يبحث عن الأشعار الواردة في 'أبجد العلوم' والفصل الثاني: الخصائص الفنية في الحكم والأمثال ضمن الموسوعة، والفصل الثالث: جماليات التوظيف الاستشهادي في النصوص.

يشتمل البحث على مقدمة، وأربعة أبواب، وخاتمة. كما تمت الإشارة إليه في بداية البحث.

الشكر والامتنان

يتقدّم الباحث بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى جميع من أسهموا بمساعداتهم القيّمة في إنجاز هذا البحث وإخراجه إلى حيّز الوجود. وفي مقدّمهم إلى المشرف العزيز فضيلة الدكتور عبده، على تفضّله بالإشراف على هذا البحث، وما بذله من جهود مشكورة في حسن التوجيه وسديد الإرشاد، فله جزيل الشكر وعظيم الامتنان. كما يتقدّم بجزيل الشكر إلى أساتذة قسم اللغة العربية بكلية أم إي أس ممباد (الحكم الذاتي). ويخص بالذكر لدكتور فردوس مون، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، وإلى الدكتور سعد الله المحمدي، المتخصص في أدب شبه القارة الهندية، وعضو اللجنة العلمية في جمعية التربية الإسلامية بمملكة البحرين، لما أتاحه للباحث من الاطلاع على بعض بحوثه المتعلقة بالشيخ صديق حسن خان، والتي أفادت هذا البحث كثير.

ويتوجّه بالشكر إلى الدكتور محمد إدريس، الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية بجامعة لكنؤ، لما أبداه من ملاحظات علمية بناءة، وما لفت إليه من نقاط مهمّة تخدم موضوع البحث. كما لا يفوت الباحث أن يشكر المشرف المساعد الدكتور منصور أمين، والدكتور سابق م. ك، والدكتور محمد مصطفى سي. بي، والشيخ ي. عبده الندوي، وغيرهم ممن كان لتوجيهاتهم ودعمهم أثر واضح في إنجاز هذا العمل.

وفي الختام، يتقدّم الباحث بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم بالرأي أو المشورة، أو دلّ على مصدر أو بحث أو كتاب أسهم في تقوية هذا البحث وإثرائه، سائلا الله تعالى أن يجزيهم جميعا خير الجزاء، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

الباب الأول

صديق حسن خان القنوجي وموسوعيته في العلوم والفنون

- الفصل الأول: الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية في الهند خلال القرن التاسع عشر
- الفصل الثاني: السيرة الذاتية للنواب صديق حسن خان القنوجي
- الفصل الثالث: انتقاله إلى إمارة بهوبال وتأسيسه للرقابة الحكومية
- الفصل الرابع: التقولات والوشايات بحقه، وموقفها من الحقيقة

الباب الأول

صديق حسن خان القنوءف وموسوعففة فف العلوم والفنون

قابلف الهند فف القرن الفاسع عشر أوضاعا معقفة على الصعف السفسافة والاجفماعفة والاففنة والثقافة، فف فزافن ضعف الحكم الإسلامف مع فصاعف النفوذ الاسفعمارف البرفطافف، الأمر الفف أاف إلى فراجع اور العلماء والمؤسساء الإسلامفة الفقلففة، وانفشار العقائف الباطلة والانقساماف المذهبفة. وفف هفا السفاف الملف بالففائف والعقباف، ظهر عفف من العلماء والمصلففن الففن سعوا إلى ففففف الففن وبثّ الوعف فف المجمع، وكان من أبرزهم صديق حسن خان القنوءف، الفف فمفز بأعماله العلمف وفكره الشامل.

فعفر النواب صديق حسن خان القنوءف من أبرز أعلام الهند فف القرن الفاسع عشر، ذاع صففه فف الأفاف بموسوعففه العلمفة وسعة معارفه فف مففلف المفافاف الشرعفة واللغوفة والأففة والعقلفة وغيرها. وفطلق وصف 'الموسوعي' على العالم الفف لا فقتصر فف دراسفه وفألففه على مجال علمف واهف، نشأ القنوءف فف أسرة علمفة ففواضعة، وفلقف ففلفمه الأولى فف موطنه، ثم ارفل فف طلب العلم فف فاف مكانة رففةة بفن علماء عصره. وفف امتاز بسعة الاطلاع، وغازرة الإنفاج، وفضلعه فف علوم العقفة والحفف والففسفر واللغة والمنطق والأفب وغيرها. وكان ذا شخصفة علمفة مسفقلة، لا ففبع الفقلف الأعف، بل فرجع إلى النصوص وفجفهد فف فهمها، مما جعله موضع اهتمام، وأثار فوله فففرا من الففل والخصومة بفن علماء عصره ومصره.

وقد مهدت له فرصة ذهبية وتسهيلات أساسية بعد زواجه من السلطانة شاه جهان بيكم، حاكمة إمارة بهوبال، إذ مكّنه هذا الارتباط من تولّي مناصب علمية وإدارية بارزة، وأمّكن من خلالها إنشاء نظام للرقابة الحكومية على الكتب والمطبوعات، هدفه تقويم الفكر، ونشر العقيدة الصحيحة، ومقاومة الانحرافات العقدية والسلوكية. فتحوّلت بهوبال إلى مركز علمي متميز.

ورغم جهوده العلمية ومحاولته الإصلاحية، تعرّض القنوجي لتهمة عنيفة من بعض خصومه، الذين اتهموه بأوصاف باطلة، وطعنوا في منهجه ومواقفه. وقد كانت هذه الاتهامات في الغالب مدفوعة باعتبارات مذهبية أو مصالح سياسية أو حقود أسرية، لا تستند إلى أدلة علمية. ومع ذلك، ظلّ القنوجي متمسكا بمنهجه، مدافعا عن الحق بالحجة، رادّا الشبهات بعلم وحكمة، مما يدلّ على صلابته الفكرية واستقامته في مجال الدعوة الدينية والإصلاح الحكومي.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية في الهند

خلال القرن التاسع عشر

الهند بلاد خصبة واسعة في قارة آسيا، زهت في ربوعها علوم متعدّدة، لها حضارة أصيلة وثقافة عريقة منذ قديم الزمان، فيها تعدّد الألسن وتفنّن الأعراق، تضاهى بأصالة حضارتها وعراقتها مصر والعراق واليونان، اشتهرت في الدول العربية ببلاد العجائب والغرائب^١ تأثرت العرب بالعلوم والفنون ومنتجاتها النادرة المتميزة، فازدهرت حضارتها ونضجت ثقافتها في البلاد العربية ازدهارا باهرا، ونمت العلوم والفنون نموا بارزا. وهذه كلها أدت إلى تبادل ثقافي بين الهند والعرب^٢.

الهند وما يتعلق بها

الهند مشتق من الكلمة السنسكريتية 'سيندو' تعني نهر السند. هي بلدة قديمة منذ قدم التاريخ، ولكن وليس هناك أيّ وثائق أو مخطوطات عن الهند القديمة^٣ ذات حضارة عالية، وهي متميزة بتطوّرها الحضاري والثقافي، وهناك آراء عديدة عن سبب تسمية الهند^٤ يعبر. د. سعيد الأعظمي الندوي عنها. 'الهند' منسوبة إلى 'إنديرا' (إله الهند القديم للمطر) وبعض الباحثين ينسبونها إلى

^١ عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي: دراسة تحليلية، مركز الدراسات العربية والإفريقية مدرسة دراسة الأدب والثقافة واللغات جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي - ١١٠٠٦٧ (الهند) عام ٢٠٠٣ م ص ٧

^٢ طارق محمود شفيق، الشيخ صديق حسن خان القنوجي وإسهامه في الأدب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور- باكستان. العدد الثاني والعشرون، ٢٠١٥ م، ص ٢٨٥

^٣ غوستاف لوبون، حضارات الهند، ترجمة لعادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢ م ص ١٦٥

^٤ أميرة عمر المغربي، انتشار الإسلام وأثره الحضاري في الهند، جامعة بنغازي، العام الجامعي ٢٠١٣- ٢٠١٤ م، ص ٦

كلمة 'سندهو' وهو الاسم الهندي لنهر الإندوس أي السنده. ومن هذه الكلمة اشتقت كلمتا: 'اند' و'هند' ومعناها الأراضي التي تقع وراء نهر الأندوس، وعرفت الهند في عهد الملك 'داشراشا' باسم 'بهارتا' أو 'بهارتا ورشا' نسبة إلى ابن له.^١ أطلق أيضا اسم الهند الجاحظ والمسعودي والمقدسي وابن النديم وأبو الريحان البيروني في مؤلفاتهم^٢

هناك بعض الباحثين يظهرون آراءهم وهي كما يلي: "قبل مجيء المسلمين إلى الهند لم يكن لهذه البلاد اسم معين، كان لكل إقليم اسما منفردا، أو تعرف كل ولاية باسم عاصمتها. ولما احتل أهل فارس على ولاية من هذه البلاد فسموا هذه البلاد على اسم النهر الذي يعرف الآن بـ 'نهر السند' والذي كان يعرف لدى العرب بنهران سموها بـ 'هند هو' وفي اللغة الإيرانية والسندسكريتية القديمة يتبدل حرف السين والهاء كل بآخره. وله أمثلة عديدة، ولذا دعوها باسم 'هندهو' وهكذا عرف فيما بعد باسم الهند. وسمت العرب منطقة السنده بالسند والمدن الأخرى لهذا البلد بالهند وفيما بعد انتشر هذا الاسم في كافة أنحاء العالم."^٣ وهناك آراء أخرى عن تسمية الهند بهذا الاسم.

روضة الديانات والحضارات

الهند بلاد خصبة غنية بالديانات والحضارات، وموطن الفلاسفة والحكماء، الآريون والمغول وغيرهم كان ممن استوطن هذه البلاد.^٤ يذكر المؤرخون عن المستوطنين والمنتحلين والمسيطرين

^١ د. سعيد الأعظمي الندوي، اللغة العربية في الهند، الطبعة الأولى، الأوراق العلمية المقدمة في الندوة (مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية) ضمن مشاركته في فعاليات (سوق عكاظ) في دورته الثامنة، ٢٠١٤١٠

^٢ المصدر نفسه ١٠

^٣ عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي: ص ١٤

^٤ د. سعيد الأعظمي الندوي، اللغة العربية في الهند، ص ١١

على الهند. "إن السكان الأصلاء للهند هم دراور، وكول وبهيل وهي شعوب سود، فقبل ٣٥٠٠/ في عصر دراور ورد الآريون مروراً بأفغانستان من وسط آسيا، وهم الذين عرفوا بالبراهمة فحاربوا مع السكان الأصلاء، لكن بمرور الزمن اتحدوا وتضامنوا فيما بينهم، وكان الآريون بيضا، وذوي قامات طويلة، جاؤوا من السند، وسيطروا على بنجاب ثم انتشروا في أنحاء الهند وكان في الآيين ملك بهرت، سميت الهند على اسمها بهارت، وورد من شمال المشرق قوم آخرون، هم المنغول، كانت قامتهم قصيرة، وأنوفهم مسطحة.^١ الهند غنية بأديان شتى، الهندوسية والجينية والبوذية والمسيحية والإسلام وغيرها.

الهندوسية

نشأت الديانة الهندوسية من عقائد الآيين بعد قدومهم إلى الهند، واختلطت بالسكان الأصليين، ولهذا صار دينا خليطا بثقافة الآيين. "فالآريون من منتحلي الهندوسية، وهم يعبدون الأحجار والأشجار والتمثيل - وقد انقسموا إلى أربع طبقات: البراهمة، الششتري، الويش، المنبود. فالبراهمة كما زعموا خلقوا للقيام بالأمور الدينية، والششتري للمحاربة، والويش للمزراعة، والمنبود للأعمال الشاقة، ومن كتبها: رك ويد، يجرويد، سام ويد، أتهرويد.^٢ ولهم كتب مقدسة أخرى من حيث تؤكد عاداتهم وتقاليدهم.

ديانة البوذية وجين

البوذية ديانة ظهرت في الهند في القرن الخامس قبل الميلاد، مؤسسها غوتاما بوذا من بلاد نيبال، ولد قبل ألفين وخمسمئة سنة، وتجوّل في الصحارى طلبا لسلامة والطمأنينة. ويعرف أتباعها

^١ د. سعيد الأعظمي الندوي، اللغة العربية في الهند، ص ١١

^٢ المصدر نفسه، ص ١١

باسم البوذيين.^١ هي تعتبر من الديانات الرئيسية في العالم. وأما مؤسس ديانة جين مهاوير، الذي ولد قبل ألفين وخمسمائة سنة في قرية ويشالي بولاية بهار، وكانت رؤيته تؤيد بعدم التطرف والتشدد، وله نظريات متعددة عن الحياة وحقيقتها.^٢

الإسلام

لما انتشر الإسلام في البلاد العربية وصل نوره إلى الهند، هناك خلاف بين المؤرخين أهو في عهد النبي صلعم أم بعده؟ وبعضهم يرون أنه في عهد النبي صلعم، وبعضهم يذهبون إلى كونه بعد وفاة النبي صلعم، وهم مجمعون على أن قدوم وفد مالك بن دينار وأتباعه جاؤوا إلى سواحل كيرالا، فأدى إلى انتشار الإسلام في هذه البقعة والبقعات المجاورة.

علاقة الهند بالعرب

بدأت العلاقات التجارية البحرية والتبادل الثقافي بين الهند والعرب من عهد بعيد، تدل عليها والآثار التاريخية القديمة والمخطوطات الماضية. العلاقة بينهما علاقة وثيقة، استهلت هذه العلاقة قبل قدوم الإسلام بقرون. الساج الفيل والطاووس والحيوانات والأشجار التي جمعت جيش ملك سليمان عليه السلام وبلاطه وبلاده، كانت تستورد من الهند كما نص عليه التاريخ. وكذلك الحديد لداود عليه السلام وسيوف الهند مشهورة عند العرب، وكذلك الفلفل الأسود وأخشاب الساج معروفتان عندهم مع أنهما لا يوجدان إلا في الهند كما قال المباركفوري: 'الساج' شجر عظيم لا ينبت إلا بلاد الهند، وكان الشعراء يستعملون الفلفل والسيوف الهندية في أشعارهم.^٣ يذكر امرؤ القيس في معلقته عن فلفل.

^١ د. سعيد الأعظمي الندوي، اللغة العربية في الهند، ص ١٢

^٢ المصدر نفسه، ص ١٢

^٣ سيد علوي الوافي، مجلة ملبار مجلة عربية سنوية تصدر عن قسم اللغة العربية في كلية السيد بوكويا التذكارية الحكومية بيرنتالما كيرالا، الهند: ٦٧٩٣٢٢، إطلاع إلى تاريخ ولاية كيرالا وقدوم المسلمين إليها ٢٠١٧/٤/٢٠ م. www.nidaulhind.com

"ترى بحر الآرام في عرصاتها وقيعاتها كأنه حب فلفل"^١

وأيضاً نجد في قصيدة 'بانت سعاد' التي ألفها الشاعر المخضرم كعب بن زهير بمدح النبي صلعم.

"إن الرسول لسيف يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول."^٢

السيف الهندي معروف لديهم لحدثه، وكان يعرف بـ 'المهند' أو 'الهنداوي'. أطلقت هذه الكلمة أيضاً في العالم العربي بنطاق واسع حتى قبل ظهور الإسلام، ومع هذا استخدم العرب بهذه الكلمة تسمية بناتهم.

دخل الإسلام إلى الهند من طرق ثلاثة ١: التجارة ٢: الهجمات والفتوحات ٣: الدعوة. وقد نقل غلام علي آزاد البلكرامي هذه الحقيقة في كتابه المشهور 'سبحة المرجان في آثار هندوستان' "إن الإسلام وصل الهند عن طريق التجارة، فقد كان التجار المسلمون يشتغلون بتبادل البضائع بين الدول الإسلامية والدول الواقعة في جنوب آسيا على سواحل المحيط الهندي، واستمرت العلاقات الودية بين المسلمين والهنود إلى عام ٧١١هـ. طريق التجارة، فهي ميناء غوجارات وولاية مالابار، حيث استقرت سفن التجار ودخلوا في الهند، فواصلوا العلاقات فيما بينهم."^٣

وأما الهجمات والفتوحات فأشهرها في زمن الوليد بن عبد الملك على يد محمد بن قاسم الثقفي عام ٩٢ من الهجرة^٤. وبعد ذلك الفتوحات الإسلامية وقدم الدعاة ودعوتهم. "ومن تواصل العلاقات بين العرب والهند أضف إلى ذلك الفتوحات الإسلامية التي أنجزها محمود الغزنوي

^١ الزوزني، القاضي حسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ١٩٨٩ ص ٣٤

^٢ جمال الدين محمد بن هشام الأنصاري، شرح قصيدة بانت سعاد، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية، ٢٠١٠ م، ص ١٩

^٣ د. سعيد الأعظمي الندوي، اللغة العربية في الهند، ص ١٣

^٤ البلكرامي، الشيخ غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي، سبحة المرجان في آثار هندوستان، الطبعة الأولى، دار الدولفين بن، بيروت-لبنان، ٢٠١٥ م، ص ٧٢

وغيره. ثم العلماء الربانيون والمشايخ الكبار الذين أتوا إلى الهند ونشروا رسالة الإسلام في أنحائها حيث دخلت آلاف مؤلفة من الناس في الإسلام وفهموا معانيه فهما جيدا، بل تكلموا بالعربية.^١

الأحوال السياسية

الهند من أجمل البلاد التي أراد حكامها أن يقدموا كل ما لديهم وتنميتها على مر الزمان، وقد حكم الهند مجموعة كبيرة من الملوك الهندوس عبر العصور، التي كانت لهم بها كثير من الآثار العظيمة في تطور الهند، وقد تقدمت الهند في مراحل عديدة حتى وصلت إلى هذه الرفعة التي عليها الآن. واستطاعت الهند إبراز مدى نجاحها عبر الزمان في ظل نظامها السياسي الحديث والنظام القديم. وهناك عديد من الملوك الهندود ذاع صيتهم في الآفاق لهم دور حاسم في تشييد مبنى الهند بناء راسخا.

استهلت العلاقة السياسية بين الهند والعرب في عهد عمر رضي الله عنه، يقول الشيخ سليمان الندوي: في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت السفن التجارية في بحث عن ميناء مناسب وبدأت تطوف على سواحل الهند، وميناء (تانا) (بومياي) هو أول ميناء غزا عليه المسلمون بإذن من والي البحرين وذلك في عام ٦٣٦ م.^٢

وبعد ذلك تردد العرب إلى السواحل الهندية مرة تلو أخرى، لما تولى وليد بن عبد الملك زمام الحكم في دمشق سنة ٧٠٥ م، عين حجاج بن يوسف واليا، فأرسل إلى المناطق الشرقية الهندية. لما توفي الخليفة وليد بن عبد الملك استخلف سليمان بن عبد الملك، فإنه فصل صلة الضباط

^١ د. سعيد الأعظمي الندوي، اللغة العربية في الهند، ص ١٣

^٢ عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، ص ٢١

إلى الحجاج. وفي السنة ٧٥١م تولى العباسيون الخلافة الإسلامية جعلوا بغداد عاصمة لهم بدلا من دمشق.^١

ثم جرت الحملة العسكرية والفتوحات الإسلامية التي أنجزها محمود الغزنوي وغيره، فاحتل على إثرها على كافة مناطق السند واستمرت الحكومة في أمن وسلام. وجاء بعده كثيرون في شتى العصور، وفي عهد هشام بن عبد الملك أرسل واليا إلى غوجارات عام ١٢٤هـ فاحتلها، وبإثر الضعف الحكومة العباسية انفصلت علاقتها بالسند والهند تدريجيا.

مرت ومضت الهند بتقلبات عديدة إبان الحكم الإسلامي بالهند، والمسلمون حملوا معهم محصول وعقول كبيرة كثيرة، ونتاج حضارات متنوعة متعدّدة، يجمعون بين سلامة ذوق العرب ولطافة حس الفرس وفروسية الترك. وكانوا يحملون للهند وأهلها غرائب كثيرة وطرفا غالية، وكان أغرب ما كانوا يحملون في الدين، توحيد الإسلام النقي، الذي لا يرى الوساطة بين العبد وربّه في العبادة والدعاء. وله أثر بالغ في تكوين الهند وتاريخها.

استغرقت الدولة المغولية في الهند زهاء ثمانية قرون، ولكن دب الضعف والوهن إلى الحكومة في أواخر عهود السلطان أورنگ زيب عالمكير (١٦٥٨-١٧٠٧ م). ولهذا انتهز الإنجليز هذه الفرصة وسيطر عليهم. فقد وضّح العالم اجتباء الندوي عن أسبابه. "واستطاع الاستعمار الإنجليزي بكيدّه، وحيلته، وقوته، وتدييره أن يسيطر على البلاد، ويحل محل الدولة المغولية، ولم يكن الاستعمار يريد أن يشاهد للمسلم يبقى له أثر في أي ميدان من ميادين الحياة، وبالإضافة إلى ذلك نشأ التباغض، والتنافر، والتخالف، وتشتّت القوى، وتصدعت المراكز، وتبعثرت المجالس والمحافل، اللهم إلا في بعض المدن والقرى، أو في بعض أسر منزوية إلى ناحية من نواحي

^١ عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، ص ٢١

الهند، فقد كان الجدل والمناظرة والتحزب إلى فئة دون فئة، و التخاصم والتشاجر يؤديان إلى الضرب، والقتل، والفتك، والبطش في كثير من الأحيان.^١

بلغ الحكم الإسلامي في الهند على أوج كمالها، الصحيح من قال ولا يزيد الكمال إلا نقصان، انحطت دولة المغول في عصر بي ظفر شرح الدين محمد بهادر آخر ملوك المغول، سيطر عليه الاستعمار الإنجليزي، وفي هذه الفترة حالة السياسية منقلبة ومضطربة بين المسلمين والإنجليز. انتهز العدو هذه الفرصة. "أراد هذا الاستعمار الإنجليزي الغاشم، الذي عبر البحار من مئات الآلاف من الأميال إلى الهند، وسيطر عليها سيطرة جائرة مستبدة، أن يطمس كل أثر يعزى إلى الإسلامية، أو حركة الإسلامية، أو حركة الإسلام الفكرية، والمعالم الوطنية."^٢

نقل أبو الحسن علي الندوي في كتابه عن الدولة الإسلامية في الهند في ذلك العهد. "تأسست الدولة الإسلامية في الهند في القرن الخامس الهجري، واحتضنت العلم، والدين، وقصدها العلماء، والأشراف من أقصى العالم الإسلامي، وأوى إليها كل من نبا به بلده، أو ضاقت عليه أرضه، واجتمع فيها آلاف من أهل الدين والعلم، درجوا من بلادهم في فتنة التتار، وقصدها أهل الهمم العالية والنفوس الكبيرة من المجاهدين والدعاة، بإشارات غيبية، ومبشرات صادقة، أو برغبة في الجهاد، ونشر الدعوة الإسلامية، فنشطوا في الجهاد والدعوة."^٣

يقول أيضا عن أثر الدعاة في نشر الإسلام في الهند. "وانتشر الإسلام بسرعة غريبة بتأثير أخلاقهم الطيبة، وشخصيتهم القوية، وقد أسلم مئات آلاف من الوثنيين على يد الشيخ معين

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٩٩٩ م

ص ٢٨، ٢٩

^٢ المصدر نفسه، ٢٣

^٣ المصدر نفسه، ص ٢٣

الدين الجشتي (٦٢٧ هـ) في أجمير وما جاورها من البلدان، وأسلم آلاف في بنجاب على يد الشيخ إسماعيل اللاهوري (٤٤٨ هـ) والشيخ فريد الدين الأجودهي (٦٦٤ هـ) وأسلمت كشمير كلها على يد السيد علي بن الشهاب الهمداني (٧٨٦ هـ).^١ هذه الدعوة أدت إلى انتشار الإسلام في الهند. صارت الهند دولة خصبة وغنية بثقافات عديدة بقدمها الأجانب، ولا سيما ثقافة الإسلام والمسلمين. "حتى دخل المسلمون فيها برسالة خالدة، وهداية شاملة، وفكرة نيرة، ومبادئ قيّمة، وعقائد صحيحة سليمة منذ عصر سيّدنا عمر بن الخطاب، وسيّدنا عثمان بن رضي الله عنهما، ودخل البطل المغوار، والفتى الشهم محمد بن القاسم الثقفي الذي فتح قسما من الهند وتوغل في السند وأطرافها بعهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي، ثم جاء السلطان محمود الغزنوي، وبعده شهاب الدين الغوري، و الخلجيون، واللوديون، والتغلق، والأفغان، والأتراك، والمغول الذين حكموا الهند كلها من أقصاها إلى أقصاها إلى أن انتزع الاستعمار الإنجليزي السلطة منهم."^٢

النواب صديق حسن خان القنوجي شاهد عين سقوط دولة المغول الأخيرة، حتى استعمرت الدولة البريطانية الهند وانتزع السلطة منهم. "واستطاع الاستعمار الإنجليزي بكيد، وحيلته، وقوّته، وتدبيره أن يسيطر على البلاد، ويحل محل الدولة المغولية، ولم يكن الاستعمار يريد أن يشاهد للمسلم يبقى له أثر في أيّ ميدان من ميادين الحياة، ولإضافة إلى ذلك، أنشأ التباغض، والتنافر، والتخالف، وتشتت القوى، وتصدعت المراكز، وتبعثرت المجالس والمحافل، اللهم إلا في بعض المدن والقرى، أوفي بعض أسر منزوية إلى ناحية من نواحي الهند، فقد كان الجدل

^١ الدعوة الإسلامية في الهند، ص ٤٥٣ نقلا عن الأمير صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ٢٧

^٢ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ٢٦

والمناظرة والتحزب إلى فئة دون فئة، والتخاصم والتشاجر يؤديان إلى الضرب، والقتل، والفتك، والبطش، في كثير من الأحيان.^١ كانت أحوال الهنود تحت الحكومة الإنجليزية خطيرة جدا، ظهر في الناس الجهل والحمق والفضى والفجور، توارثوا و تقلدوا الثقافات الغربية وجعلت تأثيرا جانبيا في كل جوانب الحياة.

الأحوال الاجتماعية

الهند دوحة كبيرة في قارة آسيا، هي غنية بتنوع الأديان والطبقات، ومتأثرة بالثقافات والحضارات المتعددة، وللإسلام والمسلمين دورة فعالة في إنشائها وتطورها، أشار إليه الشيخ أبو الحسن علي الندوي. "دخل المسلمون في الهند وهي تعتز بحضارة أصيلة في القدم، وفلسفة عميقة، وعلوم رياضية دقيقة، وخيرات عظيمة من حبوب وثمار وفواكه، ومواد خامة، ولكنها كانت - على كل ذلك - تعيش منذ قرون في عزلة عن العالم، قد فصلتها عن بقية الإنسانية الجبال في جانب، والبحار في جانب آخر، وكان آخر من دخلها من العالم المتمدن هو الإسكندر الكبير. وهكذا انطوت هذه الأمة العظيمة على نفسها، وعاشت قرونا طويلة في عالم محدود محصور، لا تستورد شيئا من الأفكار والديانات، والنظم والصنائع والعلوم من الخارج، ولا تصدر إليه شيئا."^٢

وفي هذه الفترة فشا في عامة الناس التهلك والفسق والفجور. "وقد كان شرب الخمر علنا جهارا، وكانت الأعياد والأعراس عبارة إراقة الخمر والرقص والغناء وكبار رجال الدولة كانوا يحضرون

^١ الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره ص ٢٨ - ٢٩ نقلا عن إسهامات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، بقلم محمد منصور عالم، روز ورد بوكس، نيودلهي، الهند، ص ٢٦

^٢ أبو الحسن علي الحسني الندوي، المسلمون في الهند، دار ابن كثير دمشق-بيروت، الطبعة الأولى، الخاصة بدار ابن كثير، ١٤٢٠ -

مكاتبهم وهم سكارى حتى أن جرار الخمر كانت توضع على قبور الصلحاء و يدمنون في المساجد. والبغاء والزنا و هو الطامة الكبرى كان جهازا لكسب المعاش والقمار والتعامل الربوي والرشوة كان شائعا. وإن الأمة قد نسيت تماما واجبها في مجال الدعوة والإرشاد، وتجاهلت الأهداف والمبادئ السامية التي أخرجت لتحقيقها.^١ فصارت الأحوال الثقافية في قعر الانحطاط في ذلك العهد.

ففي مثل هذه الظروف الشنيعة، دبّت إلى عقول الناس أفكار وآراء مضلة ومنحرفة. "وبرزت في أناس هم الأوغاد السفهاء، وولدت في عصر طغى فيه أهل البدع على أهل الأتباع، وخفي فيه أصحاب الفضائل والكمال، ومن كان منهم نادرا فله الصداق، وجئت في دهر غلب على أهله حب المال على الكمال، وفاق شره على خيره بلا احتيال، وطمس فيه أعلام الدول الإسلامية، وظهر فيه رايات الفرق الكفرية، وكل حين يزداد ذلك قوة و رفعة، ويندرس معه الإسلام وأهله، والله أعلم ماذا يكون فيما يستقبل من الزمان، وإلى ما يرجع مآل نوع الإنسان، فقد بعد عهد النبوة، ظهرت الفتن، وعمت المحن، وذهبت الفتوة والمنن، وأطلق أفراخ الفلسفة وأوساخ الدهرية، ألسنتهم طعنا في الدين، وهضما للمسلمين، وفشا الكذب، وأشرب في قلوب الخلق حب العجل، ترى الناس زبهم زيّ الأحباء، وهم ببواطنهم أعدى الأعداء، ميلهم في تكثير المآكل والمشارب، والملابس والمراكب والمساكن، والمنزهات وتحسينها فوق ميلهم إلى تحصيل العلم وكسب

^١ اختر جمال محمد لقمان، السيد صديق حسن خان القنوجي آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف، سنة الطباعة ١٤٠٨هـ،

الفضائل والكمالات، إلى أن رفضوا ما كان عليه سلفهم، وأئمة خلفهم من العض بالنواجد على الدين.^١ ولذا اضمحلت المبادئ الإسلامية وثقافتها في ذلك العهد.

الأحوال الدينية والعلمية

لا شك أن هذا العهد كان الوعي الديني والتوعية العلمية في أقصى غاية الانهلاك والانحطاط، ولهذا عم الجهل وانتشرت العقائد الباطلة، كانت الوثنية والسجود للأصنام في كثير من المدن الهندية شائعة، ضلت الأمة عن الصراط السوي والدين الحنيف، كما يقول: "الحالة الدينية كانت أسوأ من الحالة السياسية بل في غاية السوء، ففي هذه الفترة انتهزت إرساليات التنصير الفرصة لتضليل المسلمين. وقد استطاعوا أن يضموا إليهم ضعفاء المسلمين وجهالهم لينجحوا في مقصدهم، كما أن الأعداء البريطانيين غرسوا شجرة القاديانية. وفتنة إنكار حجية السنة. ومن العجب أن المبتدعين والخرافيين من المسلمين هم الذين آوهم ونصروهم في مهمتهم الخبيثة. سبب ذلك النفاق بروز القومية الهندية. لا شك أن المسلمين كانوا أكبر أعداء الاستعمار، ولذا جعلهم الإنجليز هدفا وعرضة لتعذيبهم ويحلون عليهم شتى أنواع المظالم والشدائد مما أفضى إلى تفريق صفوف المسلمين وتشتت كلمتهم، بل أن هؤلاء الأعداء المستعمرين قد أفقروهم وجعلوهم عالة وقوضوا حياتهم الاقتصادية، وسدوا عليهم أبواب الرزق وحجزوا أملاكهم وأراضيهم."^٢ وبالجمله كانت الحالة الدينية والعلمية أسوأ حالا في حياة أمة المسلمة، الشيخ محمد اجتباء الندوي يذكر عن انحطاط المسلمين آنذاك. "وكان الناس

^١ العلامة السيد محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، الطبعة الثانية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، دولة قطر، ٢٠٠٧م، ص ٥٤٣

^٢ صوت الجامعة، ذوالقعدة ١٣٩٠ هـ، ص ٥٢ نقلا عن إسهامات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، بقلم محمد منصور عالم، روز ورد بوكس، نيودلهي، الهند، ص ٢٧

عامّة قد ابتعدوا عن الكتاب والسنة والعقيدة الخالصة النقية الطاهرة، وتسربت إليهم البدع، والخرافات، وعادات الهنادك وتقاليدهم الكثيرة في حياتهم العامة، ولم يسلم من هذا الداء إلا ثلّة من الأسر والعائلات المتحفظة و المتمسكة بأصول الدين ومبادئه، وعضت عليها بالنواجذ، ولم تسلك مسالك الفساد والدمار والضلال.^١

انتشار اللغة العربية وآدابها

علاقة الهند والعرب عريقة منذ قديم الزمان، وقد توطدت جذورها على مر العصور، بدأت هذه العلاقة بين الشعبين من ناحيتي التجارية والدينية، هذا التعامل أدى إلى التبادل الثقافي واللغوي والأدبي بينهم. "ففي هذا العصر على وجه التحديد تعرف العرب بالحكمة والفلسفة والديانة والثقافة والعلوم والفنون الهندية، من خلال التراجم العربية للكتب الكلاسيكية السنسكريتية وما سجله السياح العرب من انطباعاتهم عن هذه البلاد وفي مقعدهم أبو زيد الصيرفي وسليمان التاجر والمسعودي وابن حوقل والجاحظ والإصطخري والمقدسي وابن حزم وبزرّك بن شهريار والبيروني وابن بطوطة وكثيرون غيرهم من مترجمين وعلماء وحكماء أمثال الكندي والسرخسي والخوارزمي ولجميعهم الفضل في نقل المعرفة والثقافة الهندية إلى العالم العربي ويعتبر كتاب البيروني مصدراً هاماً للمعلومات عن الهند ولا يوجد له نظير حتى في أي لغة من اللغات المحلية للهند."^٢

يقول الشيخ سيد سليمان الندوي: "كان هناك رجال في عهد مهارة في الهند يعرفون اللغة العربية ومن الصعب أن نؤمن بهذه الحكاية إلا أنه ذكر ذلك عالم هندوسي كبير فلا أتجرأ على

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأميرسيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ٣٠

^٢ عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، ص ٢٥

نفيها فإن مؤلف 'ستيارت ميرا كاش' الأستاذ ديانند كتب في الفصل الحادي عشر (والباب الأول: الدرسي ١٤٧) إنه في زمن حرب مهابارات عند ما أراد أفراد قبيلة كورو (كانت هناك قبيلتان متحاربتان في العهد القديم للهند كورو و باندو مثل أوس وخزرج في العرب الجاهلي) بناء بيت من الخشب ليحرقوا فيه أفراد قبيلة 'باندو فتكلم فيدرجي مع يدهيشترا باللغة العربية. ورد عليه يد هيشترا بنفس اللغة'. تدل هذه الرواية أن بعض الهنود كانوا يعرفون لغة سميت بالعربية.^١ تطورت اللغة العربية في كل بقعة من بقعات الهند دخل فيها روح الإسلام.

^١ الشيخ سيد سليمان الندوي، العلاقات العربية الهندية، ص: ١٠- ١١ مطبع معارف أعظم جراه، (الهند) عام ١٩٩٤ م، نقلا عن مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، ص ٢٤

الفصل الثاني

السيرة الذاتية للنواب صديق حسن خان القنوجي

اسمه وكنيته ولقبه

هو أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسنين القنوجي البخاري.^١ هذا اسمه ذكر في كتابه أبجد العلوم حين ترجم لنفسه نقل تلميذه نعمان الألوسي^٢. وكنيته أبو الطيب، ولقبه القنوجي نسبة إلى مدينة قنوج في بلاد الهند. ينتهي نسبه إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهوسيد من السادات من حيث تنتهي شجرته إلى سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم كما يعبر هو نفسه: "أنا صديق بن حسن بن علي بن لطف الله بن عزيز الله بن لطف علي أصغر بن سيد كبير بن تاج الدين بن جلال رابع بن سيد راجو شهيد بن سيد جلال ثالث بن حامد كبير بن ناصر الدين محمود بن جلال الدين بخاري المعروف جهانيان جهان كشت بن أحمد كبير بن جلال أعظم بن علي المؤيد بن جعفر بن أحمد بن محمد عبد الله بن علي أشقر بن جعفر زكي بن علي نقي بن محمد تقي بن علي رضا بن موسى كاظم بن جعفر الصادق بن محمد باقر علي زين العابدين بن حسين سبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم".^٣

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم ج ٣ الرحيق المختوم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ١٩٧٨ م، ص ٢٧١

^٢ سهاد حمدان أحمد السامرائي، البلغة إل أصول اللغة لمحمد صديق حسن خان بهادر القنوجي البخاري الهندي، مجلس كلية الترب للبنات في جامعة تكريت، نيسان ٢٠٠٤ م، ص ٩

^٣ القنوجي، صديق حسن خان، إبقاء المنن بإلقاء المحن ص ٧ نقلا عن إسهات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، بقلم محمد منصور عالم، روز ورد بوكس، نيودلهي، الهند، ص ٣١

نسبه وعائلته

يرجع نسبه إلى حضرة سيد السادة وقدة القادة زين العابدين علي بن حسين السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولهذا لأسرته شرف عظيم ومكانة عالية بين المسلمين، وذلك من نسب أهل البيت الإمام علي النقي، فضل بغداد لإقامته، مستجيبا للخليفة العباسي الواصل بالله، الخلفاء العباسيون يكرمونه بعلمه وفضله وصلاحه وتقواه، ففي العصر الخليفة المتوكل غادر الشريف محمد حفيد من أحفاد الإمام النقي من بغداد إلى بخارى.

في البخارى

وأقام الشريف محمد في مدينة بخارى "وسكن بعده هناك أولاده، ونشروا العلم والدين في هذه البلدة ونواحيها وصار لهذه الأسرة أعوان، ورجال، ساهموا في نشر الدعوة، والعلم، والحق، والخير، وأقبل إليهم الناس زرافات ووحدانا، فنفع بهم الله الأمة." ^١ ولد من أولاد الإمام النقي شخص عظيم، استفاد منه رجال كثير من الهند والعرب هو الشريف جلال الدين الأعظم مشهور جلال الدين البخاري هو أعظم أولياء الله في عصره.

في الملتان

غادر الشيخ جلال الدين الأعظم بلدة بخارى في سنة ٦٥٢ هـ. فانتقل إلى الملتان في الهند، بعد ذلك إلى قرية 'بهكر'. فنكح امرأة زهرة خاتون واستوطن فيها ^٢ وكان الشريف جلال قريب من شيخ الإسلام بهاء الدين زكريا الملتاني. "وقد أرسله شيخ الإسلام بعد أن شرفه بالخلافة إلى مدينة

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأميرسيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ٣٣

^٢ المصدر نفسه، ص ٣٤

«أجه» بمحافظة الملتان، وقد بقي في هذه البلدة طوعاً لأمر شيخه، يرشد الناس، ويوجههم بتوجيهات رشيدة، وعني بأمر إصلاحهم عناية خاصة إلى أن وافته المنية. فخلفه نجله السيد أحمد الكبير، وكان محبباً بين الناس، مرضياً بين مريديه، وبقي هو وأولاده يقومون بالدعوة والإصلاح جادّين مجتهدين في «أجه» وضواحيها، ولكن السيّد جلال الثالث (واحد من حفدة السيد أحمد الكبير) انتقل إلى دلهي عاصمة الهند.^١ وذلك قبول دعوة السلطان بهلول شاه اللودي في القرن الخامس عشر الميلادي.

في القنّوج

تقع مدينة القنّوج في شمال الهند، إحدى العواصم الثلاثة القديمة في البلاد، وهي: دلهي، أجمير، قنّوج.^٢ هي مركز من مراكز في مجال السياسة الهندية. يقال عن الملوك قنّوج أقوياء لاتهمز ولا تزعزع، كان السلطان اللودي حاكم آنذاك. "أكرم السلطان اللودي الشيخ، واحتفى به كثيراً جداً، وأقطع له ضيعة كبيرة في بلدة قنّوج، فاستقرت أسرته فيها نحو ثلاث مائة سنة، وصارت مركز الدعوة والإصلاح لهذه الأسرة الكريمة بعد الملتان، وقد ألفت الأسرة رحلها أولاً في حي 'شيخانه' ثم انتقلت إلى حي 'شيخبورة' واختاره الشريف جلال الرابع الذي انزوى إلى العلم والدعوة والإصلاح العام وترك الطريقة الصوفية التقليدية المتوارثة."^٣

كان 'جي جند' آخر ملك في قنّوج، جيوشه تغلب على جيوش دلهي وأجمير. ولكن انهزم هو وجيشه بالمعركة ضد السلطان شهاب الدين الغوري. ثم انتشر الإسلام في قنّوج ونواحيها بسبب دعوة

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأميرسيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ٣٤

^٢ المصدر نفسه، ص ٣٥

^٣ مآثر صديقي، ج ١، ص ٤٥ نقلاً عن الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ٣٥

الشيخ الحاج شريف و'بالا بير'. بعد هزيمة ملكها الجبار 'جي جند' تحوّلت قنّوج بلدة إسلامية صحيحة.

وبعد ما جاء الشيخ جلال الثالث إلى قنّوج ساهم هو وأسرته مساهمة فعالة في نشر علوم الإسلامية. ثم شاعت المذاهب الشيعية في هذه البقعة ونواحيها لضعف دولة المسلمين. "ولما أصيبت دولة المسلمين بالفوضى، والاضطراب، والتدهور، وضعفت، وانكمشت، وتوزعت ولاياتها، انصهرت قنّوج في ولاية 'أوده' تماما، وكانت هذه الولاية تحت سيطرة الأمراء الشيعة الإمامية، وكانت لهم جولة وصول، وكانت عنايتهم، ورأفتهم، وعونهم، ونصرتهم، ومساعدتهم، ومؤازرتهم كلها مع الذين يعتنقون المذهب الشيعي ويحذون حذوهم ويسايرون ركبهم، وينخلعون عن طريقة أهل السنة ويهجرون مذهب السلف الصالح، ولم يكونوا يحسنون بهما الظن بل يكيّدون لهما ويستأصلون شأفتها إذا تمكنوا، ويسعون لنشر المذهب الشيعي، فانتشر ذلك في هذه الولاية إلى حدّ كبير، وتغيّرت الأحوال بعد انقراض الإمارة الشيعية وبسيطرة الإنجليز على البلاد."^١

وقعت في هذه الشركة حفيد شريف جلال الرابع 'علي الأصغر'. وبإثر ذلك استمرّت سلالة خمس على هذا المذهب الشيعي إلى الشريف 'أولاد علي خان' الملقب بأنور جنك بهادر، جدّ الأمير صديق حسن خان القنّوجي.

كان السيد أولاد علي المعروف ب'أنورجنك' الذي عاش في حيدرآباد وهو جدّ لأبيه للأمير صديق حسن خان القنّوجي، لم يرع ابنه الوحيد، أقام مع أمه الحنون في قنّوج، هو السيد أولاد حسن

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأميرسيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ٣٧

بن علي بن لطفي الله الحسيني البخاري القنوجي، المولود سنة ١٧٨٥ م الموافق ل ١٢٠٠ هـ في بلدة قنوج مشهورة، ذات حضارة وثقافة غنية. "كان السيد أولاد حسن ذا شخصية قوية، وذكاء وقاد، ومواهب نادرة، قوي الذاكرة، قوي الإرادة، راسخ العزم، سليم العقيدة والدين، مرهوب الجانب، جميل الطلعة، نبيل الأخلاق، كريم السيرة."^١

نشأ السيد أولاد حسن في رعاية أمه الحنون، أرسلته إلى كتاب القرية لتعلم اللغة الفارسية، لأن اللغة الفارسية لغة رسمية في البلاد. فلما أتم الدراسة تلقى العلوم الشرعية الابتدائية من المشايخ المتبحرين من البلاد المتفرقة مثل: الشيخ الفاضل عبد الباسط القنوجي، والشيخ نور الحق بن أنوار الحق، والشيخ الميرزا حسن المحدث، الشيخ عبد العزيز، والشيخ عبد القادر، والشيخ رفيع الدين، قرأ عليهم. وصحب مع علماء أهل السنة والجماعة، هذه أدت إلى انسلاله من الشيعة.

انتقل الشيخ إلى جوار ربه في يوم الخميس سنة ١٨٢٢ م قبل الظهر، أبناؤه: أحمد حسن العرشي، وصديق حسن، وثلاث بنات وهن: فاطمة، مريم، و محمدي بيغم. وقد صنف أربعة عشر كتابا في الحث على التمسك والرد على البدع والخرافات.

كان الشيخ حسن بن علي والد صديق حسن خان القنوجي عالم مشهور، أراد أن يتزوج من الأسرة أهل السنة، فلم يتصل المذهب الشيعي بصلة ما، ولهذا أثر عروسا 'نجب النساء بيكم' بنت الشيخ الفاضل المفتي محمد عوض العثماني، إنه ينتهي إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. هو من كبار علماء عصره في علوم القرآن، والحديث، والفقه، والقراءات السبعة وغيرها.

^١ مآثر صديقي، ص ٥٥، ج ١، نقلا الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وأثاره ص ٣٩

ولعل هذا السبب كانت أم صديق حسن خان القنوجي صالحة، ذاع صيتها في الآفاق. "كانت أمه امرأة مثالية تمتاز على أترابها بالتقوى والورع والعلم والفهم، والحرص على تربية الأولاد تربية تضرب بها الأمثال. كيف لا وهي صحبت بيت العلم والعمل وكان من تمسكها بالدين أنها تأمر أولادها بتنفيذ أوامر الدين".^١

هو الشيخ أحمد حسن العرشي عالم مشهور متضلع في العلوم النبوية والقدرة الشعرية، ولد الشيخ في بلدة 'قنوج' عام ١٨٣٠ م. هو شقيق الوحيد لأمير صديق حسن خان القنوجي. "قد أوتي من الذكاء، والفطنة، والفهم، والبصيرة، وقوة الذاكرة، وجودة القريحة، وحسن المحاضرة، ومهارة الكتابة والإنشاء نصيباً وافراً، كان الشيخ ضعيف البنية، نحيف الجثة، هزيلًا، نحيلًا، ولكن مملوء بالعلم، والفضل، والتقوى، والنبوغ والابتكار، والجهد، والاجتهاد".^٢

مولده ونشأته

يعدّ النواب صديق حسن خان القنوجي من أعلام النهضة الإسلامية والعربية المعاصرة، وأحد رواد المؤلفين الهنود الذين انتشرت تأليفاتهم في داخل الهند وخارجها، نالت قبولا حسنا ورواجا كبيرا لدى علماء العرب وغيرهم، هو إمام التفسير والحديث والفقه والمنطق والفلسفة والشعر والأدب. ولد الشيخ صديق حسن خان القنوجي يوم الأحد وقت الضحى في ١٩ من جمادى الأولى عام ١٢٤٨ هـ الموافق ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٢ م ببلدة 'بانس بريلي' في بيت جدّه لأمه المفتي محمد عوض العثماني، لما أخبر أبوه بالنبأ فرح فرحا شديدا رغب في رؤيته، ولهذا انطلقت به أمه من بريلي إلى قنوج التي كانت موطن أبيه وجدّه. إنه نشأ وترعرع في أحضان أبوين كريمين.

^١ مآثر صديقي، ج ٢، ص ٣، نقلا عن إسهات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، بقلم محمد منصور عالم، روز ورد بوكس، نيودلهي، الهند، ص ٣٧.

^٢ الدكتور اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ٥٢.

ولم يبلغ الأمير الخامسة من عمره توفي والده، نشأ يتيماً بائساً ولم يكن في أسرته أحد أن يكفل رعايته، كان يقول: "كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتيماً، ولكن الله جعله خاتماً لجميع الأنبياء وأتاه ديناً مهيمناً على جميع الأديان وبوّاه مكان الهداية إلى السبيل كلّ مع أنه كان أمياً فقليل من الشبه به شيء عظيم والآية 'ألم يجدك يتيماً فأوى' منطبقة على نفسي."^١

بعد وفاة أبيه تولّت والدته تربيته الدينية، هذه الرعاية تحوّل مجرى الحياة، ولأّمه دور حاسم في تربيته وثقيفه. "كانت أمه هي التي تولّت تربية الأمير بعد وفاة والده، وكانت كما ذكرنا ابنة عالم جليل، وداعية كبير، هو شخصية فعالة، ساهمت شخصياً في الثورة التي انفجرت خلاف الاستعمار الإنجليزي لتحرير البلاد، فقد كانت امرأة مؤمنة مثالية، يضرب بها المثل في التقوى، والورع، والعقل، والفهم، والبصيرة، وتربية الأولاد تربية إسلامية فاضلة."^٢

اشتهت أمه في صغر سنه أن يكون ابنه الصغير تربية دينية مثالية، يقول الأمير عن اهتمام أمه في الطفولة. "كنت في السابعة من عمري، وكان المسجد قريباً من بيتي، وحينما يؤذن لصلاة الفجر وأنا في سبات عميق هادئ كانت أمي - رحمة الله عليها - توقظني، وتوصني، وتبعثني إلى المسجد، ولا تتركني بأن أصلي في البيت، وأن لم أقم من نومي ترش الماء على وجهي."^٣

وهي محاضرة أيضاً على الدراسة والتأليف والتحلي بالآداب النبيلة. هذه التوجيهات والإرشادات غيرت مجرى حياته العلمية والدينية. "كانت الأم الحنون تتمنى أن ينشأ ابنها هذا نشأة دينية وعلمية يخلف أباه في العلم والدين والدعوة، فخططت له خطة مرسومة وأعدّت جدولاً لأعماله

^١ مآثر صديقي، ج ٢، ص ٢، نقلاً عن إسهامات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، بقلم محمد منصور عالم، روز ورد بوكس، نيودلهي، الهند، ص ٤٠

^٢ إبقاء المنن، ص ٨١، الشيخ الرحمانى صوت الجامعة، ص ٥٦، نقلاً عن الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ٦١

^٣ الدكتور اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ٦١

اليومية، سارت عليه طيلة حياتها، وشجّعته للخوض في ميادين الحياة، وأشرفت عليه بنفسها، فلما بلغ سنّ الدراسة عينت له معلما لقراءة القرآن الكريم على عادة مسلمي الهند، بأنهم يبدؤون تعليم الطفل بالقرآن، فقرأ أجزاء منه على هذا المعلم، ثم أكمله بنفسه بعد مدة من الزمن، وقرأ بعض الكتب الفارسية، ومؤلفات الشيخ سعدي الشيرازي خاصة، واعتنى باللغة الفارسية؛ لأنها كانت لا تزال لغة رسمية بالبلاد في ذلك العصر.^١

مطالعة الكتب الأولية

كان صديق حسن خان القنوجي محبا للعلم والعلماء، قرأ بين يدي مدرس خصوصي بعض أجزاء القرآن الكريم، وفي اللغة الفارسية قرأ 'كريما ما مقيمان' وبعض الصفحات والأبواب والفصول من 'بوستان' و 'كلستان'. إلى قوله: "ويقول عن رغبته في قراءة ودراسة الكتب أنه إذا كان الشيخ حسيني 'خادم والدي' ينظّف الكتب ويضيء بها بضوء الشمس كان لعبنا إننا كما نفتح كتابا ونقرأ من مكان وننظر إلى آخر. فكنا نفهم البعض ولا نفهم الآخر وبفضل التصفح استقرت رغبة طلب العلم في قلبي."^٢

كان الشيخ منذ طفولته نابغ في خط اليد، خطه جميل جدا رغم أنه لم يدرب ذلك من كاتب، له سرعة عجيبة في الكتابة والتأليف. "وكان الأمير كثيرا ما ينسخ الكتب ويتمرن على الكتابة والخط، فصار جيد الخط، وقد تحسّن أكثر فيما بعد لكثرة الكتابة والنقل والنسخ، وأصبح سريع الكتابة، حسن الديباجة."^٣

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ٦٢

^٢ إبقاء المنن، ص ١٦، نقلا عن مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي: دراسة تحليلية، لعبيد الرحمن، مركز

الدراسات العربية والإفريقية مدرسة دراسة الأدب والثقافة ص ٤٢

^٣ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ٦٣

بدأ الأمير دراسته الابتدائية من أسرته، كان بيته بيت العلم والشرف والفضل. "قرأ الأمير بعض الكتب العربية الابتدائية على شقيقه الشيخ أحمد (١٢٤٦ - ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٣٠ - ١٨٦٠ م) من الصرف، والنحو، والمنطق، والبلاغة، كميزان الصرف، وتصريف الزبدة، ومختصر المعاني والتهذيب وشرح التهذيب، وبديع الميزان."^١

بعد ذلك رحل إلى مدينة فرخ آباد طلباً للعلم من الشيخ أحمد علي فرخ آبادي، هو طالب أبيه ومريده الخاص، سكن في بيته شهراً، تلقى العلوم المتنوعة من العلماء شتى. "ودرس على الشيخ محمد حسين الشاه جهان بوري الكافية لابن الحاجب، وشرحها للجامي، وهداية النحو، وإيسا غوجي في المنطق على الشيخ أصغر حسين، وشرح الشمسية للقطب الرازي، ومير قطبي للسيد شريف الجرجاني، ودر المختار في الفقه الحنفي، ومشكاة المصابيح على بعض الأساتذة الكبار هناك، ودعاه بعض تلامذة أبيه العلامة إلى كانبور فدرس هناك على العالم الكبير الشيخ محمد مراد البخاري وعلى الفقيه المحقق الشيخ محب الله الباني بتي."^٢

اتسعت دائرة العلوم والفنون بصحبة العلماء النابغين وحضور مجالسهم. "واستفاد من الأساتذة الكبار وخلفاء الإمام الشهيد أحمد بن عرفان رحمه الله أمثال الشيخ مردان علي البدايوني، والشيخ سلامة الله الكشفي، والشيخ عبد الحليم اللكهنوي، والشيخ زين العابدين إله آبادي، والشيخ يحيى علي، وفياض علي العظيم آبادي وفخر الدين، والشاه غلام رسول الكانفوري، واستفاض من مواظ الشيخ محمد علي التونكي شقيق الشيخ حيدر علي التونكي، وخليفة أمير المؤمنين السيد أحمد الشهيد في قنوج."^٣

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ٦٣

^٢ المصدر نفسه، ص ٦٣.

^٣ المصدر نفسه، ص ٦٤.

كان الأمير يقول مفتخراً ومعتزاً عن العالمين الكبيرين وعن دروسهما: الأول: الشيخ الداعية المجاهد ولاية علي، الثاني: الشيخ فضل الرحمن الكنج مراد آبادي، لهما فضل كبير في تربيته في مسيرته العلمية.

الرحلات العلمية

لما لقي الأمير القاضي كلاً من أصدقائه في 'كانبور' هو حرضه بأن يسافر معه إلى دهلي عاصمة الهند، وأيضاً مركز دولة العلم، والثقافة والحضارة، ولهذا أحب أن يرافق معه إليها. فنزل ضيفاً على العلامة القاضي بشير الدين القنوجي فقرأ عليه بعض الكتب العربية عام ١٨٧٨ م. ثم ذهب به الشيخ صدر الدين خان بهادر والأمير مصطفى خان بهادر واستفاد منهما العلوم النافعة. استغرقت إقامته في دهلي مدة سنتين، تلك الفترات القيمة نقطة تحوّل في حياة النواب وشخصيته، انتهز الفرصة لقراءة على مفتي محمد صدر الدين خان بهادر الكتب الثمينة وهي كما يلي: "مختصر المعاني إلى آخره، شرح الوقاية حتى العبادات، والهداية إلى المعاملات وتوضيح أصول الفقه والتلويح وسلم العلوم بكامله وملاً حسن بكامله وحمد الله بكامله، وشمس بازغه ومير زاهد ملاً جلال إلى بحث الدلالة ومير زاهد شرح مواقف إلى بحث الوجود وأربعة أجزاء للبخاري. وفي باب التفسير أنه قرأ التفسير للبيضاوي (سورة البقرة فحسب) ونصف ديوان المتنبي، وشرح عقائد نسفي، وحاشية ملا عبد العلي رسالة مير زاهد، والمقامات للحريري والمقامات الهندية (بعض الأجزاء منها) وديوان الحماسة (بعض الفصول) والمعلقات السبعة بكاملها.^١ فقد تلقى حظاً وافراً من العلوم والفنون من دهلي.^٢

^١ عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي: دراسة تحليلية، ص ٤٥

^٢ عبد الله خالد عبد طالب كاظم الخالدي، الدلالة النحوية في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي، أطروحة مقدمة مجلس كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء، ٢٠٢٤ م، ص ٨

يعدّ صديق حسن خان القنوجي أحد رواد المحدثين في الهند، اعتنى المحدثون العرب الهند ومؤلفاتها في الحديث، بسبب انتشار الكثير من دواوين السنة وكتب أئمة الحديث في هذه البلاد. أجاز كثير من العلماء في علم الحديث منهم. "الشيخ يحيى بن محمد الحازمي قاضي عدن في ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م و العلامة السيد نعمان خير الدين الألوسي مفتي بغداد في ١٢٩٦ هـ ١٨٧٩ م، والقاضي الشيخ حسين بن محسن الحديدي اليماني شقيق الشيخ زين العابدين، والشيخ محمد يعقوب الدهلوي سبط الشيخ المحدث عبد العزيز الدهلوي في ١٨٦٤ م، ولما أتم سنتين كاملتين في دهلي استأذن أستاذه ومربيه سماحة المفتي صدر الدين للعودة إلى الوطن، فمنحه إجازة وشهادة بخطه، وختمه باللغة الفارسية الرائجة في الهند بذلك الحين."^١

كتبه الأمير في كتابه 'سلسلة العسجد' نقراً خلاصتها هكذا. "إن الشيخ صديق حسن القنوجي صاحب ذكاء سليم، قوي الذاكرة، صحيح الفهم للكتب، وحصلت له ملكة راسخة للمطالعة والدراسة، وقد قرأ عليّ التفسير، والحديث، والفقه، وأصول الفقه، والمنطق، والحكمة، والعقائد، والأدب، واستفاد مني فائدة تامة، وهو يمتاز على أقرانه و أتراه بفهمه، وبصيرته، وذكائه، وبره، وسعادته، وحسن خلقه، ونبالة فكره، وصفاء عاداته، وحيائه واحتشامه، بارك الله تعالى فيه."^٢

استفاد الأمير بسكنه في دهلي استفادة تامة، نال من جوانب الحياة العلمية، والدينية، والسياسية. كان يقول: لولا السنتان لهلك النعمان. وترجم في هذه المدّة في نسخة بعض الكتب مثل: منبهات ابن حجر المكي الأردية، والحبلى المتين، والأربعين في أصول الدين للإمام أبي حامد الغزالي، وألف شرح مختصر الميزان باللغة العربية، وكان يلقي دروساً على بعض الطلبة الذين

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ٦٩

^٢ سلسلة العسجد، ص ٣٢ نقلاً عن الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، لدكتور محمد اجتباء الندوي، ص ٦٩

يتحلّقون حوله أحياناً، وتلقى بعض الأسانيد العلمية التي تصل بعضها إلى الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي بواسطة، وسجلها في كتابه سلسلة العسجد.^١

تحينّ القنوجي في هذه الفترة لحضوره إلى مجالس رجال الدين والدولة. "خلال الإقامة في دلهي سعد النواب بالتقاء كبار شخصيات الدولة والدين حيث التقى بالملك المغولي الأخير أبو مظفر محمد سراج الدين بهادر شاه و ولي عهده الميرزا فخر الدين بهادر ومن طبقة الأمراء النواب محمد مصطفى خان مظفر جنك والنواب ضياء الدين خان بهادر والنواب أمين الدين خان بهادر وجالس معهم وتنعم في مجالسهم."^٢

تلقّى الأمير منها أيضاً العلوم الجديدة، من الأساتذة النبلاء، والعلماء الكرماء. وهم: "من طبقة العلماء والوعاظ التقى بالشيخ مخصوص الله والشيخ كريم الله والشيخ الحاج محمد والشيخ نوازش على مهاجر مكة المكرمة والخواجة ضياء الدين تلميذ الشيخ قطب الدين مترجم مشكوة المصابيح والشيخ عبد الخالق والشيخ الخطيب حفيظ الله، والشيخ عبد الكريم والشيخ محبوب علي والشيخ نصير الدين خطيب المسجد الجامع وشارك في مجالسهم. وقد التقى بالمحدث الشهير نذير حسين الدهلوي إلا أنه لم يصحبه إلا قليلاً."^٣

كان فيمن عاد الأمير من الشعراء النابغين في اللغة الأردية في ذلك العصر، ذاع صيتهم في الآفاق. "أمثال: ملك الشعراء الشيخ إبراهيم ذوق الدهلوي، والشيخ إمام بخش الصهبائي والميرزا أسد الله خان الغالب الذي دخل في مجلسه مرة بدون موعد، فتهلل وجهه بشراً، واستشهد بالمثل الفارسي السائر معناه: تفضل أيها الأخ وشرف" ما الذي أتقدم به إليك أيها الشريف احتفاء بك،

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ٧٠

^٢ عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، ص ٤٦

^٣ المصدر نفسه، ص ٤٦

ثم قال: إنني أستضيفك بقصيدة قرضتها بطلب من البلاط الملكي، وهي قصيدة طويلة معروفة، للشاعر الكبير، وكان السيد الأمير يقرأ هذه القصيدة، ويذكر هذا المجلس بحب، ولهفة، وحنان طيلة حياته، ويستعيد ذكريات إقامته بدهلي.^١

الرجوع إلى بلده

بعد ما استفاد من العلماء والأدباء والشعراء والحكماء أراد الأمير أن يعود من دهلي إلى وطنه قنوج، كان عمره آنذاك واحد وعشرون سنة، ولكن لم يمكن الإقامة فيها إلا بضعة أشهر، لم يكن هناك أحد غيره أن يتحمل شؤون البيت وكفالاته، فأصبح متألماً حزينا لئلا يجد أحدا يعاونه في الرزق، أو أن يسد حاجاته بإرشاد إلى وظيفة، وكان يكرر هذه الآية الكريمة 'فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه'. كما يقول عن سوء حاله وفقره وإعالتة: "ليس هناك أي صديق يعاونني حين تشئت البال ولا مواس فأجد عنده المأوى، ومنذ أنا شعرت رأيت اليتيم في كل جانب، وليس درهم ولا دينار ولا معين لي من الأسرة، ولا سبيل للحياة إلا الكسب مع أنه لم يكن هناك أي وسيلة لحصول المعاش، وكان جل التكاليف على رأسي لصغيرهم وكبيرهم، فكيف أنا وسوء الحال."^٢ هكذا اتجه الأمير من دهلي إلى وطنه الحبيب، طلبا للرزق والمعاش.

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ٧٥، ٧٤

^٢ تراجم علماء حديث هند ج ١ ص ٢٨١ مآثر صديقي ج ٢، ص ١٨، نقلا عن محمد منصور عالم، إسهامات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، ص ٤٧

الفصل الثالث

انتقاله إلى إمارة بهوبال وتأسيسه للرقابة الحكومية

كانت بهوبال مركز العلم والثقافة في العصور الوسطى، تقع في وسط الهند وتتضمن على أكثر من مليون ساكن، صارت بعد الاستقلال ولاية من إحدى ولايات البلاد تسمى 'مديا براديش' (Madhya Pradesh). لها دور هام في تاريخ المسلمين بالهند. وقد قيل في سبب تسميتها: "سميت مدينة بهوبال (Bhopal) باسم الملك الذي بناها ألا هو الملك 'بهوج بال' التي حكم المناطق الواقعة في نطاقها 'بهوبال'. تحتوي على جبال وبحيرات عديدة ورأى الملك بحرين، لا توجد بينها مسافة طويلة وأعجبه مناظرهما فبنى جسرا كبيرا بينهما. فاشتهرت المدينة باسمها، حيث أن 'بهوبال' كلمة مركبة من كلمتين: 'بهوج' هو اسم الملك المؤسس و'بال'، معناها الجسر باللغة المحلية و بكثرة استخدام الكلمة سقط صرف الجيم وبقيت بهوبال والتي نكتبها باللغة العربية (بهوبال). ثم طور الملك هذه القرية الصغيرة إلى أن حولها إلى مدينة.^١ اتخذ الملك 'بهوج' هذه المدينة عاصمة، وعمرها وشيّد بها في عصره، فزاد عدد سكانها.

بعد ذلك تسلّط عليها الملك 'نظام شاه' في هذه المنطقة، بل في عهد الملك أورنغ زيب عالمكير عام ١٧٠٧م. إذ سلك الهند مغوار أفغاني الأمير دوست محمد خان وانضمّ بالجند المغولي، في العسكرية شجاعته معروف، ثمّ رحل إلى 'بهيلة' هي بلد ومحطة للقطار على مسافة أميال من بهوبال، واستأجر من محمد شاه 'ناحية بير سيه' بثلاثين ألف روبيا سنويا، أمكن بخلقه وقوة

^١ تاريخ إمارة بهوبال للسيد عابد علي وجدي الحسيني، ص (١٥-١٦) نقلا عن مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي: دراسة تحليلية، لعبيد الرحمن، ص ٣٢

جيشه احتلال 'جكدیش بور' في عصر الملك أورنگ زیب عالمگیر عام ١٧٠٧ وبعض المناطق المتقاربة.

"وفي هذه الأثناء قتل الملك نظام شاه بأيدي بعض أقربائه. فإن زوجته الملكة راني كملاپتي أقسمت على أخذ الثأر منهم ودعت إلى الغزو على منطقة 'شین بورباری' وعرضت مائة ألف روبية على النواب دوست محمد خان على أن يساعدها فقبل النواب خان وغزا وفتح تلك المنطقة فسرّت الملكة وأعطته (٥٠) ألف نقدا وبلدة بهوبال التي كانت تحت أمرها وكانت مدينة بهوبال واقعة بين الجبال والبحيرات وتعطى منظرا جميلا فإن الملك اختارها كعاصمة لها".^١

بعد وفاة الملكة راني كملاپتي وابنه الوحيد 'نول شاه' أيضا ألحق الأمير دوست محمد خان منطقها إلى إمارته، فبنى حصنا متينا سنة ١٧٢٢ م المسمى 'فتح كره'. وكذلك رسخت حكومة عظيمة قوية مستقلة باسم 'إمارة بهوبال'.

النواب دوست محمد خان

كان أول الأمير النواب دوست محمد خان ذي حفاوة وكرامة لأصحاب العلم والفضل، وهو أيضا نابغ في الإنشاء والأدب الفارسي، الأدباء والعلماء من المسلمين والهندوس كانوا يجتمعون في قصره، أشهرهم القاضي محمد صالح وراجه فيجاي رام ديوان والقاضي محمد معظم السنبلي. "كانت بهوبال تستحق بأن تسمى 'دار الأمن' في أتم معنى الكلمة حيث كان يتردد العلماء والفضلاء إلى بهوبال من مختلف أنحاء الهند، وكان يجلس على مأدبة النواب جماعة من الفقراء والعلماء الذين بفضلهم شاع العلم والثقافة وأصبحت المدينة تذكّر".^٢

^١ تاريخ إمارة بهوبال للسيد عابد علي وجدي الحسيني، (١٥-١٦) نقلا عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، ص ٣٣

^٢ تاريخ هندي، بقلم رستم علي السرهندي، ص ٣١١ نقلا عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، ص ٣٥

تولى منصب إمارة بهوبال زهاء ثلاثة عشر نواباً. سنة تولى الحكم

١. النواب سيد دوست محمد خان ١٧٠٨ م
٢. النواب يار محمد خان ١٧٢٦ م
٣. النواب فيض محمد خان ١٧٤٢ م
٤. النواب حيات محمد خان ١٧٤٢ م
٥. النواب غوث محمد خان ١٨٠٨ م
٦. النواب وزير محمد خان ١٨٠٩ م
٧. النواب نظر محمد خان ١٨١٦ م
٨. النواب السيدة غوهر بيكم قدسية ١٨١٩ م
٩. النواب جهانكير محمد خان ١٨٢٧ م
١٠. النواب السيدة سكندر جهان بيكم ١٨٤٤ م
١١. النواب السيدة شاه جهان بيكم ١٨٦٨ م
١٢. النواب السيدة سلطان جهان بيكم ١٩٠١ م
١٣. النواب حميد الله خان ١٩٢٦ م

امتدت الإمارة طوال قرن واحد بأربع سيدات، وهنّ: الأميرات قدسية بيكم، سكندر جهان بيكم، شاه جهان بيكم، (زوجة الأمير صديق خان) وسلطان جهان بيكم ويعتبرن أعظم النساء المسلمات في تاريخ الهند، تعدّ عهود إمارتهنّ أزهى عصور وأزهرها أمناً، وسلاماً، وتقدّماً، ونهضة، وحضارة، ونشر علوم الدينية والأدبية و لاسيّما في عصر الأميرة شاه جهان بيكم. يقول الشيخ محمد عمران خان الندوي الأزهري عن هؤلاء الأميرات السيدات. "كانت قلوب سيّدات بهوبال

مملوءة بالإيمان واليقين، وكن يحملن عواطف إيمانية، وحماسة دينية قوية، فكان الإشراف على النهضة العلمية، والأدبية، والخدمة للعلوم والفنون المتنوعة المختلفة من أحب أعمالهن وواجباتهن، ويشعرن بأريحية عجيبة في خدمة الدين والعلم والأدب، فقد كان من أبرز مميزات إمارة بهوبال في عصورهن الزاهرة هي: نشر العلوم الإسلامية، وتأسيس المدارس الدينية، وتنفيذ القوانين الشرعية، والتربية الدينية الإسلامية، واجتمع بتشجيعهن، وتقديرهن، وحبهن للعلم ورجاله في الإمارة العلماء الأفاضل، والمصلحون، والمؤلفون، فأصبحت بهوبال مركزا للتوحيد الخالص.^١

ويقول أيضا: "بفضل تطبيق الشريعة الإسلامية، وترويج التقاليد الإسلامية بإشراف هؤلاء السيدات، وبركة أولئك العلماء الذين سهرروا على الحفاظ للعلوم الإسلامية والشرعية، وتطبيقها في مصالح الحكم وأوساط الشعب، وقد انقرض الشرك الجلي والخفي، وامّحت البدع والأوهام والضلالات وصورها وأشكالها من هذه الإمارة، وشيدت المساجد، والجوامع فيها أكثر من الدنيا؛ نظرا لسكانها التي وجدت؛ لتوثيق صلات العبد والمعبود، وإنارة الروح، وإشراق النفس، وبثّ الإشعاع الرباني في أرجاء الإمارة، فصارت كلها خيرا، وبركة، ويمنا، وسعادة."^٢ فتنوّرت بهوبال بقدوم العلماء النابغين العباقرة والمصلحين العظماء في عهود شتى.

جهود الأمير للوظائف الاقتصادية

كانت بهوبال حينئذ ملجأ العلماء وموئل الصلحاء ومأوى الفقراء والمساكين، ومركز أصحاب الحاجات والإرب، بعد ما رجع الأمير من دهلي إلى وطنه، كان على رقبتة حمل الأسرة ويربّيها، ولم

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ٧٨

^٢ المصدر نفسه، ص ٧٨

يكن هناك أي وسيلة كفاً لهم، عزم الأمير أن يرحل إلى بلدة بهوبال المحروسة عام ١٨٥٥م، مركز العلم والبحث والفضل طلباً الوظيفة والمعاش، ولم يكن هناك ناصر ولا زعيم ولا صديق حميم، ولكن توكل على الله حقّ توكله، وصل إليها في ٢٥ يوماً، فنزل في بيت مستأجرة وسكن فيه، كانت النواب سكندر بيكم حاكمه آنذاك. فعرفت عنه أحواله البائسة.

"فإنه بلغ عنه حكايته المحزنة ووضع المؤسف إلى النواب السيدة سكندر بيكم التي دعتة إلى بلاطها وأجرت عليه المقابلة وأعربت عن قناعتها وإعجابها به، وباليوم التالي أعطته وظيفة وضمته فيما بين الموظفين الخواص المرتبطين بالبلاط وذلك براتب ثلاثون (٣٠) روبية شهرياً وبالإضافة إلى ذلك كان يخطب في المساجد أيام الجمعة وكانت من عاداته السابقة أنه كان يخطب ويعظ الناس أيام الجمعة في المدينة ولكن طواعياً ومجاناً."^١

أراد الأمير أن يتخلى عن وظيفته ويعود إلى بلده، لأن راتبه لم يكن كافياً لكفالة أسرته، مع ذلك تذكّر وطنه الحبيب وأمه وإخوته هناك، كانت الأميرة راضية عن أعماله الجدية وخدماته الدائمة، رغبت عروساً لبنتها الفريدة شاه جهان بيكم ولية العهد، ولكنّها ندمت على قرار من الحكومة الإنجليزية بنكاحها مع رجل آخر. فعينته في وظيفة شاغرة بإقالة الشيخ عبد العلي خان لراتب ٥٠ روبية، وبعد مدة من الزمن عاد الأمير إلى منصبه الأول لرجوع عبد العلي.

"كان السيد الأمير شاباً حديث العهد بالدراسة، فكان يحب أن يتوسع في العلم والبحث، والتحقيق، والمناقشة في المسائل والقضايا الفقهية ولم تحصل له حنكة وتجربة الحياة المعقدة والتعمق في التفكير عن النتائج، فعرض عليه بعض الناس أن يناقش الشيخ علي عباس في

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ٤٩

مسألة 'تدخين النارجيلة' الذي كان الشيخ يراه مكروها، والأمير يبيحه، فأدت المناقشة إلى غضب الشيخ وسخطه.^١

وقال الشيخ عبد الحميد الرحمانى: "ولكن لم يقض سنة حتى وقع بينه وبين عالم كان على منصب عظيم في المملكة خلاف في مسألة فقهية انتج عن عزل السيد صديق عن وظيفته، ورجع من بهوبال ١١٢١٣-١٦ هـ ١٨٥٦ م إلى الوطن."^٢

وقد ذكر الأمير هذا الحادث بحزن وتأسف في كتابه 'الروض الخضيب' ما ترجمته: "لأجل بعض الأصدقاء صدرت مني هذه المناقشة مع الرجل الذي أحسن إلي، وأسدى إليّ معروفا بأن كان قد توسط لي للوظيفة في الإمارة، وأسأت بها إليه، وأغضبته، وسببت إقالي وعطلي عن العمل."^٣

السفر إلى بلكرام

ولما نشبت الثورة عام ١٨٥٧ م في الهند ضدّ استعمار الإنجليز، فاضطرّ الأمير أن يذهب بأمه وأخواته إلى بلدة بلكرام، هي بلدة مشهورة في العلم والفضل، قريبة من مدينة لكنؤ، في ولاية أوتر براديش، فرحل في سفينة هو وأمه وأخواته، سكنوا في بيت صغير مستأجر بتجشّم كثير من المشقة والصعوبة. "فأقامت أسرته في هذه البلدة. وهذه الحقبة تعتبر من أسوأ وأظلم حقبة للتاريخ الهندي. فإن النواب وكذلك أسرته قضت شهورا في قميص وإزار خشن وخبز واحد في الليلة. فكان إذا يتمزق قميصه يخطه بيده، وإذا يتوسخ لباسه يذهب إلى النهر ويغسله بيده،

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ٨٤

^٢ صوت الجامعة ص ٥٨، نقلا عن الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، الدكتور محمد اجتباء الندوي، م ص ٨٤

^٣ الروض الخضيب، ص ١٦٦ نقلا عن الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، الدكتور محمد اجتباء الندوي، ص ٨٥

وبالرغم من هذه الحالة الصعبة والفقر المدقع لم يلتمس من أحد مساعدة ولم يقتض من أحد، وصبر على سوء وضعه وصعوبة حياته صبر عباد الله الصالحين.^١

وفي هذه الحالة السيئة نظم منظومة في مدح النبي صلعم في اللغة العربية، وسمّاها "القصيدة العنبرية في مدح خير البرية" مطلعها:

اخترت بين أماكن الغبراء	دار الكرامة بقعة الزوراء
هل لي مكان فيه طلبوا	حتى من دونها في البر والدّماء
ما فضلها فوق المواضع كلها	إلا لعرف فاح في الأرجاء
قلبي يطير إلى طيور مروجها	وإلى جوار رياضها الغناء
بأبي بلاقها التي فاقت على	وادي المقدس مهبط الإحياء
كيف الوصول إلى منازل طيبة	فيها لمفتقر حصول رجاء
إني عشقت على إقامة طابة	فمتى أفوز بجنة الدنيا ^٢

يظهر الأمير في هذه القصيدة عن زيارة النبي صلعم في منامه، بعد صلاة التهجد. "حيث كان يقيم في القنوج. إنه رأى في المنام أنه قدم من القصر إلى قاعة الجلوس، ورأى في حديقته دكات صغيرة موضوعة تجري تحتها مياه صافية نقية، ويتشرف على إحدى هذه الدكات نبينا صلى الله عليه وسلم، فداه أبي وأمي وأمامه كثير من الرمانات، وفي هذه الأثناء قال أحد النواب أنظر إلى محمد

^١ عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، ص ٥١

^٢ القصيدة العنبرية في مدح خير البرية، نقلا عن الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، الدكتور محمد اجتباء الندوي، ص ٨٦

مصطفى صلى الله عليه وسلم يتشرف هناك، فاقتربت قليلا وسلمت عليه بكل تقدير واحترام وأجاب صلى الله عليه بتحية وفجاءة ونظرت إلى رأسه المبروك.^١

يعبر هذه البشرى المباركة في قصيدة رائعة استهلها:

رأيت رسول الله في النوم ليلةً
وقد كنت مشتاقا إليه متيما
فسلمت تسليما كريما معطرا
وصادفت وجهها شريفا معظما
وناولني رمانتين برأفة
وأولى نصيبا من عطاء متمما
وغان تغنى في جوانب بقعة
بصوت حزين مستبين ترنما
فطار فؤادي من غناه تأثرا
وسالت دموعي في هواه معمما^٢

بينما كان يبقي في بلكرام خاليا من الوظيفة، انتهز هذه الفرصة المناسبة في حفظ القرآن الكريم، وجد طمأنينة قلبه وانشرح صدره في تلاوة القرآن وحفظه.

زواجه مع السيدة ذكية بيكم

كان نائب رئيس إمارة الدولة الشيخ جمال الدين خان بهادر، هو رجل متدين متمسك بدينه، ومشغوف في ترويج السنة النبوية، له بنتان السيدة رجي بيكم و السيدة ذكية بيكم، كانت أرملة متدينة متواظبة، هي أيضا عالمة في العلوم الإسلامية، وماهرة في اللغات شتى مثل: الأردية، الفارسية، العربية وغيرها. نكحها والدها مع رجل صالح، ولكن مات عنها في صغر سنها. بعد ما

^١ عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، ص ٥٢

^٢ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ٨٨، ٨٩

تعين السيد في وظيفة كتابة تاريخ بهوبال، جذب اهتمام الأميرة وخلص انتباه الشيخ جمال الدين، في إخلاصه وتنسيقه وترتيبه، انتهى الشيخ جمال الدين أن يزوج ابنته الأرملة للأمير.

استفاد الأمير بزواجها كثير من الفوائد وهي مايلي: "و شاء الله أن يتمكن بهذا الزواج في إمارة بهوبال، ويستقرّ فيها، ويبعث فيها حياة دينية وعلمية جديدة، وكان قد استطاع أن يتولى منصباً كبيراً في الحكم، فتحسنّت حالته الاقتصادية، فطلب والدته وشقيقاته إلى بهول، فاجتمعت العائلة، وعاشت عيشة طيبة." ^١ ورزق منها الابن الفاضل السيد نور الحسن والسيد علي الحسن والبنات الفاضلتين صفية وحفصة ولكنها ماتت في أيام الرضاعة. ^٢

سفره للحجّ وتلقّيه العلوم

خلال هذه الفترة أحسّ بألم شديد بفراق أعضاء أسرته، أضعف هذا الحزن بوفاة النواب سكندر بيكم، فارقت الدنيا سنة ١٢٨٥ هـ. تولى السيدة النواب شاه جهان بيكم خلافة الدولة عام ١٨٦٨ م.

كان الأمير يتمنى أن يشد الرحال إلى الحجّ، وزيارة المكة المكرمة والمدينة المنورة، واستفادة من العلماء والمشايخ منها. ولم يستطع أمله في بلوغ الغاية، قدّم الطلب إلى الأميرة سكندر بيكم، إلا أنّها مرضت فانتقلت إلى جوار رحمة الله عام ١٨٦٧ م.

وفي عهد الخلافة الأميرة شاه جهان بيكم، أذنت له وكتّته توزيع الهدايا والتبرعات للأعلام والمساكين في الحرمين. بدأ رحلته قاصداً إلى مكة المكرمة في شهر شعبان عام ١٢٨٥ هـ. كان

^١ الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ٩٩ نقلا عن إسهامات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، بقلم محمد منصور عالم، ص ٥٠.

^٢ إبقاء المنن بإلقاء المحن، ص ١٢٩ نقلا عن إسهامات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، بقلم محمد منصور عالم، ص ٥٠.

سفره في سفينة عن طريق البحر، واجه كثيرا من المصائب والمشقات خلال هذه الرحلة بسبب سوء الطقس واستخدام ماء البحر.

خلال هذه الرحلة تحين الأمير في اشتراء الكتب والرسائل القيّمة. نسخ الأمير خمسا وعشرين رسالة من رسائل السيد محمد إسماعيل الأمير صاحب 'سبل السلام' واشترى الكتب 'اقتضاء الصراط المستقيم' لشيخ الإسلام ابن تيمية، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في الأصول، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار (النصف الأول).

استأنف من 'حديده' في شهر شوال ١٢٨٥ هـ استغرقت الرحلة شهرا، بسبب هبوب الرياح وتغيّر الطقس وشدة الغيث، أخيرا أرسّت السفينة في شهر ذي القعدة ١٢٨٥ هـ في شاطئ جدّه. أنشد الأمير مخاطبا مكة المكرمة:

أبطحاء مكة هذا الذي أراه عيانا وهذا أنا^١

بعد ما استراح بعض الأيام راح من جدّه إلى بيت الله الكريم، فحجّ على سنّة رسول الله صلعم، بذل معظم الأحيان في القراءة والعبادة، ونقل المؤلفات الشاذّة، مثل 'السياسة الشرعية' للعلامة ابن تيمية. ثمّ رافق الأمير مع القافلة تتجه إلى المدينة، قاصدا إلى زيارة المسجد النبوي وروضة الرسول صلعم، فلمّا وجدها قال :

"بطيب رسول الله طاب نسيمها فما المسك والكافور والصنّدل الرطب"^٢

"وفي أثناء سفره المبارك كان يدوم في مشاغله العلمية بالتأليف، ونسخ الكتب ورجع عن طريق عدن بعد ثمانية أشهر إلى بهوفال عام ١٢٨٦ هـ. فرحّب به الأقرباء والأصدقاء وفرحوا بعودته

^١ الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ١٠٢ نقلا عن إسهامات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، بقلم محمد منصور عالم، ص ٥١

^٢ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ١٠٢

بسلامة وعافية، وكانت الرحلة هذه مفيدة جدا غيرت مجرى حياة الأمير في مجالاتها المتنوعة، وألف عن سفره هذا كتابه الشهير 'رحلة الصديق إلى البيت العتيق'.^١ اسغرقت هذه الرحلة ثمانية أشهر، حظي الأمير بأداء حج وعمرتين، كان السفر مفيدا جدا وأثر في حياته العلمية والسياسية.

تعيين الأمير في مناصب عالية

أ: ناظر للمعارف

بعد عودة النواب من مكة المكرمة شعرت الحاكمة شاه جهان بيكم أن إصلاحات في مجال التعليم حاجة ماسة، فوكلت هذا المنصب إلى الأمير، أتاح له الفرصة في تربية الجيل الجديد، وترقية في مجال التربية بعلمه الشامل وخبرته الكامل، كان يعتز بها هي خدمة كبرى من الخدمات الأخرى. "بقي الأمير على هذا المنصب سنة واحدة فحسب، ولكنه قام بأعمال لا يمكن لغيره إلا أن يقوم بها في سنوات؛ فقد انتخب المدرسين الأكفاء، والعلماء البارزين، والمفكرين الممتازين، وعيّنهم في المدارس والأعمال الثقافية والعلمية، وأكرمهم، وقدم لهم رواتب ضخمة، وكان يحمد الله على هذه النعمة التي أسبغها بها، وأتاح له هذه الفرصة".^٢

ب: رئيس الديوان الأميري

لما أتمّ الأمير في منصب ناظر المدرسة عام، فعرفت شاه جهان بيكم أهمية الرئيس في شؤون الدولة. "توسعت أعمال الإمارة في عهد الأميرة شاه جهان بيكم، فاحتاجت إلى توسعة في

^١ صوت الجامعة، ذوا القعدة ١٣٩٠ هـ، ص: ٦٠، ٦١ نقلا، إسهامات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، بقلم

محمد منصور عالم، ص ٥١

^٢ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ١١٠

الديوان، وتعيين رئيس له قدير جدير بكتابة الرسائل والوثائق ذات قيمة، والإشراف على شؤون الإنشاء، وتنسيق الملفات الحكومية، فوقع نظرها على الأمير صديق حسن الذي لم يكن قد تولى أمرا في الإمارة إلا أتقن وأجاد، فنقلته من نظارة المعارف إلى الديوان، ومنحته منصب سكرتها الخاص، وذلك في شعبان ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م. ومنحته لقب 'خان' فقام بهذا المنصب خير قيام أعجب به الناس.^١ حاز به الأمير منزلة عالية لدى الحاكمة بعلمه الواسع وقريحته الفريدة، وازداد نفوذه العلمي في الشؤون الإدارية والدينية.

زواجه للأميرة شاه جهان بيكم

كانت بهوبال في عهد الأميرة شاه جهان بيكم واجهت كثيرا من المشاكل والقضايا، لأن حكومة الإنجليز أصدرت القوانين والأوامر، فاضطرت الأميرة إلى مشير خاص في شؤون الإدارة، فاستشارت لحاكم البريطاني في هذا الأمر. "وشعر الوكيل الإنجليزي بصعوبة الأميرة، فأشار عليها خلال الرحلة إلى كلكتا للقاء سمو الأمير ديوك آف إيدنبراء الذي قدم لزيارة الهند أن تختار لها زوجا صالحا بحيث يعاونها في مسؤوليات الحكم، فقالت: إن نكاح الأياى في ديننا لا يمنع، فقد قال ربنا تعالى: (وَانكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ) ولكنني سأفكر في الموضوع، وإن وجدت كفوا أستأذن الحكومة حسب القانون الإنجليزي.^٢

شاورت الأميرة في هذا الأمر الناصحين والمقربين في شؤون الدولة، أخيرا عازمت على نكاح الأمير صديق حسن خان، هي كتبت بنفسها عن هذا الزواج. "إنني انتخبت لهذا الأمر الحسن بعد أن

^١ الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١١٠ نقلا عن إسهامات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، بقلم

محمد منصور عالم، ص ٥٢

^٢ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١١١

استشرت أعيان الإمارة، وأمراء الحكم، ومحيي الأسرة، السكرتير السيّد صديق حسن خان، إنه موظّف في الإمارة منذ سبع عشرة سنة، كان كاتباً لأمي الأميرة سكندر بيكم مدة من الزمن، ثم لما رأت الأميرة المغفورة لها فيه العلم والفضل والكفاءة؛ فوضت إليه أمر تدوين تاريخ بهوبال، وجعلته رئيساً لهذا القسم، وصار بعد ذلك ناظراً للمعارف، وأخيراً انتخب سكرتيراً في ديواننا الخاص.^١

لما حصلت الموافقة من الحكومة الإنجليزية رسمياً، تمّ إجراء حفلة العرس بإرشاد من النائب الأول للإمارة الشيخ جمال الدين المؤرّخ ١٨٧١/٥/٨ م. هنّأت فيها بواسطة ملكة بريطانيا وكتوريا أجمل التهاني إلى الزوجين، شارك فيها أيضاً الأعلام البارزون، والشخصيات البارزة، وعامة الناس في البلاد. وقد قال عبد الحي الحسني عن هذا النكاح كما يلي:

"وكان يتردّد (السيّد الأمير) بحكم منصبه إلى نواب شاه جهان بيكم ملكة بهوبال، ويمثل بين يديها، فألقى الله في قلبها محبته، فقربته إلى نفسها، وكانت أيّماً مات زوجها النواب باقي محمد خان قبل سنوات، وقد اقترحت عليها الحكومة الإنجليزية بالزواج ليكون زوجها بجوارها ليساعدها في شؤون الحكومة والإدارة، فتزوجت به؛ لما علمت من شرف نبلة، وغزارة علمه، واستقامة سيرته، سنة سبع وثمانين ومئتين وألف، وجعلته معتمد المهام سنة ثمان وثمانين ومئتين وألف. ومنحته إقطاعاً من الأرض الخراجية تغلّ له خمسين ألف روبية في كل سنة."^٢

اشتهت شاه جهان بيكم للأمير كل الألقاب والتقديرات التي أعطيت لزوجها الأول، أرسلت إلى الميجور وليم ولي آسبرن بهادر رسالة، الوكيل السياسي الإنجليزي أن يردّ إليه المناصب التالية:

^١ تعريب من كتابها 'تاج الإقبال، ج ٣ ف ٤ ص ٢٧-٢٨ نقلاً عن الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، الدكتور محمد اجتباء الندوي، ص ١١١

^٢ نزهة الخواطر، ج ٨ ص ١٩٠، ١٨٩، نقلاً عن الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، الدكتور محمد اجتباء الندوي، ص ١١٣

١. كان الزوج الأول لقب من قبل الدولة البريطانية بلقب 'نظير الدولة' فينبغي أن يمنح الأمير هذا اللقب.

٢. الخلع الفاخرة من قبل حاكم الهند الإنجليزي.

٣. إطلاق المدافع سبع عشرة طلقة حين زيارته لمنطقة بهوفال ذهابا وإيابا، أو عند لقاء الحكام الإنجليزي.

٤. تقديم الهدايا والنذور حين منح الخلع من قبل رؤساء الجيش الإنجليزي.

٥. قدوم وكيل الدولة البريطانية لترحيب الأمير إلى قنطرة جهانكير آباد

٦. أمناء الوكالة الإنجليزية لمنطقة سهور، واندور يتقدمون للترحيب إلى باب بد هواره' بهوبال.

٧. عندما يأتي الحكام الإنجليزي إلى بهوبال، يذهبون لزيارة الأمير بقصره.^١

قبلت الحكومة الإنجليزية جميع هذه المطالب بدون شرط، ومنحت له ضيعة كبيرة كانت تغل بقتّوج نحو ٧٥ روبية سنويا وخلعت عليه بالملابس الفاخرة، ولقبته 'نواب والا جاه أمير الملك سيد محمد صديق حسن خان بهادر' وأمرله بالترحيب والتقدير في ربوع الهند كلها. وبذلك أصبح المجال واسعا للعمل بإشارة من الأميرة ومؤازرتها طبقا للمشاريع والمخططات للإمارة.^٢

الأميرة شاه جهان بيكم

ولدت شاه جهان بيكم في 'إسلام نكر' ١٢٥٤هـ، نشأت وترعرعت في حضان أمها، وترّبت وتمهّرت على الشيخ جمال الدين خان، تولّت الإمارة وهي في التاسعة من عمرها بعد موت والدها جهانكير

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١١٨

^٢ الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١١٨، ١١٩ نقلا عن محمد منصور عالم، إسهامات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، ص ٥٤

خان، ولكن استقالت من الإمارة ومنحت إلى أمها لصغر سنّها، لما توفيت والدتها عام ١٢٥٨هـ تولّت الإمارة بهوبال. في عصرها تطوّرا في كل ميدان من ميادين الحياة، سياسيا، وحضاريا، وتربويا، واقتصاديا، ودينيا، وخلقيا. لها دور حاسم في ترقية إمارتها. المباني الضخمة الشامخة للمدارس والمساجد والمعاهد شاهد خرس لإصلاحاتها.

حرّضت الأميرة العلماء والعمّال، وعرفت أحوالهم مباشرة، وحلّت قضاياهم، ورحلت في أرجاء الهند مثل: دهلي، وممباي، وكلكتة وشاركت في الحفلات، كانت مؤلفة ماهرة، لها كتب: تاج الإقبال في تاريخ بهوبال، وديوان الشعر بالأردو، وتهذيب النسوان.

ويذكر الأمير صديق حسن خان عنها: ولدت بحصن 'إسلام نكر' على ثلاثة فراسخ من بهوبال سنة ١٢٥٤هـ، وحصلت الفنون الفارسية، وتعلّمت الخطّ والكتابة، واستفادت سليقة الرياسة والسياسة، حتى بدّت في ذلك الأقران. وامتازت بينهم في القدرة على ترجمة القرآن، وتحرير الرسائل الدينية، وتقرير المسائل الدولية، وجامعة للفضائل النبوية والأخوية يضرب بها المثل في الذكاء والحفظ والكرم والرحمة والجود، فهي إنسان عين الشهود، وعين إنسان الوجود.^١ تطوّرت الدولة في كل مجال بنفوذ الأمير في شؤون الإمارة، شجّعت شاه جهان بيكم في شأنه كله، عزم الوكيل البريطانية إطلاق ١٧ مدفعية تحية للأمير في كافة المناطق الهندية.

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١١٥

الفصل الرابع

التقولات والوشايات بحقه، وموقفها من الحقيقة

لما تولى صديق حسن خان مستشارا خاصا ومنح اللقب 'النواب' والا جاه أمير الملك 'قصد أن يتدخل في شؤون الدولة تدخلا فعّالا. وأن يحقق لقب 'النواب' بأعماله الخالصة وإصلاحاته النيرة، كان يستهل الشيخ جمال الدين تلميذ نجل الإمام شاه عبد العزيز الدهلوي دعوة الإمام شاه ولي الله الدهلوي وحركته تجديدية من قبل، شارك معه ولية العهد شاه جهان بيكم، وسهل الطريق قدوم الأمير إلهيا وزواجه بالأميرة، ازدهر سماء الدولة بنور الإيمان والسلامة^١.

لم يكن التحدّيات والحواجز سهلا في تنفيذ الشريعة الإسلامية، لأن الدولة تابعت منذ مئات السنين استبدادا وسيطرة فقط، كانت تركز أحكاما ممّا لا تليق الحقّ والباطل، كان الشعب يعاني كثير من المصائب والمظالم، ومن هنا تقدّم الأمير والأميرة لترقية شاملة في الدولة، وضع الخطط التي تتحقق على المدى الطويل، وهي :

١. تحديد الأراضي وتوزيعها بين الفلاحين كما يستحقون.

٢. تحديد الإقطاعية وإعادتها إلى أصحابها.

٣. رفع الضرائب الثقيلة.

٤. تنظيم نظام الزكاة طبقا للشريعة الإسلامية.

٥. تنظيم محاكم وتعيين قضاة عادلين.

٦. إصلاح نظام الشرطة.

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١١٩

٧. تأسيس مدارس في أنحاء الإمارة للتعليم والتربية.
 ٨. فتح مكتبات عامة زاخرة الكتب.
 ٩. إنشاء إدارة الحسبة (مكتبة التفتيش والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)
 ١٠. إنشاء المطابع الحجرية لطباعة الكتب القديمة والحديثة.
 ١١. إحياء إدارة الشؤون الدينية، والتعيين فيها علماء صالحين، وتنظيم المساجد وتشبيدها في العاصمة والمدن والقرى، وإنشاء الكتاتيب فيها لقراءة القرآن ومبادئ الإسلام.
 ١٢. إنشاء مجلس الشورى للحكم على أساس "وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ"
 ١٣. تنظيم جيش الإمارة من جديد، وتحديد الرواتب حسب المراتب.
 ١٤. إنشاء مصلحة للبناء والتشييد للمباني الحكومية، والمساكن الشعبية.
 ١٥. نشر الوعي الإسلامي، وبثّ التوعية الفكرية والخلقية في الإمارة.
 ١٦. الترغيب إلى نكاح الأيامى وزواج الأرامل، وتحريم الربا، والرشوة، وتعاطي المسكرات والقمار التي كانت عامة في الإمارة.^١
- هذه الخطوات الإصلاحية التي أظهر الأمير بتمام القريحة والحنكة والنصيحة، ولم يقصد به إلا وجه الله وخير أمته. واعتنى بكل ميدان من ميادين الحياة الإنسانية لينفذ فيها الشريعة الإسلامية، وبهذه الخطوات نتجت أثمار يانعة، أنشأ منهجاً تعليمياً اعتنى فيه مستجدات العصرية وأصالة روح الإسلام، المناهج الدراسية حاوية من العلوم الدينية والعلوم العصرية، أسس لهذه الأهداف المدارس والمكتبات والمطابع الضخمة الشامخة المتمكنة مثل: المدرسة

^١ الدكتور محمد اجتهاد الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٢٠، ١٢١

الصدیقیة، المدرسة البلیسیة، المدرسة السلیمانیة، المدرسة الجهانکیریة. ومن المکتبات: مکتبة والا جاهی، مکتبة فیض عام العامة، المکتبة الجهانکیریة العامة، المکتبة الأمیره الخاصة. من المطابع: المطبع الشاه جهانی، المطبع الصدیقی، المطبع السکندری، المطبع السلطانی.^١

أراد الأمير بهذه الخطط لتربية الشعب تربية إسلامية، وتثقيفهم تثقيفا دينيا. "بل ركّز جهوده في إعداد مناهج تعليمية دينية، وذخائر فكرية سليمة، وتوجيهات رشيدة مفيدة، بعمل صامت رتيب، وبخطة ساكنة خفية بين طيات الكتب، ومشاريع علمية وفكرية بناءة، ولولا هذه المجهودات المركزة لضاع التراث الإسلامي الكبير، ولما وصل إلينا إلا النذر اليسير، ونجح السيد نجاحا بارزا، فقد تغيرت غير الأرض، وتحوّلت الإمارة إلى حدّ كبير إلى إمارة إسلامية يذكر فيها الله تعالى، ويعمل بالكتاب والسنة، واختفت حوانيت الخمر والمسكرات، وأمكنة القمار والفجور، وارتفعت نغمات التوحيد والعلم والدين بين أوساط الشعب."^٢

أمكن الأمير صيرورة تاريخية في شعب بهوبال خاصة، وفي الأمة الإسلامية بالهند عامة، وردّت السلامة والسخاء بين الناس. وانتقى المجتمع من الشرور والمنكرات والكبائر والفجور. وفي هذه الفترة استحقّت الأميرة شاه جهان بيكم وسام 'نجمة الهند'. شاركت في حفلة تقديرية التي عقدت بمومباي عام ١٨٧٢ م، يرافق معها الأمير في هذه الرحلة. ثمّ أخبرت أيضا ينبغي أن تحضر هي وولية العهد وأعلام الإمارة في ملتقى عامة سيجري في كلكتا سنة ١٨٨٢ م. ورّبت الدولة البريطانية المجالس على حسب التالي:

المجلس الأول: للأميرة شاه جهان بيكم

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ١٢٦

^٢ المصدر نفسه، ص ١٢٩، ١٣٠

المجلس الثاني: للأمير صديق حسن خان

المجلس الثالث: لولية العهد سلطان جهان بيكم

هذا التنظيم والترتيب أثارت في قلب ولية العهد سلطان جهان بيكم الاتهامات والأوهام على الأمير. فأدّت إلى تفريق نفوس في عائلة الأميرية. "غضبت ولية العهد سلطان جهان بيكم من هذا التنسيق للكراسي، وطلبت الأمير صديق حسن على الفور وسألته: لم وضعتم كرسي بعد كرسيكم مع أنني ولية العهد، فأجاب الأمير بلطف: إنني لم آمر بذلك، بل الحكومة هي التي نظّمت الحفل هكذا، وسمع بالأمر وكيل الإمارة، فجاء إلى ولية العهد وشرح لها الأمر، ونصحها، وقال إنه مثل والدك، شفوق بك، ويحق أن يتقدّمك، ونصحها أمّها الأميرة كثيرا، ولكن نار النقمة ما انطفأت، بل بدأت من هذا اليوم تشتدّ، وتتظاهر بعد أن كانت خبيئة مطمورة في القلوب."^١

مع ذلك ذاع صيت نواب صديق حسن خان القنوجي في الآفاق، وازداد شهرته داخل الدولة وخارجها يوما فيوما، الاعترافات والتقديرية حازت من دون طلبها، بلغت شهرته على أوجّ كمالها، انطلاق من الرفعة العالية عللت على ظهور الأعداء والمعاندين والمنكرين. وتكاتفهم وتساعدهم عليه.

"يعود تاريخ أسباب الخلاف مع النواب صديق حسن خان إلى عقد الزواج مع نواب، الإمارة حيث جعلته مساعدا ومستشارا في الإدارة وسير الحكومة الأمر الذي أضرم نار الحقد في قلوب بعض أفراد الأسرة الحاكمة، وكذلك أصحاب المصالح الذاتية. بدأت نار الحقد والبغضاء أولا أن الناس بدءوا يكتبون الشكاوى إلى النواب وبصورة مستمرة ولما لم تنتج هذه الرسائل والشكاوى

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٢٢

عن الأثر المطلوب فإنه بدأت ترد إلى النواب من المناطق المجاورة للإمارة مثل سيهور وهو شنك آباد رسائل تهديد وتخويف وسب وقتل ولكن بدون أن تذكر على هذه الرسائل أسماء الأشخاص المرسلين.^١

عندما فشلت الانتقادات حاولوا محاولة ذليلة شنيعة، بإشاعة الأكاذيب والمفتريات بين الناس، وينقلونها إلى الحكام البريطانيين، تحيّن الأعداء كل فرصة في سبيله، من ضمن ذلك تدل عليه أن شاه جهان بيكم لم تتمكن الذهاب إلى ترحيب سرهيري دهلي (Resident Central India) عندما قدم بهوبال، فحاولوا أن يبذر الحقد والبغض في قلب حاكم الإنجليز، أشاعوا أيضا أنه حرّض على الإنجليز للجهاد والثورة، الاتّهامات ملخّصة كما يلي:

١. تحريض المسلمين على الجهاد في بعض كتبه.

٢. ترويج عقيدة الوهابية.

٣. إكراه النواب الحجاب الشرعي وسيطرته بأمور الدولة .

٤. مصادرة الإقطاعيات.

٥. التشديد في تطبيق القوانين.

٦. التفريق بين أعضاء العائلة الحاكمة.

٧. بذر الخلاف بين الأميرة وولية العهد.

حقيقة الافتراءات

^١ مآثر صديقي، ج ٣/ص ١٢٥ نقلا عن مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي: لعبيد الرحمن، ص ٦٢

فتحليل الاتهامات المذكورة بأعلاه على حسب الظروف والأوضاع وحقائقها الأساسية كما يلي:

(١) تحريض المسلمين على الجهاد.

هذه تهمة مخالف للواقع، وليس مؤلفاته خالية من مجال من المجالات الدينية، ولم يحرض المسلمين الجهاد ضد حكومة الإنجليزي. بل احترمت الحكومة الإنجليزي بمنح التقديرات والألقاب ومدح عليه الحكام البريطانيون شفويا وخطياً.^١

(٢) ترويج عقيدة الوهابية.

تنسب كلمة 'الوهابية'، إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي، هو عالم كبير ورائد الدعوة إلى القرآن والسنة. فلم يكن ذلك الاسم استهزاء ولومة. "وفي الحقيقة كلمة 'الوهابي' سب وشتم في حق جماعة أهل الحديث التي لا ترى جوازاً للتقليد المحض والاتباع الأعمى إلا اتباع الكتاب والسنة وطريقة السلف الصالحين، ولوكان من الأئمة الأربعة المجتهدين مثلاً الإمام أبوحنيفة والإمام الشافعي أو من طبقة الأئمة المحدثين مثل الإمام المسلم وغيره فكيف يمكن لمثل هذه الجماعة أن تقلد الشيخ عبد الوهاب أو غيره."^٢

إكراه النواب الحجاب الشرعي وسيطرته بأمور الدولة.

هذا أيضاً دعاوى باطلة. "إن الأميرة كانت مثقفة ثقافة إسلامية دينية، و متمسكة بواجبات الدين وشعائر الإسلام، ملتزمة، فاختارت بنفسها، وعن وعي وعلى بصيرة بالحجاب الشرعي قبل هذا

^١ عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، ص ٦٤

^٢ مآثر صديقي، ٣/ ص ١٢٦ نقلاً عن مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي: لعبيد الرحمن، ص ٦٦

الزواج الثاني، وازدادت بعد زواجها مع الأمير أكثر عناية بالحجاب، وأشد تمسكا بالسنة، وزهدا، وتقى.^١

كانت الأميرة خبيرة بقوانين البلاد، وماهرة في تدبير شؤون الدولة، ولكنها نفرت الدخول عليها غير المحارم، ولهذا هي اعتادت منذ صغر سنّ الحجاب الشرعي، وكانت تحبّ حضرة الأمير في مجلسها. قاصدة لتقضي للأمير وظائفها دون مشقة وصعبة.

(٣) مصادرة الاقطاعيات.

هناك حادثان اثنان :

الأول: يتعلق برجل من الأسرة المالكة هو الأمير محمد ياسين خان، كانت باسمه إقطاعية، فنشأت منه مخالفة، ونقض العهد، فغضبت الأميرة، وصادرت إقطاعيته، ولكن أعادتها له بعد مدة.

الثاني: كان إقطاع للمفتي محمد رسول، واستقرض من الأميرة قدسية بيكم، ولم يرده على الميعاد، فصودر عقابا، ولكنه أعيد إليه أيضا، وليس هناك أكثر من حادثين اثنين وقعا في عصر السيد، ولم يكن له فيه أي أمر، ولا إشارة، ولا نفع، ولا جانبية.^٢

(٥) التشديد في تطبيق القوانين.

إن الواقع على خلاف ذلك، فقد رفع السيد الأمير الظلم، ووزع الأراضي بين الفلاحين، وهيا لهم التسهيلات الكثيرة، وأعفي من الضرائب المرهقة، نعم، إنه طبق ما أمكن في الأمور كلها القوانين

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأميرسيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٤٧

^٢ المصدر نفسه، ص ١٤٩

الشرعية، وأصدر الأوامر للقضاء على المحرمات، والمسكرات: والإباحية والمجون والبدع، والأوهام ولإقامة الصلوات، والصيام، وتأدية الزكاة، وإحياء شعائر الإسلام بأنحاء الإمارة، فهل كان ذلك تعصبا وتشددا؟^١

٦) التفريق بين أعضاء العائلة الحاكمة.

الحقيقة أن الخلاف بين شاه جهان بيكم وقدسية بيكم قديمة، زاد هذا بعد زواج الأمير الحاكمة شاه جهان بيكم.

٧) بذور الخلاف بين الأميرة وولية العهد.

هذا أيضا افتراء بين. "وأما إيقاع الخلاف بين الأم شاه جهان بيغم وابنتها وولية العهد سلطان جهان بيغم فهو كذب وزور وبهتان عظيم، والله يشهد بأن السيد براء منه، وعرف القارئ تماما عن حسن معاملته، وزهده عن تولية الإمارة، والحكومة، والسلطة، ولم يعمل ذلك إلا رضاء لله تعالى، وخدمة للدين وأهله، ووفاء للإمارة والأسرة المالكة التي آوته، وقدمت له وظيفة حين كان بحاجة ماسة إليها."^٢

وبعد دراسة وبحث أنه واضح، هذه المفتريات والإتهامات مخالف للواقع والحقيقة، نتج هذه كلها من الحسد والحقد والعداء، يريدون بها تشويه سمعة الأمير ومكانته، وأيضا أضرمت الحكومة البريطانية نار الحقد عليه، فشاعت الأسرة الأميرية هذه الدعاوى الباطلة.

مواجهة الابتلاء والمحن والصبر عليها

جرت دعاية باطلة على الأمير وإصلاحاته المثالية، منذ عقد زواجه الأميرة شاه جهان بيكم، وإعتلاؤه تدريجيا على مناصب شتى في الإمارة، مع أنه قدم من خارج بهوبال وعين في مناصب

^١ الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٤٩ نقلا عن إسهاب النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، لمحمد منصور عالم، ص ٥٦

^٢ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٥٠، ١٥١

مختلفة، وتناول وظائف شتى في الإمارة، مثل: وزير لشؤون التعليم ورئيسا للديوان الأميري ونائبا للملكة، وعروسا للأميرة. فينفذ الإصلاحات المثالية في الدولة، فتندرج به الدولة في نواح متنوعة، هذه كلها أثارت في قلوب الأعداء حقدا وعداوة عليه.

"فإن الخطوات الجريئة الإصلاحية الشاملة للسيد صديق حسن خان التي ذكرناها في الأوراق السابقة كانت مثار ظن، وموقع إثارة الفتن، وسبب إيقافه عن مشاريعه المرجوة في المستقبل، ولم تكن إساءة الظن بعد إصلاحه العام وتدبير الحكم مع السيدة الأميرة، وصدور مؤلفاته القيمة ونشر مبادئ الإسلام وأحكامه بالسيد من جهة خاصة، أو الإنجليز وحدهم، بل كانت هناك جهات مختلفة: من العائلة الأميرية، ورجال الحكم وموظفيه، والإنجليز، وعملائهم، وبعض المعاصرين من العلماء السوء، وقديما قيل: مفاسد الجهل كثيرة لا تحصى، والمعاصرة أصل المنافرة."^١

ومن جانب آخر نتج الحقد والبغض من الأسرة الأميرية منذ زواجه بالحاكمة، فما أحببت قدسية بيكم هذا الزواج، فأيدتها بعض رجال العائلة، ففرّقوا بين قلوب ولية العهد سلطان جهان بيكم والأمير، وقعت في اتّهامتهم ستتحول الإمارة إلى نسبه حتى ما فعلوا عليه. "كانت الأسرة المالكة ورجالها أطعموا الأميرة بعد زواجها مباشرة أدوية العقم عن طريق بعض نساء القصر، كيلا تنجب ولدا، فينتقل الحكم من هذه الأسرة إلى أسرة الأمير صديق حسن خان."^٢

ومن هنا أخذ أن يمتحن في عيشه، ولكن صبر مثل ما صبر الأنبياء والصالحون، وجد في المحن والشدائد حلاوة واحتساب، أخيرا أدّى إلى تفريق بينه وبين زوجته وإلى انتزاع ألقابه واستيلائه من

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ١٤١

^٢ المصدر نفسه، ص ١٤٢

ملكه. "ومن هنا بدأت محن السيّد الأمير وابتلاؤه، وقاسى شدائد، وأذى، وإهانات، وانتزاعاً للألقاب، والسلطات، ومنع عن كل عمل إداري وحكومي، حتى حيل بينه وبين زوجته الوفية المخلصة الأميرة شاه جهان، فنهى عن الإقامة معها في قصرها، فانتقل إلى قصره 'نور محل'. وكان الأمر كذلك إلى ثمانية أشهر، فذهبت الأميرة نفسها إلى كلكتة، وكلّمت حاكم الهند العام واستأذنت للإقامة معه في قصرها، فأكرمها الحاكم، وأذن لها، و وعد: أنه سيصدر الأوامر لإجراءات أخرى."

مرض الاستسقاء ووفاته

قضى النواب صديق حسن خان القنوجي آخر حياته بتحمّل المصائب والمحن، مضى في احتساب وابتهاال، كانت معه زوجته في تسليّة والسلوان، تحاول أن تقلل آلامه وأحزانه. علاوة على هذا أصابه مرض الاستسقاء، وبدأ يشدد المرض رويدا رويدا، ويتعرّض لطريح الفراش. "إن الأمير المحدث عاش أواخر سنواته مظلوما مضطهدا، وأصيب سنة ١٣٠٧ هـ بمرض الاستسقاء واشتد به المرض، وأعياه العلاج، واعتراه الذهول والإغماء، وكانت أنامله تتحرك كأنه مشغول بالكتابة، وفي ليلة التاسع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٠٧ الهجرية، الموافق ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٠ الميلادية، فلما كان نصف الليل فاضت على لسانه كلمة. 'أُحِبُّ لِقَاءَ اللَّهِ' قالها مرة أو مرتين، وطلب الماء، واحتضر وفاضت نفسه، توفي وله من العمر تسعة وخمسون سنة وثلاثة أشهر، ودفن بهوبال وشيعت جنازته في جمع حاشد، وكانت أكبر جنازة في تاريخ بهوبال." ٢ تغمّده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنّاته. آمين

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، ص ١٤٣

^٢ عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر، ج ٨، ص ١٢٤٨ نقلا عن المحدث الأمير صديق حسن خان القنوجي وإسهامه في شرح الحديث عون الباري لحلّ أدلة البخاري 'نموجا'، لسيوطي عبد المناس وعبد الله جميل محمد، مجلة الإسلام آسيا، المجلد ١٢، العدد ١، يونيو ٢٠١٥ م، ص ١٦١

كان عمره ٥٩ سنة وثلاثة أشهر وستة أيام. ودفن بقرب من حديقة 'نظر باغ' بمدينة بهوبال. وفي نفس الوقت تسلمت برقية من حاكم الهند العام بالإذن أن يكتب اسم النواب صديق حسن خان مع اللقب الممنوح في كافة المراسلات الرسمية. أعادت إليه الحكومة الألقاب مرة أخرى.

الاعتراف والتقدير

كان العلامة نواب صديق حسن خان القنوجي متمسكا بالقرآن والسنة، ومتبعا طريقة السلف الصالحين من أصحاب رسول الله صلعم. وبفراقه خسر للعالم خسرانا مبينا، كان عالم متبحر ومحدث ماهر وكاتب نابغ، وإداري حكيم، ومحِب للخير وحريص على الرخاء.

يقول عنه الشيخ محمد منير الدمشقي: "حي السنة، قامع البدعة الذي افتخرت به بهوبال على جميع الأقطار، جدّ واجتهد في إتقان علوم القرآن والسنة وتدوين علومها، واشتغل بالدرس والتأليف، وصار رأسا في المعقول والمنقول، وأحرز جميع المعارف، واتفق على تحقيقه الموافق والمخالف، وصار مشارا إليه بالبنان والمجلى في معرفة غوامض علوم الشريعة عند البرهان."^١

يصف علامة الشام الشيخ عبد الرزاق البيطار معاصر القنوجي إلى قوله: "كان ملما بالعلوم، متضلعا منها بالمنطوق والمفهوم، ومجتهدا في إشاعتها، مجددا لإذاعتها، مع كونه يرى ذاته الشريفة كأحد المسلمين، ويتواضع مع كل واحد من الناس لله رب العالمين، ويتحاشى عن الدنيا وزخارفها، ويتجافى بقلبه عن مراقبها معاطفها، أحيا السُّنة الميتة في ذلك المكان بالأدلة البيضاء من السنة والفرقان، فهو سيد علماء الهند في زمانه."^٢

^١ السيد صديق حسن القنوجي، ص ٩٨ نقلا عن إسهات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، لمحمد

منصور عالم الطبعة الأولى أبريل ٢٠١٦ م روز ورد بوكس، نيودلهي، الهند، ص ٦٢

^٢ عبد الرزاق البيطار، حلية البشر ج ٢، ص ٧٤٥ نقلا عن الأمير صديق حسن خان البخاري القنوجي، عبد الماجد الغوري ص ١٥٦

يقول العلامة عبد الحي الحسني عن علمه ومهارته: "علامة الزمان، وترجمان الحديث والقرآن، محي العلوم العربية وبدر الأقطار الهندية السيد الشريف صديق حسن بن أولاد علي الحسيني البخاري القنوجي، وصاحب المصنفات الشهيرة والمؤلفات الكثيرة، وكان غاية في صفاء الذهن، وسرعة الخاطر، وعذوبة التقرير، وحسن التحرير، وشرف الطبع، وكرم الأخلاق، وبهاء المنظر، وكمال المخبر، وله من الحياء والتواضع ما لا يساويه فيه أحد، ولا يصدق بذلك إلا من تاخمه وجالس، فإنه كان لا يعد نفسه إلا كأحد الناس، وهذه خصيصة اختصه الله بها سبحانه، ومزية شرفه بالتحلي بها، فإن التواضع مع مزيد الشرف أحب من الشرف مع تكبر، ثم له من حسن الأخلاق أوفر حظ، وأجل، قل أن يجد الإنسان مثل حسن خلقه عند أصغر المتعلقين بخدمته."^١

أولاد الأمير وأحفاده

لم ترزق للأمير أية أولاد من زوجته شاه جهان بيكم حاكمة الإمارة، وُلد ابنان بهوبال من زوجته الأولى السيدة ذكية بيكم.

الأول: السيد أبو الخير نور الحسن الطيب تلقى العلوم من علمائها، له مؤلفات كثيرة في اللغة العربية والفارسية والأردية. له ولدان الشيخ ظهور الحسن، الشيخ نجم الحسن.

الثاني: السيد أبو نصر علي حسين الطاهر، وقرأ على علماء المدينة، هو مؤلف نابغ وشاعر قدير، من أهم مؤلفاته (مآثر صديقي) في أربع مجلدات.

"كان هو وأخوه انتقلا إلى مدينة لكهنؤ بعد وفاة الأميرة شاه جهان بيكم سنة ١٩٠١م، كانت دارهما في حي لال باغ معروفة بهوبال هاوس، مركز العلم والبحث يجتمع فيها العلماء والشعراء

^١ نزهة الخواطر في بهجة المسامع والنواظر ج ٨، ص ١٨٧- ١٩٢ نقلا عن إسهات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند، لمحمد منصور عالم، الطبعة الأولى أبريل ٢٠١٦ م روز ورد بوكس، نيودلهي، الهند ص ٦٣

والكتاب، فكثيرا ما يتحول المجلس إلى مجمع علمي، وحلقة درس وبحث، وجلسة دعوة ودين يحضره أمثال العلامة الشيخ محمد شبلي النعماني، والشيخ حيدر حسن خان عميد دار العلوم لندوة العلماء بذلك الحين والشيخ العلامة عبد الحى الحسني، والعلامة السيد سليمان الندوي، رحمهم الله تعالى.^١

^١ الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأميرسيّد صديق حسن خان حياته وأثاره، ص ١٥٦

الباب الثاني:

موسوعة 'أجد العلوم' ومؤلفاته المشهورة

الفصل الأول: الموسوعة وأهميتها في السياق العلمي والثقافي

الفصل الثاني: عرض تحليلي لموسوعة 'أجد العلوم'

الفصل الثالث: المواضيع المتداولة في أعماله باللغات الثلاث: العربية، الأردية،

والفارسية

الفصل الرابع: تفنيد الشبهات المثارة حول مؤلفاته، وبيان الحقائق المتعلقة بها

الباب الثاني

موسوعة 'أبجد العلوم' ومؤلفاته المشهورة

وللموسوعة دور بالغ في نقل العلوم والفنون، من أمة إلى أمة ومن جيل إلى جيل، إن موسوعة 'أبجد العلوم' تعكس نموذجاً فريداً في التأليف الموسوعية الإسلامية، النواب صديق حسن خان لم يكن عالماً تقليدياً، بل مفكراً موسوعياً، حمل رسالة الإصلاحية الشاملة. ومن خلال لغاته المتعددة، ومؤلفاته الغزيرة، ترك أثراً بارزاً في النهضة الفكرية والعلمية في الهند، إذ جاءت في سياق علمي وثقافي يعاني من الضعف والاضطراب، فأسهمت في إحياء العلوم وتنظيمها بأسلوب موسوعي رصين. بينما ركّز على تحليل بنيتها ومحتواها، مبيناً أنها تجمع بين تعريف العلوم وتراجم العلماء وفق ترتيب منهجي. واستعرض الموضوعات المتنوعة التي تناولها في مؤلفاته المكتوبة بالعربية والأردية والفارسية، مما يدل على عمق أثره واتساع دائرة تأثيره. وخُتم الباب بالفصل الرابع الذي فنّد الشبهات المثارة حول مؤلفاته، موضحاً أن معظمها انطلقت من دوافع مذهبية أو سياسية، ودل عليها الحجج والبراهين، مما يعكس قوة شخصيته العلمية ومنهجه الإصلاحية وموهبه الفريد.

الفصل الأول

الموسوعة وأهميتها في السياق العلمي والثقافي

وللتأليف دور هامّ في نقل العلوم والفنون من جيل إلى جيل ومن أمة إلى أمة، انتشرت الكتابة في العالم بعد اكتشاف الأوراق والأدوات الكتابية^١ وصارت الكتب إلى الموسوعة لشمولية المواضيع ووفرة علوم شتى، إضافة إلى أنه مصدر شامل حول مجموعات من الموضوعات، يستفيد منها الطلاب والباحثون المعلومات الأساسية والحقائق الأولية، ويعولون أيضا لتوثيق دقة المعلومات، وفهم المعلومات الجديدة، وترقية المهارات النقدية.

أصل كلمة الموسوعة مشتقة من كلمة (وسع) وسع يوسع وسعا الله عليهم رزقه: بسطه وكثره.^٢ يقال: وسع الكتاب مسائل كثيرة، فالكتاب هو الواسع، والموسوع هو المحتوى أو المضمون؛ ويمكن تصويب إطلاق الموسوعة على الكتاب نفسه عن طريق المجاز المرسل لعلاقة المحلية، أو يكون من باب القلب المعنوي؛ على أنه قد جاء في المصباح: وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فالرزق موسوع، ويمكن القياس عليه فيقال: وسع المؤلف الكتاب، فالكتاب موسوع، ويعضده ما جاء في اللسان: هذا الوعاء يسعه عشرون كيلا أي يسع فيه عشرون كيلا؛ ومن ثم تكون كلمة الموسوعة في دلالتها المحدثّة على الكتاب الذي حوى معارف موسوعة من الفصيح. هكذا أطلقت هذه الكلمة على عدّة معان.

^١ عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، ص ١٠٩.

^٢ لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت ط ٢٧، ١٩٨٤ ص ٩٠٠.

تستخدم الموسوعة في اللغة: هي كلمة عن كتاب أو مجموعة من الكتب تحتوي على معلومات حول مجموعة واسعة من الموضوعات، مرتبة بطريقة محددة، بحيث يسهل على القارئ الوصول إلى المعلومات التي يبحث عنها. تطلق هذه الكلمة أيضا في الاصطلاح: الموسوعة هي كتاب يحتوي على معلومات عامة حول موضوعات المعرفة الإنسانية أو المتخصصة في موضوع معين، ويغلب على معلوماتها الاختصار، وتعتمد على دقة التنظيم بحسب الترتيب الهجائي أو الترتيب الموضوعي ليسهل على المستفيد الرجوع إليها بأقل جهد. وهذا يدل على فوائد الموسوعة وأهميتها في حصول العلم والمعرفة.

هناك فرق بين الموسوعة ودائرة المعارف والمعلمة، يطلق على مصطلح 'الموسوعة' ودائرة المعارف 'والمعلمة' بشكل مترادف في كثير من الأحيان، ولكن هناك بعض الاختلافات الدقيقة بين هذه المصطلحات الموسوعة، ذلك كتاب يحتوي على معلومات عامة حول موضوعات المعرفة الإنسانية أو المتخصصة في موضوع معين، ويغلب على معلوماتها الاختصار، وتعتمد على دقة التنظيم بحسب الترتيب الهجائي أو الترتيب الموضوعي، ليسهل على المستفيد الرجوع إليها بأقل جهد. أما دائرة المعارف هي مصطلح فرنسي يستخدم للدلالة على الموسوعة، ولكنه يستخدم أحيانا للدلالة على موسوعة متخصصة في موضوع واحد فقط، مثل دائرة المعارف الطبية أو دائرة المعارف التاريخية وغيرها. 'المعلمة' هي مصطلح عربي يستخدم للدلالة على موسوعة متخصصة في موضوع واحد فقط، مثل معلمة التاريخ أو معلمة الرياضيات.

وبالجملة الفرق الرئيسي بين هذه المصطلحات هو أن الموسوعة يمكن أن تكون عامة أو متخصصة، تطلق على دائرة المعارف عادة ما تكون متخصصة، والمعلمة هي نوع من دائرة المعارف المتخصصة.

الفرق بين القاموس والمعجم والموسوعة

القاموس يطلق هذه الكلمة على معاجم الألفاظ فقط، مثل القاموس المحيط لفيروزآبادي. أما كلمة المعجم تستعمل للمرجع المعجمي العربي أحادي اللغة، ولكن الموسوعة تتميز عن غيرهما بالمدخل فهي تشتمل عدد كبير من أسماء الأعلام في موضوعات المتنوعة مثل: العلمية والجغرافية والتاريخية وغيرها. ويقل أيضا عدد المدخل وليس فيها اهتمام في المعلومات الواردة في المدخل لمعلومات اللغوية^١

أهمية الموسوعة وفوائدها

يعرّف العلماء الموسوعيون الموسوعة بأنها كتاب أو مجموعة من الكتب التي تحتوي على معلومات مرتبة ترتيبا ألفبائيا أو موضوعيا حول أشخاص وأماكن وأحداث وأشياء. وقد تشمل الموسوعة جميع مجالات المعرفة أو تختص بمجال معين. فالموسوعة العربية العامة تتناول معلومات في شتى ميادين المعرفة، بينما تقدم الموسوعات المتخصصة معلومات أكثر تفصيلا وعمقا في مجالات معينة، مثل العلوم الأدبية واللغوية والطبية والاجتماعية.

أصل كلمة 'موسوعة'

تُعدّ كلمة 'موسوعة' من المصطلحات المستحدثة في اللغة العربية، وهي مشتقة من الفعل 'وَسِعَ' الذي يدل على الشمول والوفرة. لذا، يُقال عن الشخص واسع الاطلاع أنه 'موسوعي المعرفة'. ومن هذا المعنى، جاءت كلمة 'موسوعة' لتعبير عن الكتاب الذي يضم معلومات تغطي مختلف ميادين المعرفة. أما نظيرها في اللغة الإنجليزية، وهي Encyclopaedia، فهي مشتقة من اليونانية، وتعني في الأصل 'التعليم العام' أو 'التعليم المتنوع الجيد'. ولم يبدأ استخدامها في الغرب إلا خلال القرن الثامن عشر الميلادي^٢.

^١ ١٠٠ سؤال عن اللغة العربية، الطبعة الأولى-٢٠١٥ م، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي - الرياض، ص ٧٧

^٢ <https://www.google.com/search?q>

الموسوعة الإلكترونية

أصبح العالم في كفّ الإنسان، يعيش الناس اليوم في عالم رقمي حيث تتوفر المعلومات للجميع، وتتغير الأحداث بسرعة هائلة. ونتيجة لذلك، انتقلت العديد من الموسوعات من النسخ المطبوعة إلى الإنترنت، فهو أتاح الفرص للطلاب والمعلمين للوصول السريع إلى المعلومات والمعارف، مع أنه بغض النظر عن أماكن تواجدهم أو موقع اتصالهم بالشبكة العالمية وغيرها. ساهمت المواقع الإلكترونية أيضا استيعاب العديد من الأفكار. كما غيّرت هذه المواقع أنماط حياة الناس في مختلف أنحاء العالم، حيث أصبح التواصل والتفاعل ممكنا بسهولة عبر الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر المحمولة، بغض النظر عن الموقع الجغرافي، ولم يقتصر تأثير ذلك على الحياة الاجتماعية فحسب، بل امتد ليشمل مجالات الأعمال، مما أحدث تحولا في أساليب وعمليات التجارة، إلى جانب التطور الملحوظ في العملية التعليمية^١

أشهر الموسوعات العالمية

١. موسوعة بريتانیکا (Encyclopaedia Britannica) تُعتبر واحدة من أقدم الموسوعات وأكثرها شهرة، حيث تغطي مجموعة واسعة من المواضيع وتعتمد على محررين متخصصين نابغين.
٢. موسوعة ويكيبيديا (Wikipedia) هي موسوعة رقمية مفتوحة المصدر تعتمد على مساهمات المستخدمين، وهي واحدة من أكبر الموسوعات على الإنترنت في العالم.
٣. موسوعة أمريكانا (Encyclopaedia Americana) تحتوي على معلومات موسعة تغطي مختلف المواضيع، وهي واحدة من أبرز الموسوعات الأمريكية.

^١ سليمة الغاوي، أهمية المواقع الإلكترونية، اطلع عليها بالتاريخ ١٢ / ٠٣ / ٢٠٢٥ م، <https://mawdoo3.Com>

٤. موسوعة ميتا (Meta Encyclopediad): تعتمد على تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحديث

وتحسين محتواها باستمرار.

مميزات الموسوعة وخصائصها

موسوعات شهيرة في أنحاء العالم توجد عديد من الميزات سواء كانت موسوعة مكتوبة أم موسوعة إلكترونية، وعادة ما يتم تحديثها بانتظام لضمان أن المعلومات التي تحتوي عليها دقيقة وحديثة. وهي كما يلي:

١. التغطية والشمولية: تتضمن الموسوعات مجموعة محيطة من الموضوعات، مثل: التاريخ والثقافة والعلم والفن. وهذا يجعلها مصدرا ثميناً للأشخاص الذين يبحثون عن معلومات شتى من المواضيع.

٢. دقة المعلومات: ويتم إعداد الموسوعات عادة من قبل فريق من الخبراء في مجالاتهم، مما يساعد على ضمان دقة المعلومات التي تحتوي عليها.

٣. تنسيق المعلومات: يتم تنظيم المعلومات في الموسوعات بطريقة منظمة، مما يجعل من السهل العثور على المعلومات التي تحتاج إليها.

٤. إمكانيات الوصول: يمكن الوصول إلى الموسوعات في المكتبات والمؤسسات الأخرى، بالإضافة إلى إمكانية الوصول إليها عبر الإنترنت.

٥. الإبداعية والحدثة: يتم تحديث الموسوعات بانتظام لضمان أن المعلومات التي تتضمن عليها دقيقة وحديثة.

٦. التفنن والتنوع: تنسيق الموسوعات عادة من قبل مؤلفين من خلفيات متنوعة، مما يوفر وجهة نظر شاملة للموضوعات التي تغطيها.

٧. الموضوعية: توفر الموسوعات إلى تقديم معلومات موضوعية ومستقلة، مما يجعلها مرجعا موثوقا للمعلومات الشاملة المحيطة.

٨. الوصول إلى المعلومات: تقدم الموسوعات الوصول إلى المعلومات للأشخاص من جميع الأعمار والمستويات التعليمية الدقيقة.

٩. التحريض على التعلم: يمكن أن تساعد الموسوعات الأشخاص على تعلم أشياء جديدة وتوسيع آفاقهم.

١٠. الطرب والترفيه: يمكن أن تكون الموسوعات مصدرا ترفيهيا للأشخاص الذين يرغبون في معرفة المزيد عن العالم من حولهم.

الموسوعيون

الموسوعيون هم الأفراد الذين يكتسبون علما وافرا و معرفة شاملة في مجموعة واسعة من المجالات. وقد نشأ الموسوعيون في جميع أنحاء العالم في مرّ العصور الماضية.

أشهر الموسوعيين في العالم

(١) الحكيم الفيلسوف اليوناني أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ قبل الميلاد): كان أرسطو عالما موسوعيا حقيقيا، فقد ألف في مجموعة واسعة من المجالات، بما في ذلك الفلسفة، والعلوم الطبيعية، والسياسة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس وغيرها.

(٢) ابن بطوطة: الطبيب المشهور والرحالة العربي: رحل ابن بطوطة حول العالم لمدة ٣٠ عاما، وزار أكثر من ٤٠ دولة، وكتب عن رحلاته في كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار توفي عام ١٣٧٧م

٣) المؤلف والفيلسوف الفرنسي فولتير: كان فولتير كاتباً غزير الإنتاج، فقد كتب العديد من الكتب والمقالات في مجموعة متنوعة من الموضوعات، بما في ذلك الفلسفة، والسياسة، والتاريخ، والأدب. توفي سنة ١٧٧٨ م

الموسوعات في اللغة العربية

استهلت الموسوعات العربية منذ العصر القديم، حيث ظهرت أول الموسوعات العربية في القرن التاسع الميلادي، وذلك أثراً بالموسوعات غير العربية في البلاد الغربية، وكان الغرض منها جمع العلوم وترتيب المعلومات على أحسن صور في مجالات شتى وميادين متنوعة.

أشهر الموسوعات العربية القديمة

- مفاتيح العلوم: صنفت في القرن التاسع الميلادي بيدي العالم المشهور خوارزمي وهي موسوعة من حيث جمعت فيها معلومات عديدة عن مجموعة واسعة من العلوم، مثل، الفلسفة والفلك، والهندسة، والطب، والرياضيات والكيمياء، والموسيقى، وغيرها.
- مباهج الفكر ومناهج العبر: ألّف بيدي العالم المشهور لوطواط في القرن الثاني عشر الميلادي وهو كتاب يجمع معلومات عن مجموعة واسعة من العلوم، مثل الفلسفة، والتاريخ، والأدب، والعلوم الطبيعية، وغيرها.
- نهاية الإرب في فنون الأدب: ألّف العالم المشهور لنويري في القرن الثالث عشر الميلادي، وهو كتاب يجمع معلومات عن مجموعة واسعة من الفنون الأدبية، مثل النقد والشعر، والقصة، المسرح، وغيرها.

نمت الموسوعات العربية بشكل كبير خلال القرون الوسطى، حيث أصبحت أكثر شمولاً ودقة، وتتضمن من الموضوعات العديدة.

أشهر الموسوعات العربية في القرون الوسطى

مسالك الإبحار في ممالك الأمصار: ألف بيدي العالم المشهور لابن فضل الله العمري في القرن الرابع عشر الميلادي. وهو كتاب يجمع معلومات عن مجموعة واسعة من البلدان والممالك في العالم الإسلامي وغيرها.

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: صنف بيدي العالم المشهور لقلقشندي في القرن الخامس عشر الميلادي. وهو كتاب يجمع معلومات عن مجموعة واسعة من فنون الكتابة والإنشائية، مثل النثر والشعر، والرسائل، وغيرها.

الموسوعات العربية الحديثة وأشهرها

ازدهرت الموسوعات العربية ازدهاراً باهراً في العصر الحديث، حيث أصبحت حسب المستجدات العصرية، وهي حاوية مجموعة من الموضوعات، وامتازت عن غيرها بأسلوب عرض وتنظيم وتركيب.

موسوعة المحيط: ألف بيدي العالم المشهور للدكتور زكي نجيب محمود ١٩٦١ وهي موسوعة شاملة تتضمن مجموعة واسعة من الموضوعات المتعددة.

موسوعة الحضارة العربية الإسلامية: صنف الدكتور عبد الرحمن بدوي. وهي موسوعة

متخصصة في الحضارة العربية الإسلامية النيرة. توفي عام ١٩٦٨ م

موسوعة التراث العربي: جمع بيدي الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي. وهي موسوعة متخصصة في التراث العربي. توفي سنة ١٩٧٩ م.

موسوعات العربية الإلكترونية

ازدهرت الموسوعات العربية ازدهارا كبيرا في العصر الرقمي، حيث أصبحت متوفرة إلكترونيا، مما سهل الوصول إليها واستخدامها واكتشافها في أقرب وقت ممكن.

موسوعة الألوكة

الموسوعة العربية العالمية

ويكيبيديا العربية

أهمية الموسوعات العربية

ساهمت الموسوعات العربية مساهمة فعّالة في نشر المعرفة والثقافة بين محبي اللغة العربية، وشاركت في إثراء الحضارة العربية الإسلامية الحنيفة.

تطور الموسوعة العربية في الهند

إن الهند ليست دولة عربية، إلا أن العلماء الهنود قدموا مساهمات فريدة في تنمية اللغة العربية وآدابها. خصوصا في ميادين التفسير، والحديث، والسيرة النبوية. كثير من المؤلفات الموسوعية العربية الحديثة استفادت من جهود هؤلاء العلماء، الذين ألفوا بأسلوب منهجي وموسوعي يتسم بالدقة والرجوع إلى المصادر الأصلية. هذه الجهود ساعدت في ربط العالم الإسلامي ببعضه البعض، من الدول العربية إلى الهند.

أدى اتساع نفوذ الإسلام ونمو المدارس العلمية إلى تأليف الموسوعة العربية في الهند، التي اتخذت اللغة العربية وعاءاً للعلم الشرعي واللغوي. منذ العصور الإسلامية المبكرة في الهند، وتحديدًا مع قيام الدول الإسلامية الكبرى كالغزنوية والمغولية، أصبحت العربية لغة النخبة العلمية، وبدأ العلماء بجمع المعارف وتدوينها، متأثرين بالموسوعات الإسلامية التي ظهرت في المشرق العربي، كـ 'مفاتيح العلوم' و 'إحصاء العلوم'.

الموسوعات العربية في الهند

١ موسوعة 'أبجد العلوم' لصديق حسن خان القنوجي (ت. ١٣٠٧هـ)

٢ موسوعة 'نزهة الخواطر' لعبد الحي الحسني (ت. ١٣٤١هـ)

٣ فيض الباري على صحيح البخاري 'لأنور شاه الكشميري (ت. ١٣٧٢)

يعتبر 'أبجد العلوم' موسوعة عربية هندية اتسعت من حيث الموضوعات وتنوعها، وهي الوحيدة من بينها التي جمعت بين الفهرست والتعريف والتراجم والتصنيف المعرفي. ولذلك فهي تقترب من روح الموسوعات الكبرى في الحضارة الإسلامية مثل 'مفاتيح العلوم' و 'كشف الظنون'. أما بقية الموسوعات الهندية، فهي إما جزئية التخصص (فيض الباري - الحديث، نزهة الخواطر - التراجم) أو محصورة في نوع من الأنواع.

الفصل الثاني

عرض تحليلي لموسوعة أبجد العلوم

أبجد العلوم موسوعة كبرى لصديق حسن خان القنوجي، ومن أشهر مؤلفاته وأحسنها، تحتوي على ١٤١٩ صفحة، وقد قسمها المؤلف في ثلاثة أجزاء، الجزء الأول: الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، والجزء الثاني: السحاب المركوم الممطر أنواع الفنون وأصناف العلوم، والجزء الثالث: الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم^١. طبعها في المطبع الصديقي بهوبال عام ١٢٩٥-١٢٩٦ هـ. وكان تأليفه وجمعه في بلدة بهوبال المحمية في أربعة أشهر. وطبع أيضا في دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان عام ١٤٢٠ هـ

سبب التسمية

سمي صديق حسن خان القنوجي موسوعته 'بأبجد العلوم'. كلمة 'أبجد' مشتقة من كلمة الحروف الأبجدية، أطلقت هذه الكلمة نسبة إلى الأبجدية، وهي مشهورة منذ قديم الزمان، ولم يوضح صديق حسن خان القنوجي سبب تسمية لموسوعته 'أبجد العلوم' في أي جزء من أجزائه، بل ذكر العلوم والفنون في عهده على ترتيب حروف الأبجدية، ولعل هذا هو السبب في تسمية كتابه 'بأبجد العلوم'.

من اللغات التي تستخدم الحروف الأبجدية العربية

الأبجدية التي تقرأها الآن لا تقتصر على اللغة العربية، فالعديد من اللغات في العالم اعتمدت هذه الحروف للكتابة، بعضها ما تزال مستخدمة حتى اليوم، فيما تحولت لغات أخرى إلى الحروف اللاتينية:

¹ SAEEDULLAH, Life & Works of Nawab SIDDIQU HASAN KHAN of Bhopal, Ashraf press, Lahore, first Edition, December 1973, page 104

١. اللغة الكشميرية: اللغة الكشميرية يتحدث بها مسلمو كشمير وجامو، وتكتب بالحروف العربية.

٢. اللغة السنديّة: تعود هذه اللغة إلى منطقة السند بباكستان وتكتب بالحروف العربية، وهي لغة رسمية في السند والهند.

٣. اللغة الجاوية: يبلغ عدد المتحدثين بهذه اللغة نحو ١٠٠ مليون شخص، معظمهم في إندونيسيا وماليزيا، وتكتب بالأبجدية العربية بالإضافة إلى اللاتينية^١.

٤. اللغة الأردية: هي اللغة الرسمية في باكستان، وهي رسمية كذلك في خمس ولايات هندية.

٥. اللغة الطاجيكية : هي لغة طاجيكستان، وتنتشر في مناطق عدة بأفغانستان والصين وروسيا وأوزبكستان وإيران.

٦. اللغة الفارسية: يتحدث بها نحو ١١٢ مليون شخص، في إيران وطاجيكستان وأفغانستان وأوزباكستان، وتكتب بالأبجدية العربية.

٧. اللغة البنجابية: يتحدث بها نحو ٨٨ مليون شخص في الهند وباكستان وتكتب بالحروف العربية.

٨. اللغة التركية العثمانية: كانت اللغة الرسمية في الإمبراطورية العثمانية وتكتب بالحروف العربية.

٩. اللغة الأذرية: يتحدث أكثر من ١٣ مليون شخص باللغة الأذرية، وهي اللغة الرسمية في أذربيجان^٢

امتاز القنوجي من الكتاب والمؤلفين بمهارة تأليفه النبيلة، إنه عَنون لكل أجزاء عنوانا

مستقلا، الأول : الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، يبحث فيه عن أصل العلم والكتب

^١ هذه اللغات في العالم تكتب بالأبجدية العربية ٢٠١٧ نوفمبر ١٧: <https://www.almanar.com.lb/2970031#:~:>

^٢ هذه اللغات في العالم تكتب بالأبجدية العربية ٢٠١٧ نوفمبر ١٧: <https://www.almanar.com.lb/2970031#:~:>

وأنواع العلوم وموضوعها وفضلها ومكانتها وغيرها. الثاني: السحاب المركوم الممطر أنواع الفنون وأصناف العلوم. هذه كلمة مأخوذة من آية القرآن الكريم، من سورة الطور: الآية: ٤٤. جمع فيه العلوم والفنون في زمنه. الثالث: الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم. الرحيق المختوم أيضا مأخوذة من الآية القرآنية من سورة المطففين الآية: ٢٥. يوضح عن تراجم أصحاب العلوم والفنون، ولهذا يعدّ "أبجد العلوم" موسوعة في العلوم، وموسوعة في اللغة والأدب، وموسوعة في التراجم.

دوافع التأليف

وجد القنوجي أهمية تأليف موسوعة أبجد العلوم، لأنّ العلوم والفنون متشعبة في مؤلفات مختلفة، يعبر في مقدّمة وشي المرقوم عن أمنيته الحاملة. "فهذا بث لما وقر في صدري من أحوال العلوم العالية، وتراجم الفنون الفاخرة، وأثر بعد عين في تحصيل ما نيطت به سعادة الدنيا والآخرة، وردت من بحارها الطامية ماء عذبا فراتا حاليا، وكرعت من أنهارها الصافية ما كان عن القذى ظاهرا وعن الأكدار خاليا، حررته إحرازا لما تشنت من أحوال العلوم وتراجم أسمائها وسلماتها، وجمعت إفرزا للفنون مع بيان بدايتها وأغراضها وغاياتها، مستمدا في ذلك من كتب الأئمة السادة، وصحف الكبراء القادة، بعد أن عرفت مجاريها، وتعلمت الرمي من القوس وقد كنت بارئها." ^١

اعتمد صديق حسن خان القنوجي على الكتب القيّمة والمصادر النيرة في تأليف أبجد العلوم، طالع لذلك مؤلفات مشهورة عديدة لعلوم والفنون. إلى قوله. "لأنني لما وقفت على كتاب (عنوان

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ١، الوشي المرقوم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق -

العبر وديوان المبتدأ والخبر) لقاضي القضاة مؤيد الدين أبي زيد عبد الرحمن ابن خلدون الأندلسي وجدت مؤلفه رحمه الله تعالى قد عقد في الكتاب الأول منه فصلا سادسا في العلوم وأنواعها وسائر طرقها وأنحاءها، وما يعرض في ذلك كله من الأحوال. ثم رأيت خواجه خليفة زاده ملا كاتب الجلي لخص منه تلك العلوم وأحوالها في مقدمة كتابه (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) وأضاف إليه أشياء من (مفتاح السعادة) لأبي الخير. ثم اطلعت على كتاب (مدينة العلوم) للأزنيقي تلميذ قاضي زاده موسى بن محمود الرومي شارح (جغميني) وفيه بيان أنواع العلوم وتراجم بعض علماء الفنون، ثم عثرت على كتاب (كشف اصطلاحات الفنون) للشيخ الفاضل محمد علي بن علي التهانوي الهندي، وقد ذكر فيه أنواعا من العلوم المتداولة وطرقا من الفنون المتناولة.^١

ولما تعرف صديق حسن خان القنوجي شئت شمل العلوم والفنون في صفحات شتى، طمع أن يجمعها في أحسن ترتيب وفي أجمل تنسيق، لأنه أدرك خلال قراءته علوها وهبوطها، وعاليتها وسافلها، يصرح آراءه وأنظاره عن المصنّفات المذكورة أعلاه كما يلي: وموضوع الكتاب الأول (أي العبر لابن خلدون) تاريخ أحوال العالم. وموضوع الكتاب الثاني (أي الكشف لحاجي خليفة) جمع أسامي الكتب التي صنفها بنو آدم. فالأول ليس فيه ما خلا ذكر تلك العلوم في فصول خاصة إلا أحوال العمران وأمم الإنسان، ووقائع الدهور والأزمان. والثاني ليس فيه ماعدا تراجم تلك العلوم والخطب إلا الكشف عن أسامي الكتب. والثالث (أي مدينة العلوم للأزنيقي) مقتصر

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ١، الوشي المرقوم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق -

على ذكر أنواع العلوم وتراجم المصنفين فيها. والرابع (أي كشاف إصطلاحات الفنون للتهانوي) مختص بذكر اصطلاحاتها المتداولة في كتب الفنون.^١

ويوضح غرض هذا الكتاب بعد بيان هذه الكتب: "فأردت أن أفرد منها أحوال العلوم وتراجم الفنون في تأليف مختصر تقريبا للبعيد وتحصيلا للتجريد، مضيفا إليه ما حصل الوقوف عليه في أثناء ملاحظة الكتب الشاذة وعطفها، واجتناء ثمار الفوائد من الصحف الفاذا وقطفها. ليكون هذا السفر التام المقصود، وكوكب المراد الطالع من أفق الصعود، سهل الحصول لمن رام الوصول إليه، ويسير النتاج لمن أراد الحصول منه والتعويل عليه، لأنه دراسات عديدة في كرايس محدودة، وقراسات سديدة في قراطيس مشهودة، تحلت بعون الله وحسن توفيقه بكل زين".^٢

البصمة الأسلوبية في أبجد العلوم.

قد امتاز هذا الكتاب عن المؤلفات الأخرى التي صنفت في هذا الموضوع، إن المؤلف نهج في تأليفه نهجا فريدا، ونسق فيه أسلوب القدامى والمحدثين، ورتبه أحسن ترتيب، وكل جزء يتضمن مقدّمة وأبواب وخاتمة. وسمى في الوشي المرقوم لكل فصل اسما خاصا.

التقط المؤلف أنواعا من العلوم والمعارف القيّمة، والقرائح الفكرية المتباينة، وخواطر العلماء الفضلاء والمفكرين الكرماء القدامى والمحدثين، المتذوّقة الممتعة المتفرقة، فضّل منهج المتقدّمين ونحا نحوهم. كما يقول الباحث رخسار أحمد في بحثه.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ١ ص ٥، ٦

^٢ المصدر نفسه، ص ٦

"إن أسلوب القنوجي في هذا الكتاب الذي نحن بصددده، وفي الكتب الأخرى أسلوب وسطي معتدل بين التقليد والتجديد فكثير ما نجده يقلد العصر التقليدي، ويأتي بعبارات متحلية بالقوافي والسجع والمحسنات البديعية من الجناس والطباق والكلمات المترادفات ولكن إلى حد تغلب الكلمات على المعنى، بل يهدف وراء ذلك إلى جمال العبارة وإيجاد نغمة وموسيقى فيها حتى تميل إليها القلوب وتتلذذ بها النفوس، هذا من جانب، ومن جانب آخر أنه يتمتع بالكتابة في لغة سهلة سلسلة عذبة خالية من كل التقليد والتبعية والتعقيد والغموض والسجع والصنعة".^١

أسلوبه في تأليف ترجمة الحياة

يقول أولاً عن اسمهم الحقيقي وعن كتابهم ومكانتهم ورواية أقوال العلماء عنهم وعن تلاميذهم وأبيهم وأشعارهم وعن تاريخ وفياتهم، ويذكر اختصاصهم في الفنون والعلوم، ثم ألقى الضوء على أحوال ما عرف من علماء الحرمين الشريفين، وعلماء اليمن، وعلماء الهند، وعلماء مسقط رأسه، 'قنوج' خاصة. يقول الباحث كاشف جمال في مقالته 'تاريخ أعلام الهند' عن منهجه.

"ندرك لكل واحد عن مهارة المؤلف في تأليف التاريخ والتراجم، كما يقول: نستشف من هذه الكلمات أن العلامة قد اختار أسلوباً لكتابة التاريخ والتراجم تتجلى فيه شخصية المترجم له كأنها موجودة أمام المتلقى بقسماتها ووصفاتها ومحاسنها وعلاقتها".^٢

منهج التأليف والتنصيص

إن منهج صديق حسن خان القنوجي في أبجد العلوم منهج فريد. استخدم كلمات سهلة سلسلة عذبة خالية من كل من التقليد والتعقيد. والناظر في أبجد العلوم يدرك دقته في النقل وميزته في

^١ رخسار أحمد، دراسة في كتاب "أبجد العلوم" لصديق حسن خان القنوجي، أعلام الهند: مجلة إلكترونية فصلية محكمة، العدد الرابع {أكتوبر-ديسمبر 2019} <https://www.aqlamalhind.com/?p=1552>

^٢ أ. كاشف جمال، في تاريخ أعلام الهند، «أبجد العلوم» لنواب صديق حسن خان القنوجي، : باحث هندي في مركز الدراسات العربية والإفريقية في جامعة جواهر لال نهرو-نيو دلهي - الهند <https://diea.net/43742/>

الكتاب، فقد اعتمد في تعريف العلوم وتقوية رأيه كتاب 'مدينة العلوم' لأرنقي تلميذ قاضي زاده محمود الرومي شارح الجغميني، وقوله في علم آداب التوبة "وآداب التوبة وشروطها وما يلها مشروحة في كتاب الإحياء للغزالي، وهذا العلم معدود في علوم الأخلاق المنجيات على ما ذكره في مدينة العلوم." ^١ وفي علم آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وقوله: "وهذا العلم من فروع علوم العادات على ما ذكره في مدينة العلوم." ^٢ وفي 'علم آداب النكاح' وأن يعدل بين نسوته ولا يميل إلى بعضهن ذكره في مدينة العلوم من أنواع العلوم المتعلقة بالعبادات." ^٣ وفي 'علم الأدعية والأوراد' وقوله: "قال في مدينة العلوم وكتب الشيخ عبد الرحمن الأنطاكي نافعة في هذا الباب انتهى." ^٤

وفي مدينة العلوم هو علم يتعرف منه آداب الوزراء، من كيفية صحبة السلاطين ونصيحة الرعايا." ^٥ وفي 'علم آداب الوزراء' استهل بذكر قول العالم. وقوله: "ذكره أبو الخير من فروع الحكمة العلمية وهو مندرج في علم السياسة فلا حاجة إفرازه وإن كان فيه تأليف مستقل كالإشارة وأمثاله." ^٦ وفي 'علم الأدوار والأكوار' ذكره أبو الخير من فروع العلم." ^٧ إذا كان هناك خلافا بين العلماء أو آراء أخرى وينقل جميعها مثالا في 'علم الأدب' قول أبي الخير وابن الأنباري ووزمخشري والقاضي زكريا وغيرهم.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أجد العلوم، ج ٢، السحاب المروم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي-دمشق-

١٩٧٨م، ص ٣٥، ٣٦

^٢ المصدر نفسه، ص ٣٩

^٣ المصدر نفسه، ص ٤٣

^٤ المصدر نفسه، ص ٤٨

^٥ المصدر نفسه، ص ٤٣، ٤٤

^٦ المصدر نفسه، ص ٤٣

^٧ المصدر نفسه، ص ٤٩

إذا وافق العلم بعلم آخر يقول: "سيأتي تحقيقه في علم الخط إن شاء الله تعالى هكذا في كشف الظنون".^١ وأيضا في علم ترتيب حروف التهجى "سيأتي بيانه في الخط".^٢ إذا ذكر في علم فيشير في قوله هكذا: "ذكره أبو الخير من فروع علم التفسير"^٣ ويختتم أيضا بجملة والله أعلم بالصواب، إذا لم يحقق في شيء، وفي علم العدد وقوله: "وأما العدد المطلق فإنما هو موضوع علم الحساب النظري هذا كله خلاصة ما في شرح خلاصة الحساب والله أعلم بالصواب".^٤

"وشرح الفصول لعيون بن المنذر وتصانيف الطغراني كثيرة في هذا الفن ومعتبرة عند أربابها والكتب، والرسائل في هذا الباب كثيرة لكن لا خير في الاستقصاء فيها وإنما التعرض لهذا القدر لئلا يخلو الكتاب عنها بالمرّة نسأل الله تعالى خيري الدنيا والآخرة انتهى حاصله والله أعلم بالصواب".^٥ إذا كان هناك علم فرع من فروع أو قسم من أقسام يشير إليها. يقول عن علم الاختلاج "وهو من فروع علم الفراسة".^٦ وعلم الاختيارات "هو من فروع علم النجوم" يبدأ علم الأزياج مثل هذا "من فروع علم الهيئة" إذا كان قسم من علم يوضح عن أقسامه، مثالا: لما يعرف علم الأخلاق يقول: "هو قسم من الحكمة العلمية".^٧

استخدام غرائب الألفاظ

أطلق الكاتب على أبجد العلوم غرائب الألفاظ عديدة، ولكن علق تعليقا لإظهار المعنى، وفي مقدمة الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم الجزء الأول لأبجد العلوم إلى قوله "به فضل الذوق

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٤٨

^٢ المصدر نفسه، ص ١٤٦

^٣ المصدر نفسه، ص ١٤٩

^٤ المصدر نفسه، ص ٣٧٩

^٥ المصدر نفسه، ص ٤٦٨

^٦ المصدر نفسه، ص ٢٩

^٧ المصدر نفسه، ص ٣١

الروحاني على المذاق الجسماني فضلا لايعرفه إلا من تضلع منه أو ذاق، ولا يدرك كنهه إلا من غاص في قعر بحاره وسبح في ثبج.^١ علق تعليقا ثبج كل شيء : معظمه ووسطه وأعلاه. وأيضا "وبالجملة فهذا المؤلف الذي جمع أحوال العلوم وتراجمها في كن".^٢ في هذه الجملة الكن معناه البيت.

أهمية أبجد العلوم

موسوعة 'أبجد العلوم' من أمهات المؤلفات لنواب صديق حسن خان القنوجي، تعد موسوعة في العلوم والفنون لاشتماله على جميع العلوم والفنون السائدة في المجتمع الإسلامي في عهده، وموسوعة في اللغة والأدب والتراجم. نظرا إلى علو مكانة كاتبه قد نال قبولا حسنا في الأوساط العلمية والأدبية، وصار في متناول أيدي الباحثين والدارسين من العلماء والأدباء والشعراء النبغاء لا من العجم فقط، بل من العرب أيضا، وطبع مرارا في الهند وفي البلدان العربية، وهذا يدل على شهرة كاتبه وقبولية موسوعته.

يقول عبد الجبار زكار أحد من أعد الكتاب للطبع ووضع فهرسه: "يأتي القنوجي متأخرا عن هؤلاء. فيدلي بدلوه في هذا الميدان، ويؤلف كتابه 'أبجد العلوم' في أدق ترتيب وأحسن نظام."^٣

يقول الباحث رخسار أحمد في آخر دراسته: أدّى بنا المطاف إلى نهاية البحث على أنه كان عالما موسوعيا، قام بإحياء التراث الإسلامي والأدبي التليد، وأضاف إليه الطريد، فأكب على نشر كتب التفسير والحديث والفقه واللغة والعلوم الأخرى، وتوزيعها من أقصى الهند إلى أقصاها، وإعداد

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ١ ص ٣

^٢ المصدر نفسه، ص ٧

^٣ رخسار أحمد، دراسة في كتاب "أبجد العلوم" لصديق حسن خان القنوجي، أقلام الهند : مجلة إلكترونية فصلية محكمة، العدد الرابع {أكتوبر-ديسمبر 2019}، <https://www.aqlamalhind.com/?p=1552>.

مؤلفات في هذه المواضيع، حتى بلغ العدد إلى المئات، ولا يشك أحد في أن الأمير صديق حسن خان من أعظم العلماء الباحثين والمحققين وأشهرهم.^١

محتويات الكتاب

تتناول الموسوعة أبجد العلوم أحوال العلوم والفنون وتراجم أصحابها وتشتمل على ثلاث مجلدات:

١: الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم. هي حاوية علم الفلسفة والتوحيد واللغة والتاريخ. وفي هذا الجزء فهرس شامل، ومقدمة كاملة، وديباجة جميلة، يستهلها الكاتب بالبسملة متبعا على سنة رسول الله صلعم ومقتديا على طريق العلماء العظماء، ثم يحمد الله تعالى على نعمته وافرته، ويصلي على النبي المصطفى المجتبى.

الديباجة تتضمن أيضا بثناء أصحاب رسول الله صلعم، وبيان المصادر وأصحابها، ويحلل زيادتها ونقصانها، ويؤكد أهمية هذا الكتاب ووضعه وجمعه، تنتهي الديباجة بنشيدة مخاطبا للصبّ والشمال على ما هو دأب أرباب الوجد والحال.

مطلعها:

وصلت حمى بهوبال يا نفس فانزلي فقد نلت مأمول الفؤاد المعول

ويا حبذا ساحاتها لك أنها نسيم الصبا جاءت برّيا القرنفل^٢

هذه منظومة لامية، قرض هذا الشعر على أسلوب الجاهلي، وفي الأخير يمدح حبيبته مليكة العالم شاه جهان بيكم ورغد أيامها ولياليها:

^١ رخسار أحمد، دراسة في كتاب "أبجد العلوم" لصديق حسن خان القنوجي. <https://www.aqlamalhind.com/?p=1552>

^٢ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ١، ص ٩

قفوا أخبرونا هل لهامن مشابه قفوا أخبرونا هل لهامن مشاكل

فما هي إلا رحمة مستطابة تعم البرايا من غني وعائل.^١

تنتهي الديباجة بدعاء لله سبحانه وتعالى لحسن القبول على هذا الكتاب واستفادته، وعفوه والاستغفار من الله عز وجل. تبحث المقدمة بتفصيل ما يطلق عليه اسم العلم، ونسبته ومحلّه، وبقائه، وعلم الله تعالى مع ذكر أقوال العلماء، وينقل آراء المتكلمين والأشاعرة والحكماء في حدّ العلم لغةً واصطلاحاً، ثم يناقش عن بقاء العلم والعقل بعد الموت في الجنة.

يحتوي الجزء الأول 'الوشي المرقوم' ستة أبواب.

الباب الأول : في تعريف العلم وتقسيمه وتعليمه : هذا الباب منسجم بتسعة فصول، وثمانية إعلام وخاتمة، يناقش في هذه الأبواب والفصول والإعلام عن ماهية العلم وخلاف آرائها وأقوالها وتقسيم العلم وتدوينه وغاياته وأهدافه وأجزائه والرؤوس الثمانية ومراتب العلم وشرفه. الفصل الثامن يتضمّن ثمانية إعلام، الفصل التاسع يختم المؤلف بذكر حالة العلماء وما يلحق به من المسائل مع الاستدلال بأقوال العلماء.

والباب الثاني: في منشأ العلوم والكتب وفيه أربعة فصول وأربعة إلهامات. يناقش في هذا الباب عن سبب منشأ العلوم، ومنشأ إنزال الكتب واختلاف الناس، وفيه ثلاثة إفصاح وفي الإفصاح الثالث ثمانية تلويح وفيه المواضيع والمسائل في حكمة إنزال الكتب وأقسام الناس بحسب الديانات والمذاهب والبلاد والمعلوم وانقسامهم وعن أهل الإسلام وعلومهم. وفيه ثلاث إشارات والتعليم للعلم من جملة الصنائع.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ١ ص ١٠

الباب الثالث: يتناول في المؤلفين والمؤلفات والتحصيل، وفيه خمسة ترشيحات، وفي أقسام التدوين والمدونات والمصنفين، ثم في تحصيل العلم وبسط المناظر والتدريس والتلمذ والتصنيف.

الباب الرابع: في فوائد منثورة من أبواب العلم. وفيه إحدى عشر مناظر عن العلوم الإسلامية وعلوم اللسان العربي، وعن موانع العلوم وغيرها. وفي المنظر الثامن يبحث عن شرائط تحصيل العلم وأسبابه وفيه ثلاثة عشر فتحا، أخيرا يدور هذا الباب عن مناظرة أهل الطريقتين، والمحاكمة بين الفريقين.

الباب الخامس: في لواحق الفوائد، يحتوي على تسعة مطالب، ويناقش عن لزوم العلوم العربية والعقلية ومغايرة للغة مضر وحمير وخلاف بينهما وغيرها.

الباب السادس: في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر، وفيه ثلاثة عشر مطلبا، يناقش فيه عن النظم والنثر وصناعاتهما، وانتحال الشعر وطبقات الشعراء وأهل العلم، تحتوي خاتمة الجزء الأول في بيان تطبيق الآراء، وفيه ستة فصول. تتناول في ماهية التطبيق وهليته وفيه نكت خمس، وفي موازين التحقيق وفيه نكت أيضا سبع، وفي أسباب الاختلاف وفيه نكت ست، وفي ضوابط التطبيق وفيه سبع نكت أيضا، وفي الجرح والتجريح وفيه أيضا نكت سبع، وفي أمثلة التطبيق توضيحا للواهم وتمرينا للفاهم وفيه نكت أربعة عشرة. وينتهي هذا القسم في إتمام هذا المرقوم وبعض أحوال المؤلف زاده الله بسطة في العلوم. ينتهي هذا الجزء بذكر فهارس القسم الأول من موسوعة أبجد العلوم المسمى بالوشى المرقوم. وفي البداية يجيئ بأبواب الكتاب وفصوله، ثم فهارس الأعلام والأماكن وأسماء الكتب والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار حسب ترتيب الحروف الأبجدية.

٢: السّحاب المركوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم : هذا هو الجزء الثاني من كتاب 'أبجد العلوم' أضاف الكاتب رحمه الله مقدّمة وأبوابا وخاتمة، يبدأ المقدّمة بالبسملة متّبعاً على سنّة رسول الله صلعم ومقتدياً على طريق العلماء العظماء، ثمّ يحمد الله عزّوجلّ ويصليّ على النبي صلعم في منظومة الرائعة:

الحمد لله الذي لا يفي	بحمده كلّ شكور وفي
ثم صلوة الله تترى على	المختار والآل ومن يقتفي
طريقهم كالبدر الهدى	من لا سواه اليوم من منصف
ودعوة أسأل من فضله	أنجو بها من شدة الموقف. ^١

يشتمل هذا الجزء على أنواع العلوم المتواجدة في عهد الكاتب حيث أنه ذكر كافة العلوم على حروف الأبجد، ولعل هذا هو السبب في تسمية كتابه أبجد العلوم من حرف الألف إلى حرف الياء. فإنه ذكر العلوم أحياناً في صفحة واحدة أو أقل منها وأحياناً في عدّة صفحات حسب توفر العلوم لديه، مثلاً:

فقد بيّن في باب الباء الموحدة ذكر عن علم الباطن وعلم الباه وعلم بدائع القرآن وعلم البديع وعلم البرد ومسافتها وعلم البلاغة وعلم البنكamat وعلم البيان وعلم البيرة وعلم البيطرة وفي باب التاء الفوقانية عن علم التاريخ وعلم تاريخ الخلفاء وعلم التأويل وغيرها، وفي باب الجيم علم الجبر والمقابلة وعلم الجدل وعلم الجراحة وغيرها، وفي الحاء المهملة عن علم الحجامة وعلم الحديث الشريف وعلم الحساب وفي الدال المهملة عن علم دراية الحديث وعلم دعوة

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج٢، ص٣

الكواكب وعلم الدواوين وفي الذال المعجمة علم الذكر والأنثى، وفي الراء يناقش أربعة عشر علما، وفي الزاي المعجمة عن ثلاثة علوم فقط، وفي السين عن ثمانية علوم، وفي باب الشين المعجمة عن سبعة علوم، وفي الصاد المهملة عن خمسة علوم، وفي الضاد علما فقط، وفي باب الطاء المهملة عن ثمانية عشر علما، وفي الظاء علم الظاهر والباطن فقط، وفي العين من علم عجائب القلب إلى علم العيافة زهاء عشرة علوم.

يناقش في باب الغين ثلاثة علوم، وفي باب الفاء من علم الفأل إلى علم فواصل الآي حاويا أربعة عشر علما، يحتوي في باب القاف اثنا عشر علما، باب الكاف يناقش عن علم التقاويم وعلم الكحالة يختم على علم الكيمياء، وفي باب اللام علم اللدن وعلم اللغة فقط، وفي باب الميم يشتمل كثير من العلوم يبدأ من علم مبادئ الإنشاء وأدواته إلى علم الميقات حاويا مائة وستة عشر علما، وفي باب النون يتكوّن سبعة علوم، وفي باب الواو من علم الوجوه والنظائر إلى علم الوقوف مشتمل على عشرة علوم، وفي الهاء علم الهندسة وعلم الهيئة فقط، تنتهي العلوم كلها في باب الياء التحتانية في علم اليوم والليلة.

إن هذه العلوم ليست علما مستقلا، بل معظمها تحتوي بعضها في بعض كما يشير في آخر هذا الكتاب. "اعلم أن العلوم التي اشتمل عليها هذا الفهرس ليست كلها علوما مستقلة بل أكثرها فروع العلوم الأخرى وإنما عدّت علوما على حدة لكون أن التأليف فيها وقعت مستقلة مفرزة لا يعلم لهذا العهد من يعرف تلك العلوم كلها كيف والجامعية لا سيما على وجه الإتيان فيها هي الكبرى الأحمر والإكسير الأعظم بل كل من مهر في بعض من هذه العلوم حق المهارة فقد فاز بحظ عظيم من العلم لا سيما من كان له يد جارحة ويمنى عاملة في علوم الكتاب العزيز والسنة المطهرة وما يرجع إليهما فهو أعجوبة الدنيا والغنيمة الكبرى بين المعاصرين وما أحق هذين

العلمين بالاشتغال بهما وترك الالتفات إلى غيرهما فكل الصيد في جوف الفري وما أجدر الإنسان بأن يقال له في هذا المقام أطرق كرى أن النعمة في القرى وبالله التوفيق وهو المستعان ومنه الخير كله وعليه التكلان.^١

٣: الرحيق المختوم ومن تراجم أئمة العلوم.

هذا الكتاب من الجزء الثالث من كتاب 'أبجد العلوم'. وفي بداية الأمر قسم الكاتب قسمين: الوشي المرقوم والسحاب المرقوم، ثم ألف قسماً آخر وسمّاه الرحيق المختوم كالمسك على الختام، يقول في مطلع هذا الكتاب. "وبعد فهذا هو القسم الثالث من كتاب 'أبجد العلوم' وكنا قد قسمناه على قسمين من قبل ولكن لما انتهى بنا الكلام إلى آخر القسم الآخر عنّا أن نجعل له قسماً ثالثاً في تراجم أكابر أئمة العلوم المتداولة ليكون له كالمسك على الختام ويبلغ به الناظر فيه إلى غاية المرام وسميت هذا الثالث من الأقسام الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم وبالله التوفيق وإليه مصير كل موجود معدوم.

فؤادي داع واللسان مترجم ويا رب يا رحمن فضلك أكرم

وإني المضطر وصنعي عاقني وهل غير رب العبد للعبد يرحم^٢

هذا الجزء يحتوي عن رجال ألفوا في العلوم والفنون التي عرف بها في الجزء الثاني 'السحاب المرقوم' وقد وجد في تراجم هؤلاء أن يقسم فئات. كل فئة تضم أعلاماً في التأليف بعلم من الأعلام، فجعلهم عشرين زمرة على حسب علمهم واختصاصهم، فاستهلّ بعلماء اللغة. قد صنّف فيه اثنتي عشرة ترجمة علماء، بدأ بالعالم الكبير واللغوي المشهور والنحوي الرائد خليل

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٦٠٤.

^٢ المصدر نفسه، ص ٣.

بن أحمد البصري الفراهيدي، صاحب كتاب العين في اللغة، وأستاذ سيبويه، ومستخرج العروض إلى الوجود. وذكر عن علي بن حسن الهناني المعروف بكراع النمل وأحمد بن فارس زكريا وغيرهم من المشاهير العلماء الفضلاء، وتنتهي بأبي يوسف المعروف بابن السكيت. في علماء التصريف أحد عشر عالماً، أولهم مازن أبو عثمان بكر المازني وآخرهم أحمد بن علي بن مسعود صاحب مراح الأرواح، وفي علماء النحو ظالم بن عمرو بن ظالم المعروف بأبو الأسود الدؤلي الكوفي وعمرو بن عثمان الملقب بسيبويه وعلي بن حمزة الكسائي وغيرهم تشتمل اثنتان وثلاثون ترجمة من النحويين النابغين. وفي عنوان علماء المعاني والبيان يحتوي ثمانية علماء أولهم يوسف بن أبي بكر محمد بن علي سراج الدين السكاكي وآخرهم محمد بن علي بن الشريف الجرجاني.

علماء العروض والقوافي أربعة علماء فقط، وعلماء الإنشاء والأدب ثلاثة عشر عالماً، أولهم أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري وأبو القاسم علي بن محمد الحرير وأبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصائبي وغيرهم. وآخرهم صاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد الطاقاني، في عنوان علماء المحاضرة يتضمّن تسعة علماء، وعلماء الشعر عشرون علماء، حبيب بن أوس بن الحارث أبو تمام الطائي صاحب الحماسة ينتهي في الشيخ عبد العزيز اللبباني وغيرهم، علماء التاريخ ثلاثة وعشرون علماء، وعلماء الحكمة منهم أرسطو وأفلاطون ومن المسلمين الفارابي وابن سينا والفخر الرازي ونصير الطوسي وغيرهم، علماء المنطق أربعة علماء وعلماء الجدل أبو بكر محمد بن علي القفال بن إسماعيل الشاشي فقط.

ترتيب علماء الخلاف احتوى ستّة علماء، وعلماء المقالات أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم الشهرستاني فقط. أمّا علماء الطبّ عددهم ثمانية علماء فيها أبو بكر محمد بن زكريا

الرازي، في علماء أصول الفقه استطرف بأحمد بن علي أبوبكر الرازي المعروف الجصاص ويختم قاضي القضاء محمد بن علي الشوكاني رحمه الله تعالى، يتضمّن فيه اثنا عشر عالماً، عدد علماء الفقه أربعة وهم أئمة مذاهب الأربعة، الإمام أبو حنيفة نعمان بن ثابت ومالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل الشيباني السروزي رضي الله عنهم أجمعين. أخيراً يذكر أئمة الفقهاء المتقدمين والمتأخرين.

في عنوان ذكر حفاظ الإسلام استهلّ بشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني رحمه الله والشيخ العلامة الحافظ بن القيم الجوزي رحمه الله وغيرهما، وقد ضمّ أئمة الفقهاء والمحدثين والمفسرين مثل الطبراني والدارقطني والبيهقي والنسائي وغيرهم، في علماء الفرائض عالمان فقط، علماء النجوم بدأ بأبي معشر جعفر بن محمد المنجم وغيره.

انقلب الكاتب من تأليف تراجم العلماء حسب الفنون والعلوم إلى البلدان، ففضّل علماء الحرمين الشريفين، بدأ بترجمة الشيخ علي بن محمد بن عريق عالم المدينة المنورة والشيخ أبو الحسن البكري المصري الشافعي والشيخ أبوبكر بن سالم اليميني الحضرمي وغيرهم، يحتوي زهاء عشرون عالماً. وتراجم علماء اليمن كثيرة، فهم السيد يحيى بن عمر مقبول الأهدل وأبو المحاسن السيد سليمان بن يحيى المذكور وغيرهما من سبعة وثلاثين عالماً، ثمّ أتى بتراجم علماء الهند، ومن بعض رؤّادهم أبو حفص ربيع بن صبيح السعدي والشيخ عبد الحق الدهلوي والشيخ ولي الله الدهلوي والشيخ فضل الحق الخير آبادي والشيخ عبد الحي الدهلوي وغيرهم، قد ازداد عدد العلماء في الهند من غيرها.

تنتهي هذه التراجم بذكر علماء قنوج وعلماء بهوبال المحمية، يشتمل اثنا وعشرون عالماً، قد أضاف الكاتب إليه أباه العزيز بذكر اسمه. "سيدي الوالد الماجد المرحوم حسن بن علي بن

لطف الله الحسيني البخاري القنوجي قدس الله سره ونور الله مضجعه، ذكرت له ترجمة حافلة في (إتحاف النبلاء المتقين) فلا حاجة إلى إعادتها ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله. وهو ابن السيد الأمير الكبير نواب أولاد علي خان بهادر أنورجنك، المتوفي بأرض حيدرآباد الدكن، جده القريب السيد أبوعبد الله جلال الدين حسين المعروف بمخدوم جهانيان جهان كشت، ونسبه الأقصى ينتهي إلى سيدنا زين العابدين علي أصغر بن حسين الشهيد بكريلاء رضي الله تعالى عنه في سنة ١٢١٠هـ. ثم يحلل عن دراسته ومواقفه الدينية ومؤلفاته الشهيرة، وفي النهاية عن تاريخ وفاته.

فلما تمت ترجمة حياة أبيه دخل إلى ترجمة أخيه الكبير. "السيد العلامة أحمد بن حسن بن علي العرشي القنوجي أخونا الكبير كان أساساً محكماً للمراتب العليا وقياساً منتجاً للفضيلة الكبرى ميزان نقد العقلية برهان عدل النقلية، ولد تاسع عشر رمضان يوم السبت وقت الإشراف سنة ١٢٤٦هـ، وأخذ العلوم المروجة والفنون الدراسية متفرقة في بلاد شتى من أساتذة متعددين كبلدة دهلي وغيرها، وساح البلاد ولاقي جماعة من أهل العلم والمدرسين، وبرع في الفضائل، وجمع الفواضل المتكثرة، كالرمي بالبندق والركوب على الأفراس ونظم القصائد الغراء في الفارسية والعربية، وفاق الأقران في الذكاء والفتنة وقوة الحافظة وجودة الذهن".^٢ بعد ذلك يذكر عن أساتذته الفضلاء، ومسيرته العلمية ومرضه الذي أدت إلى موته، كان الكاتب آنذاك ببلدة بهوبال المحمية، حزن الشيخ بفراق أخيه حزناً شديداً، يختتم هذه الترجمة في استذكار رؤيته رسول الله صلعم ببلدة قنوج، ونظمت هذه الرؤيا في أبيات أولها:

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ٣، الرحيق المختوم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٧٨م ص ٢٦٦، ٢٦٧،

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٦٨

رأيت رسول الله في النوم ليلة وقد كنت مشتاقا إليه متيما

تحت هذا العنوان جمع الكاتب ترجمة حياة نفسه، بوضع العنوان 'العبد الفقير لما أنزل إليه من خير الباري'. يذكر أولاً عن اسمه وسنة ميلاده ومكان ميلاده وغيرها "أبوالطيب صديق بن حسن بن علي الحسنين القنوجي البخاري كان الله له في الدنيا والآخرة وحباه فيهما بنعمه الذخرة الوافرة الفاخرة.

تولد في سنة ١٢٤٨هـ ونشأ بموطنه بلدة قنوج وما إليها من الأقطار الهندية فهو مولده ومسكنه ومرباه ومحتده وداره ومثواه يرجع نسبه إلى حضرة سيد السادة وقدة القادة زين العابدين علي بن حسين السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

ثم يذكر عن العلماء البارزين الذين درّسوه العلوم الدراسية في هذا العهد، منهم الشيخ الفاضل المفتي محمد صدر الدين خان الدهلوي والشيخ العامل رفيع الدين والشيخ القاضي حسن بن محسن السبعي الأنصاري والشيخ المعمر الصالح عبد الحق فضل الله الهندي وغيرهم، ومنهم أجازوا مثل: الشيخ يحيى بن محمد بن أحمد بن حسن الحازمي والسيد نعمان خير الدين الوسي زاده وغيرهما، ويوضح أيضا رحلاته إلى بهوبال بذكر فضل الله ورحمته، ويختتم ترجمة حياته ببيان أسماء مؤلفاته على ترتيب حروف المعجم المطبوعة في مطابع بهوبال ومصر والقسطنطينية والشام وغيرها من البلاد.

تحت عنوان 'علماء بلدة بهوبال المحمية' يذكر عن زوجته الحبيبة تاج الهند المكلل نواب شاه جهان بيكم مليكة بلدة بهوبال المحمية، وعن ترجمة حياتها ورياستها وعلمها وفضلها وإصلاحاتها الملكية "والحاصل أن مليكة بهوبال المحمية زمانها هذا زمان السعادة وأوان ترقى العلوم وموسم المسرة والرفعة لكل خادم ومخدوم، كيف وهي تاج الهند ورأس الرؤوس، وقد قيل في المثل

السائر: لا عطر بعد عروس، وهي التي عمرت الديار بعد خرابها، وأحيت المدارس العلمية بعد دروسها وتباها، وبنت المساجد العظيمة، وقررت الوظائف الفخيمة وحفرت الآبار، وغرست الحدائق والأشجار، وأحدثت العمائر الكبار وأكرمت الصغائر والصغار، وأحيت السنن وأماتت البدع وقلعت أسباب الفجور والفسوق، وأخمدت نار الصبوح والغبوق، وظهرت الديار عن أدناس الإشرار والمحدثات.^١

الفصل الثالث

المواضيع المتداولة في أعماله باللغات الثلاث:

العربية، الأردية، الفارسية.

كان صديق حسن خان مشغولاً بالعلم وكتابتها منذ صغرسنه، كان يلفت أنظاره على مؤلفات أبيه، ويتصفح صفحات هذه الكتب حين ينشرها، له سرعة عجيبة في الكتابة والتأليف، ورث هذه الخصلة عن آبائه، هذه المقدرات الفطرية والتسهيلات الأساسية ساعده أن يؤلف في كل فن من الفنون و العلوم المتنوعة.

العلوم والفنون التي صُنّفت فيها الكتب والرسائل والمخطوطات وهي كما يلي :

١ : العقائد

٢ : علم الإشتقاق

٣ : اللغة

٤ : البديع

٥ : الأدب

٦ : الموعظة

٧ : الأخلاق والتصوف

٨ : الأذكار والأوراد

٩ : الشعر

١٠ : علم الإسناد

١١ : الطبقات

١٢ : علوم القرآن

١٣ : المناقب.

١٤ : علوم الحديث

١٥ : التفسير

١٦ : الفقه

١٧ : أصول الحديث

١٨ : النحو

١٩ : الصرف

٢٠ : الكلام والتأويل

٢١ : آداب القضاء.

٢٢ : التاريخ والسير والتراجم.

٢٣ : أصول الفقه

يذكر صاحب المآثر صديقي عدد مجموع كتبه سيحصي زهاء (٢٢٢) كتابا ومنه (٥٦) كتابا باللغة العربية والباقي باللغة الأردية والفارسية، وهو يوضح عن سبب في تأليف مختلف اللغات. "اشتغلت لمدة بالكتابة باللغة العربية فلما وجدت أغلب الناس غير فاهمين اللغة العربية بدأت أكتب باللغة الفارسية، والآن لا أجد من يعرف الفارسية أيضا وكل من رأيته وجدته محبا وشائقا

لغة الأردية فاضطرت إلى الكتابة باللغة الأردية وقدمت كثيرا من الكتب في هذه اللغة الهندية.^١ يصحّ عن سبب التأليف في مختلف اللغات.

يشير النواب أيضا أن في هذه الكتب مشهورة وذاعت صيتها في الآفاق. "من بين كتبي الجمّة تحتل بعض منها كمنارة علم وهدى. وعلى سبيل المثال تفسير فتح البيان وعون الباري والسراج الوهاج وحضرات التحلي والتاج المكلل ومسك الختام ونيل المرام وإكليل الكرامة وحصول المأمول وذخر المجتبى والروضة الندية وظفر اللاضي ورسالة عن الجنة عن النار ونزل الأبرار وإفادة الشيوخ وبدور أهله وتقصار حجج الكرامة ودليل الطالب ورياض المرتاض وغيره الخيرة ولسان العرفان وغيرها."^٢

مؤلفاته العربية

التفسير

١. فتح البيان في مقاصد القرآن
٢. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام
٣. خلاصة الكشف المعروف بإعراب القرآن

الحديث

١. الإدراك بتخريج أحاديث رد الإشراك
٢. الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة
٣. أربعون حديثا في فضائل الحج والعمرة

^١ إبقاء المنن ٥٩ نقلا عن مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، لعبيد الرحمن، ص ١١٦

^٢ المرجع نفسه، ص ١١٦

٤. أربعون حديثاً متواتراً
٥. إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة
٦. بلوغ السؤل من أقضية الرسول (صلى الله عليه وسلم)
٧. الحرز المكنون لفظ المعصوم المأمون
٨. حسن الأسوة مما ثبت من الله ورسوله في النسوة
٩. الحطة في ذكر الصحاح الستة
١٠. الرحمة المهداة إلى من يريد زيادة العلم على أحاديث المشكاة
١١. الروض البسام من ترجمة بلوغ المرام
١٢. السراج الوهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج
١٣. العبرة لما جاء في الغزو والشهادة والهجرة
١٤. عون الباري لحل أدلة البخاري
١٥. فتح العلام شرح بلوغ المرام
١٦. نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار

العقيدة

- ١ الانتقاد الرجح بشرح الاعتقاد الصحيح
- ٢ الجوائز والصلوات من جميع الأسامي والصفات
- ٣ حضرات التجلي من نفحات التحلي والتجلي
- ٤ خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان

٥ الدين الخالص

٦ الغنة ببشارة الجنة لأهل السنة

٧ قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر

٨ قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل

٩ منير ساكن الغرام إلى روضات دار السلام

١٠ يقظة أولى الاعتبار فيما ورد من ذكر أهل النار وأصحاب النار

الفقه وأصوله

١. الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد

٢. الجنة في الأسوة الحسنة بالسنة

٣. حصول المأمول من علم الأصول

٤. زخر المحتي من آداب المفتي

٥. رحلة الصديق إلى البيت العتيق

٦. الروضة الندية في شرح الدرر البهية

٧. الطريقة المثلى في الإرشاد إلى ترك التقليد واتباع ما هو الأولى

٨. ظفر اللاضي بما يجب في القضاء على القاضي

٩. قضاء الأرب من مسألة النسب

اللغة والأدب

١. الكلمة العنبرية في مدح خير البرية

٢. الإنشاء العربي

٣. البلغة في أصول اللغة

٤. الدخيل والأغلاط

٥. ربيع الأدب

٦. العلم الخفاق من علم الاشتقاق

٧. غصن البان المورق بمحسنات البيان

٨. لف القمطاط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والمولد

٩. نشوة السكران من صهباء تذكرة الغزلان

التاريخ والتراجم

١ إحياء الميت بذكر مناقب أهل البيت

٢ التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول

٣ رياض الجنة في تراجم أهل السنة

٤ لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان

٥ مراتع الغزلان في تذكّار أدباء الزمان

الأخلاق والمواعظ

١ تخريج الوصايا من خبايا الزوايا

٢ الموعظة الموعظة لحسنة بما يخطب به في شهور السنة

علم المنطق

١ التذهيب شرح التهذيب

الموسوعات

١ أبجد العلوم

مؤلفاته الأردية

التفسير

١ ترجمان القرآن بلطائف البيان

٢ تذكير الكل بتفسير الفاتحة وأربع قل

٣ فصل الخطاب في فضل الكتاب

الحديث

١. اتباع الحسنة في جملة أيام السنة.

٢. بغية القاري في ثلاثيات البخاري

٣. تقوية الإيقان بشرح حلاوة الإيمان.

٤. تميمة الصبي في ترجمة الأربعين من أحاديث النبي.

٥. توفيق الباري لترجمة الأدب المفرد للبخاري

٦. جامع السعادات ترجمة المنهيات لابن حجر

٧. خير القرين ترجمة الأربعين

٨. ضوء الشمس من حديث 'بني الإسلام على خمس'

٩. عين اليقين ترجمة الأربعين للغزالي

١٠. غنية القاري في ترجمة ثلاثيات البخاري

١١. كشف الكربة عن أهل الغربية

١٢. كشف اللثام عن غربة الإسلام

١٣. محاسن الإسلام

١٤. محو الحوبة بإيثار الاستغفار والتوبة

١٥. النهج المقبول من شرائع الرسول.

العقيدة:

١. الاحتواء على مسألة الاستواء

٢. إخلاد الفؤاد إلى توحيد رب العباد

٣. إخلاص التوحيد للحميد المجيد

٤. اقتراب الساعة

٥. الانفكاك عن مراسم الإشراف

٦. إيقاظ الرقود بأهوال اليوم الموعود

٧. بذل الحياة لحسن الممات

٨. بذل المنفعة لإيضاح الأركان الأربعة

٩. تعليم الإيمان

١٠. التفكيك عن أنحاء التشريك

١١. الدر المنضود في ذكر المهدي الموعود.

١٢. دعاية الإيمان إلى توحيد الرحمن

١٣. دعوة الحق

١٤. دعوة الداع إلى إثثار الاتباع عن الابتداع

١٥. زيادة الإيمان بأعمال الجنان

١٦. عقيدة سني

١٧. ضالة الناشد الغريب في شرح المنظوم المسمى بتأيس الغريب

١٨. فتح الباب بعقائد أولي الألباب

١٩. قضية المقدور على فتنة القبور

٢٠. قواطع البشر عن أنواع الشر

٢١. القول الثابت

٢٢. القول الحق

٢٣. اللواء المعقود لتوحيد الرب المعبود

٢٤. مراد المرد في إخلاص التوحيد

٢٥. المعتقد والمعتقد

٢٦. ملاك السعادة في أفراد الله تعالى بالعبادة

٢٧. منهاج العبيد إلى معراج التوحيد

٢٨. النصيح السديد لوجوب التوحيد

٢٩. النذير العريان من دركات النيران

٣٠. هادي القلب السليم إلى درجات النعيم

الفقه

١. إيضاح المحجمة للعمرة والحجة

٢. تحفة الصائمين
٣. تعليم الحج
٤. تعليم الزكاة
٥. تعليم الصلاة
٦. تعليم الصيام
٧. حل الأسئلة المشككة
٨. حل سؤالات مشككة
٩. روز مرة إسلام
١٠. رفع الالتباس عن مسائل اللباس
١١. سبيل الرشاد لما يحتاج إليه العباد
١٢. سعة المجال إلى ما يحل عن الأرزاق والأموال
١٣. السيف المسلول على من سب الرسول
١٤. صلاح ذات البين ببيان ما للزوجين
١٥. طراز الخمرة في فضائل العمرة
١٦. فتاوي أيام المتقين
١٧. فتح المغيث بفقہ الحديث
١٨. فلاح البرايا في إصلاح الراعي الرعايا
١٩. كشف الالتباس عما وسوس به الخناس
٢٠. المقتصر المختصر في حسن الظن بالمحتضر

٢١. وسيلة النجاة لأداء الصلاة والصوم والحج والزكاة

اللغة والأدب

١. آمد نامه

٢. برد الأكباد شرح قصيدة بانث سعاد

٣. الشمامة العنبرية في مولد خير البرية

٤. قسطاس الأذهان في شرح الميزان

٥. والمعجب في نحو المغرب

تاريخ وتراجم

١. إبقاء المنن بإلقاء المحن

٢. اتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء والمحدثين

٣. بزم سخن

٤. بلوغ العلى بمعرفة الحلى

٥. ترجمان وهابية

٦. تشريف البشر بذكر الأئمة اثني عشر

٧. تكريم المؤمنين بتقديم الخلفاء الراشدين

٨. حديث الغاشية عن فتنة العالية والغاشية

٩. رفو الخرقة بشرف الحرفة

١٠. سر من رأى

١١. طلائع المقدور من مطالع الدهور

١٢. طور كليم

١٣. كشف الغمة عن افتراق الأمة

١٤. منتخب نفح العود في أيام التشريف الحمود

١٥. ١٥ نكارستان سخن

أخلاق وآداب

١. اختيار السعادة بإيثار العلم على العبادة

٢. إدامة الشكر بإقامة الصبر والشكر

٣. إسعاد العباد بحقوق الوالدين والأولاد

٤. إعلام البشر بوجوه الخير والشر

٥. إيقاظ النيام لصلة الأرحام

٦. برك سبز

٧. بشارة الفساد.

٨. تبشير العاصي بتكفير المعاصي.

٩. تحريم الخمر والزنا واللواط والمعازف والعشق

١٠. تحصيل الكمال بالخصال الموجبة للظلال.

١١. تسليية المصاب.

١٢. تطهير الثوب بقبول التوب.

١٣. تعليم الذكر والدعاء.

١٤. تفريج الكروب بالتوبة عن الذنوب

١٥. توزيع العباد إلى الدرجات في يوم المعاد.

١٦. توزيع المعاصي والطبقات إلى إنماء الدرجات والدرجات
١٧. توضيح المعاصي .
١٨. حث الإنسان على ما يوجب دخول الجنان
١٩. خلق الإنسان
٢٠. خيرة الخيرة
٢١. الداء والدواء .
٢٢. دواء القلب القاسي بتذكير الموت للناسي .
٢٣. رسالة منجيات ومهلكات .
٢٤. سائق العباد .
٢٥. صدق اللجوء إلى ذكر الخوف والرجاء
٢٦. عاقبة المتقين .
٢٧. العشرة الكاملة
٢٨. عمارة الأوقات بوظائف العبادات مع بيان الدرجات والدرجات .
٢٩. غراس الجنة في الأذكار والأدعية
٣٠. فتح الخلاق بلطائف المنن والأخلاق
٣١. فتنة الإنسان من تلقاء أبناء الزمان .
٣٢. قوارع الإنسان عن اتباع خطوات الشيطان
٣٣. كشف الستر عن وجهة الذكر والفكر .
٣٤. اللتيا واللتى (في ذم النساء)
٣٥. لسان العرفان الناطق بما يهلك الإنسان .

٣٦. مقالات الإحسان في مقامات العرفان (ترجمة فتوح الغيب)

٣٧. منتخب زاد المتقين للشيخ عبد الحق الدهلوي .

٣٨. وصية نامة أبو الوفاء

٣٩. ضيافة الإخوان بقيافة الإنسان .

منطق

١ هدية شاهجهانية حل مرقاة ميزانية

السياسية

١ حسن المساعي إلى إصلاح الرعية والراعي

الموسوعات

١ حظيرة القدس وذخيرة الإنس

مؤلفاته الفارسية

١ إفادة الشيوخ بقدر الناسخ والمنسوخ

٢ الإكسير في أصول التفسير

الحديث

١ سلسلة العسجد في ذكر مشايخ السند

٢ مسك الختام شرح بلوغ المرام

٣ منهج الوصول إلى اصطلاح أحاديث الرسول

٤ موائد العوائد من عيون الأخبار والفوائد

العقيدة

١ بغية الرائد في شرح العقائد .

٢ ترجمة شرعة الإسلام

٣ ثمار التنكيت في شرح أبيات التثبيت

٤ كلمة الحق

الفقه

١ . بدور الأهلة من ربط المسائل بالأدلة

٢ . البنيان المرصوص من بيان الفقه المنصوص

٣ . عرف الجادي من جنان هدى الهادي

٤ . هداية السائل إلى أدلة المسائل

اللغة والأدب

١ . تحفة الفقير در ذكر قهوة وشاي

٢ . تصريف الرياح ترجمة مراح الأرواح

٣ . صافية شرح كافية

٤ . المغنم البارد للصادر والوارد.

٥ . المنهل العذب الصافي شرح منهج البيان الشافي

٦ . نفح الطيب من ذكر المنزل والحبیب.

تاريخ وتراجم:

١ جلب المنفعة في الذب عن الأئمة المجتهدين الأربعة

٢ تقصار جيود الأحرار من تذكّار جنود الأبرار

٣ تذكرة شمع أنجمن

٤ تذكرة صبح كلشن

٥ الفرع النامف من أصل السامف

أخلاق وآداب

١ بشنوف.

٢ رفاض المرتاض وغباض العرباض

٣ قطع الأوصال ترجمة قصر الآمال .

٤ المقالة الفصفحة فف الوصفة والفصفحة

٥ الروض الخضفب من تزكة القلب المنفب ..

المؤلفة فف الأردفة والفارصفة

١ دفوان كل رعنا (مجموعة الغزلفات بالفردفة والفارصفة)

الفصل الرابع

تفنيد الشبهات المثارة حول مؤلفاته، وبيان الحقائق المتعلقة بها

كان النواب صديق حسن خان القنوجي عالما مشهورا ورائدا من رواد النابغين في جميع العلوم والفنون، له موهبة جليلة وسرعة عجيبة في الكتابة والتأليف، إنه يصنّف الكتب الضخمة حاوية أكثر من ألف صفحات في أيام قليلة، ألف موسوعته أبجد العلوم في العلوم والفنون ألف في أربعة أشهر التي تتضمن ١٣٣٩ صفحة. واستفاد من عمره نحو ٣٩ سنة للتأليف الكتب وجمعها وترتيبها. وبالرغم من أنه عاش ٥٩ عاما.

ابتغى الأمير صديق حسن خان القنوجي التأليف إلى وسيلة في نشر العلم والدعوة، كان له موهبة جبليّة منذ صغر سنّه، بدأ مسيرته التأليفية بشرح 'مختصر الميزان' حين كان دارسا في دهلي. ألف النواب صديق حسن خان نحو ٢٢٢ كتابا و٧٨ رسالة، ومن تأليفاته الكتبية ٥٦ كتبا باللغة العربية الفصحى مع أنه أعجمي والباقي باللغة الأردية والفارسية. تسببت هذه الإنجازات لإثارة الدهشة والاستغراب بين العوام والعلماء خصوصا بين الأعداء، ويرون أنه أمر صعب المنال، ومنهم الأميرة سلطان جهان بيكام رفعت عددا من الاتهامات والانتقادات في كتابها 'تذك سلطاني' ألفت بعد وفاة الأمير صديق حسن خان بإحدى وعشرين سنة. تقول فيه "يعرف القارئ بأن الأمير صديق حسن خان كان رجلا خاملا تافها قبل أن يأتي إلى بهوبال، ولكنه بعد مدة من الزمن صار من حظه رجلا معروفا ممتازا وممثلا لأمرء البلاد."^١

١تذك سلطاني ص ١٧١ نقلا عن الأمير سيّد صديق حسن خان حياته - وآثاره، لدكتور محمد اجتباء الندوي، ص ٢١٥

يقول المستشرق كونيل أدورد فنديك في كتابه 'اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أشهر التأليف' قام بتأليفه بعد وفاة السيد الأمير صديق حسن خان ١٥ عاما، قال فيه: "أصله من عوام الناس إلا أنه توصل إلى ملكة بهوبال في إقليم الدكن في الهند وتزوج بها، وتسمى نائبا عنها فعندما اغتنى بالمال، وجمع إليه العلماء، وأرسل فابتاع الكتب خط اليد من كل جهة، وجمع مكتبة كبيرة، وكلف من حوله من العلماء بالتأليف، ثم أخذ مصنفاتهم ونسبها لنفسه بل كان يختار الكتب القديمة التي لم تكن منها سوى النسخة الواحدة ويغير العنوان ويبدله باسم آخر ويضع على الصحيفة الأولى اسمه مع ألقاب الفخر ثم يقول: مع ذلك له مصنفات حسنة منها تفسيره الذي سمّاه 'فتح البيان في مقاصد القرآن'.^١ حاولوا التشكيك في مؤلفاته وأعماله.

إذا ألفتنا أنظارنا إلى هذين القطعتين المقتبستين نستوعب أن هذه الاتهامات والتشكيك مبنية على تشويه حسن سمعة القنوجي وإسقاط قيمة كتبه القيمة. ونتيجة من الحسد التعصبي والأسري والحق المذهبي فقط ليس غير، إلى هذا يشير الدكتور إجتباء الندوي في كتابه المشهور. 'الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره' يقول عن أميرة سلطان جهان بيكام: "فهي لابنة الأميرة شاه جهان بيكام التي تولت الحكم بعدها وكانت تكون للأمير العداء لزواجه مع أمها الأميرة، وخوفها من تحوّل الحكم إلى السيّد وأولاده."^٢

يبرز الدكتور عبيد الرحمن في بحثه عن حقيقة انتقاداته وكتبه يقول فيه: "فقد اتّضح لنا الآن أن الاعتراضات التي أثيرت في زمن حياة النواب صديق حسن خان مذهبيا وفقهيا، وكذلك بعض الأخطاء في سنوات الوفاة، ولكن لم يقل أحد من العلماء أنه وظّف العلماء والكتاب فهم يكتبون

^١ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أشهر التأليف لكونيل ادورد فنديك طبع في مطبعة الهلال بمصر سنة ١٣٢٢ هـ ص ٤٩٧ نقلا عن

الأمير سيّد صديق حسن خان، ص ٢١٦

^٢ د. محمّد إجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته _ وآثاره، ص ٢١٦

له وكانوا على معرفة تامّة عن نواب صديق حسن خان حتى أن النواب سكندر بيكام لم تقل أنه نسب إلى نفسه إنتاجات الآخرين، وكانت تكن له عدااء شديدا خشية أن تنتقل الإمارة إلى عائلة النواب صديق وبعبكس ذلك صدقت على صلاحه وتقواه.^١ نستوعب هذه الحقيقة حينما نحلل القطعات الانتقادية كلها، ومع ذلك ساعده أمور كثيرة تالية في تأليف الكتب النيرة والرسائل الوافرة.

مهارة التأليف ومنهجه

كان للنواب صديق حسن خان قدرة فريدة وسرعة عجيبة في التأليف والتصنيف، كما أنه كان يبذل معظم أحيانه في مطالعة الكتب النافعة وجمع المعلومات، ويصنّف الكتب الضخمة في أيام قليلة، ورث هذه الخصلة عن آبائه وأجداده. فمن المعلوم شغفه للتأليف ورغبته في الترجمة لا يضيع ساعة ولا دقيقة، إذا وجد الفرصة فيهمك في التصنيف، يقول عبد الحيّ الحسني: "كان يقوم قبل الفجر فإذا صلى اشتغل بتلاوة القرآن الكريم والدعاء والذكر وقراءة جزء من الحصن والحصين للجزري حتى إذا ارتفعت الشمس اشتغل بسماع أخبار الإمارة وطلبات رجال الإدارة ثمّ يقبل إلى التأليف ومطالعة الكتب من غير أن يضيع دقيقة."^٢

حبر أول كتبه في شرح المختصر الميزان أثناء دراسته في دهلي يقول الشيخ الحسني أيضا: "وله مصنفات كثيرة، ومؤلفات شهيرة في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والأدب قلما يتفق مثلها لأحد من العلماء وكان سريع الكتابة، وحلو الخط، يكتب كراستين في مجلس واحد بخط خفي في ورق عال ولكنه لاتخلو تأليفاته عن أشياء إمّا تلخيص أم تجريد أونقل إلى عن

^١ نزهة الخواطر ج ٣/ص ١٤ نقلا عن مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، لعبيد الرحمن، ص ١١٦

^٢ المرجع نفسه، ص ١١٣

لسان آخر.^١ وقد ورث مهارة التأليف من والده، كان يؤلف كل يوم صفحة مكونا من (٨) أوراق، واعتاد أيضا عندما كان حاكم الإمارة بهوبال، مع أنه كان مشغولا بأمور الدولة.

التسهيلات الأساسية

كان صديق حسن خان القنوجي يتنعم بتسهيلات التي لم تتمكن لأحد من العلماء المعاصرين له، وتوفرت له المصادر الأولية من الكتب الأساسية ومنها ما كانت ادّخرت الإمارة في مختلف عصور الحكام، كما فيها ما ابتاعها بثمن غال من البلاد العربية خلال سفره للحج والعمرة، كما أنه ساعده العلماء والكتّاب البارزون في جمع المصادر والمراجع وترتيبها وتنسيقها تحت رعايته وإشرافه. وأنفق أمواله الطائلة الجمّة التي حصل عليها النواب بعد تولّي مهام الإمارة، وكان يحصل ٧٥ ألف روبية سنويا من إقطاعية واحدة. وذلك سهل له أن يشتري ثماني مطابع تعمل ليلا ونهارا بطباعة الكتب ونشره. وهذه التسهيلات النادرة أدته إلى الإبداع والتأليف الكتب العديدة ممّن غيره من العلماء المعاصرين.

الاعتراف والقبول

نالت مؤلفات النواب قبولا واسعا وإعجابا بالغا من كل الأنحاء داخل الهند وخارجها، فالعرب والعجم كلهم تلقوها بالإيجاب والقبول وكتبوا التقارير والمدائح عليها، والدول التي نشرت فيها كتبها في زمن حياتها وبعده هي: المملكة المكرة، المدينة المنورة، حلب، الجزائر، عدن، بغداد، مصر، سورية، صنعاء، اليمن، العراق، القدس، طرابلس، بلغارية، إسكندرية، نجد، بيروت، قسطنطينية، دمشق، طهران، إيران، كابل، قطر، الكويت. وأيضا المدن الهندية التي تم فيها

^١ نزهة الخواطر ج ٣/ص ١٤ نقلا عن مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، لعبيد الرحمن، ص ١١٢

طباعة ونشر كتبها: كالكتا، بهوبال، عظيم - جهادگر فكر، أكبر آباد، ولي، لاهور، پيشاور، كشمير، لکناؤ، کانفور، بنار ام نور، طوتک، حيدرآباد، دکن، وغيرها.

نشرت وطبعت أعماله التأليفية في الدول العربية وتعرضت للقراءات في داخل الهند وخارجها، وتلقاها قبولا حسنا من قبل العلماء العرب والعجم وأثنوها. ولم يرو من أحد منهم أيا من الاتهامات والانتقادات عن شخصيته و أعماله، وروي منهم عن ميزات كتبه. يقول محمد بن عبد الله بن حميد مفتي الحنابلة معلقا على تفسيره فتح البيان: أبدع في هذا التفسير الجليل الذي لم يوجد ولا أظنّ يوجد له مثل وسمّاه بفتح البيان في مقاصد القرآن وانتقى فيه لباب التأويل كشف فيه عن أسرار التنزيل واعتمد على الآثار الواردة وترك ضعاف الأقاويل فلقد أوجده الله سبحانه خادما للكتاب في هذا الجيل، ولسنّة نبيّه المخصوص بالتبجيل فهو أحق بأن يسمى مجدد الألف الثاني لما حواه من حفظ الآثار النبويّة بالألفاظ والمعاني وما منحه الله من فهم الكتاب العزيز والسبع المثاني فهذا التفسير أعدل شاهد صادق ومن لم يسلم فهو مكابر مشاqq، فإن هذا المؤلف من نعم الله سبحانه على هذه الأمة المحمدية في هذا الزمن الذي اندرست فيه السنّة النبويّة ودثرت فيه الآثار المصطفوية.^١

خصائص التأليف

امتاز النواب صديق حسن خان في الكتابة والتأليف بخصائص عديدة، يمكن لكل من يطالع تأليفاته أن يعرف عن هذه الحقيقة. يقول الشيخ حيدر خان: "إن الأمير صديق حسن خان كان يؤلف جزءا واحدا كل يوم، وإن ذهب إلى أحد في مناسبة، أو حفلة أو مأدبة وتأخر الطعام

١قرة الأعيان ومسرة الأذهان ص: ٣٦ - ٣٧ نقلا عن إسهامات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند لمحمد منصور عالم ص ٧٩

فينتحي ويشغل بالتأليف في نفس المكان.^١ وأيضاً "نجد تأليفه إما عن نقل كتاب أو تلخيص من بعض الكتب أو ترجمة من لغة إلى أخرى، يقول: إن معظم مؤلفاتي تراجم كتب العلماء الراسخين، وقول من آثار السلف ونقلت أو ترجمت من لغة إلى لغة أخرى والذي ذكرته في مؤلفاتي هو في الواقع علم علماء السابقين، وأئمة الأمة ليس هو علمي واجتهادي إنما أنا حامل له."^٢ وقد أثارت أيضاً الشكوك والشبهات التي تسرب إلى قلوب الناس هل من الممكن أن يؤلف لشخص زهاء ٣٠٠ كتابة وسالة^٣ وهذا ليس من المستحيل لأن في معاصريه من هو أكثر منه عدداً، ككتب عبد الحيّ الفرنكي محلي، له ١١٠ كتاباً، منها ٨٦ كتاباً في اللغة العربية وكذلك للشيخ أشرف علي التهانوي نحو ٩١٠ كتاباً، منها ١٣ كتاباً باللغة العربية.^٤

ويظهر جلياً بهذه الدراسة بأن السيّد الأمير حالفه التوفيق والنجاح في تأليف هذه الكتب بأسلوب شيق متين، وبطريقة أنيقة، وعلى طراز عصري جديد، وبلغة سهلة مستساغة، ينتقي كلمات رائعة، جملاً بديعة، محادثات طريفة، ومحاورات يومية، وأمثال عربية وحكما مفيدة، وبياناً معجزاً ساحراً، لا يسع القارئ إلا الاستمرار في القراءة والمداومة في مطالعة كتبه، وهو قدير متقن، وقوي باللغة العربية والفارسية والأردية، يترجم معاني القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأقوال العلماء بلغة حلوة عذبة وبأسلوب جذاب.

^١ مجلة 'المعارف' ص ٤٤٢ عدد حزيران ١٩٧٥ م نقلاً عن الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره ص ٢٢٠

^٢ نزهة الخواطر ج: ٨ ص ١٩١ نقلاً عن أمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره ص ٢٢٣

^٣ المسلمون في الهند ص ٣٥ نقلاً عن مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي، لعبيد الرحمن، ص ١١٢

نرى في كتاب "نقد أوهام صديق حسن خان المسمّى إبراز الغيّ الواقع في شفاء العيّ" للإمام أبي الحسنات محمد عبد الحيّ اللكنوي أنه نقل الأخطاء الكثيرة وليس هذا نقد عليه، يقول في كتابه: "وقد كنت أوردت عليه في تصانيفي ما صدر عنه في تصانيفه، وهو غلط قطعاً أوظناً، وما كان ردّي له بغضاً وعناداً، حسبما يردّ بعض العلماء بعضاً لإبطال الباطل وإظهار الحق، وهو أحق، وذلك لأن تصانيفه وإن اشتهرت وكثرت، وأفادت الخلائق ونفعت، ولكنّها مع ذلك غير منقحة ولا مهذّبة، يعلم من طالعها أن مؤلفها لم يقصد فيها إلا جمع الرطب واليابس، كجمع الغافل والنّاعس، لا ينقح الأمور التي يجب تنقيحها، ولا تحقيق التي يجب تحقيقها."^١

وبعض من الباحثين يرون أن أعمال النواب صديق حسن خان القنوجي ليست فيها أصالة وإنما هي مختصرة من بعض مؤلفات السابقين، لم يزد عليها شيئاً. لا ننكر أن الميزة البارزة على مصنفات القنوجي هي الجمع والتلخيص والتهديب والترتيب والتبويب والزيادة، هذا منهج شامل يشير على تعمقه في العلوم واستبحاره في الكتب والفنون.^٢

ويبدو لنا أيضاً أن النواب صديق حسن خان عالم مشهور وفقه نابغ ومفسّر قدير معترف بين العجم والعرب شرقاً وغرباً ذاع صيته في الآفاق. له قدرة جبليّة في التّأليف والتصنيف، إنّ الانتقادات التي افتري عليه الأعداء، تولّد من حقد مذهبي وحسد عصبي. ومؤلّفاته خالية من الانتحال والسرقة، وهذا يبدو لنا من أسلوبه ومنهجه ولم ينقد عليه أحد من العلماء البارزين والشيوخ النابغين.

^١ الإمام أبي الحسنات محمد عبد الحيّ اللكنوي، نقد أوهام صديق حسن خان المسمّى إبراز الغيّ الواقع في شفاء العيّ دار الفتح

عمان -الأردن ص ١٤

^٢ سيد عبد الماجد الغوري، الأمير صديق حسن خان البخاري القنوجي وإسهامه في الحديث النبوي، الحديث مجلة علمية محكمة

نصف سنوية ص ١٢٨

الباب الثالث

المحسنات البلاغية في أجد العلوم

الفصل الأول: الاقتباس

الفصل الثاني: الطباق

الفصل الثالث: السجع

الفصل الرابع: التشبيه

الفصل الخامس: الاستعارة

الباب الثالث

المحسنات البلاغية في أبجد العلوم

تتميز موسوعة 'أبجد العلوم' لصديق حسن خان القنوجي بكثير من المحسنات البلاغية التي تشهد ذوق المؤلف الأدبي وتمكنه من أدوات اللغة. من أبرز هذه المحسنات الاقتباس، حيث استند في كثير من المواضع إلى آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وأشعار قديمة، يوظفها في خدمة المعنى وتقوية الحجة، مما يضيف على النص روحا دينية ويمنحه طابعا مؤثرا. كما يبدي الطباق بوضوح في عباراته، إذ يقرن بين الألفاظ المتضادة. أما السجع، فقد استعمل بأسلوب معتدل، يمنح الكلام إيقاعا موسيقيا دون تكلف، مما يساهم في تحسين وقع النص على السمع ويزيد من تأثيره. ويبرز كذلك التشبيه، حيث يقارن بين شيئين لإيضاح المعنى وتقريبه إلى الذهن، كما في تشبيه الجهل بالظلام أو العالم بالمصباح، مما يثري التصوير ويقوي الرسالة. وأخيرا، تأتي الاستعارة لتضفي على الأسلوب بعدا بيانيا راقيا، إذ يستخدمها المؤلف في تجسيد المعاني المجردة والتعبير عن الأفكار برموز بلاغية عميقة، فتتحول المعارف العلمية إلى صور حية تلامس القارئ وتثير خيالاته وأفكاره.

الفصل الأول

الاقتباس

الاقتباس أحد فنون البديع الذي عرفته البلاغة العربية منذ عهد مبكر، وكان يعرف بالذوق، ويتأتى بالسليقة، بعيدا عن التكلّف والصنعة، شأنه شأن المحسنات البديعية اللفظية: كالجناس، والتورية، والطباق، وهو أكثر فنون البديع أثرا وجذبا وتأثيرا.

تعريف الاقتباس

الاقتباس لغة: القَبَسُ معناه: "أخذ القَبَس - بفتحيتين - وهو الجذوة من الجمر، يقال: قَبَسَ واقتبس ومجىء (فعلتُ) و (افتعلت) بمعنى واحد معروف في اللغة، ومنه قولهم: بنيت وابتنيت وحقرتُ واحتقرتُ." ^١ الاقتباس مأخوذ من الفعل 'اقتبس' ويقال: اقتبس النار، أخذ منها شعلة، أي أخذ منه جزءا ليستنير به، كما في قوله تعالى: "إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى." ^٢

الاقتباس اصطلاحاً: هو نقل نصوص مأخوذة من أعمال المؤلفين أو الباحثين الآخرين إلى نصوص أخرى، بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، أو جزئية، أو بإعادة الصياغة؛ لأهداف متنوعة، مثل: تأكيد فكرة مُعَيَّنة، أو توجيه نقد، أو إجراء مقارنة، وهذا هو المقصود بالاقتباس بمعناه العام. وعرفه أيضاً: تضمين الكلام نثراً أو نظماً شيئاً من القرآن والحديث النبوي الشريف.

١ عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الاقتباس أنواعه وأحكامه مكتبة دار المنهاج - الرياض، ١٤٢٥ هـ، ص ١٣.

٢ سورة طه: ١٠.

بعض الباحثين جعل الاقتباس هو ذكر المقتبس والتنبيه عليه، والتضمين عدم التنبيه عليه، وهذا بعد الأقوال، وبعض الباحثين جعل الاقتباس والتضمين بمعنى واحد وبعضهم جعل الاقتباس أعم من التضمين حيث جعل الاقتباس تضمين القرآن والحديث والشعر، والتضمين خاص بالشعر، والراجح أن الاقتباس خاص بالقرآن والحديث والتضمين خاص بالشعر.

"يقول القزويني: الاقتباس أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه، والتضمين أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه، إن لم مشهوراً عند العلماء." ^١ ذهب إليه أكثر العلماء والمؤلفين في مصطلحات العلوم.

الفرق بين الاقتباس والاستدلال والاستشهاد

هناك فرق واضح بين الاقتباس والاستدلال والاستشهاد وهي كمايلي: "وبذلك يظهر الفرق بين الاقتباس وبين الاستشهاد والاستدلال بالقرآن والحديث، فالمستشهد والمستدل يقول: قال الله تعالى، وقال رسول الله، ونحو ذلك، بل لو لم يأت بهاتين العبارتين وأمثالهما فإن السياق دال على أن ثمة استشهاداً واستدلالاً." ^٢

موسوعة أبجد العلوم لصديق حسن خان القنوجي، رائعة وخلاصة بالاقتباسات البلاغية عديدة وافرة، وهي تظهر عن حس أدبي وبلاغي رفيع، وتدل على إلمام المؤلف بعلوم البلاغة والنقد والأسلوب، تناوب في تأليفاته المحسنات البديعية كثيرة، كالسجع والاقتباس والجناس والطباق والتشبيه. لأن ثقافة النواب نابعة من الثقافة الإسلامية، ولهذا يزود من الآيات القرآنية

^١ التلخيص (٣٨١) الإيضاح ٤/ ٥١٤ نقلاً عن الاقتباس أنواعه وأحكامه لعبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج - الرياض ١٤٢٥ هـ

^٢ عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الاقتباس أنواعه وأحكامه مكتبة دار المنهاج - الرياض، ١٤٢٥ هـ، ص ٣١.

والأحاديث النبوية والآثار والأشعار، وخاصة في مقدمة أبجد العلوم، الاقتباسات منتشرة و مبذرة فيها، من القرآن الكريم والحديث الشريف، إنه سَمَى 'السحاب المركوم' لقسم الثاني لأبجد العلوم وهو مقتبس من الآية القرآن الكريم. "وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ".^١ سَمَى القسم الثالث 'الرحيق المختوم' هذه كلمة من الآية القرآن الكريم "يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ".^٢

الاقتباس من القرآن الكريم

تتضمن عدّة اقتباسات في كل أجزاء الأبجد العلوم، وهي تتميز بالاقتباسات البلاغية بديعة، مثلاً: في مقدمة وشي المرقوم، يقول المؤلف عن فضل العلم وأحواله ومراتبه "فإنه قد يرفع الرأس إلى معرفة العلم بدءاً وغاية، وينحو إلى استعلام أمر الأوّل والنهاية. وكل الخلق وجلّهم مغمورون في اللذات العاجلة الخاطئة الكاذبة الفانية، ويؤثرونها ولو كان خصاصة على النعم الآجلة الدائمة الباقية إلا من عصمه الله تعالى".^٣ هذه من الآية: "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ".^٤ اقتبس المؤلف هذه الكلمة من هذه الآية الكريمة.

ونجد فيها أيضاً الاقتباسات من القرآن الكريم بعبارة بديعة حين يوصف الجنة ونعيمها. "شامة في وجنات النكات، تميمة في أجياد الفحول الأثبات، جنة أشجارها مورقة، حديقة أزهارها

^١ سورة الطور: ٤٤.

^٢ سورة المطففين: ٢٥.

^٣ القنوجي، النواب صديق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم ج ١ ص ٧.

^٤ سورة الحشر: ٩.

مونقة، أكلها دائم وظلها قائم. نعيمها مقيم ومزاجها من تسنيم.^١ هذه الجملة مأخوذة من الآية الكريمة "وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ".^٢

وأيضاً يوجد الاقتباس خلال وصفه ابنين السعيدين قوله: "جمعتهم لتفنن خواطر الولدين الكريمين السعيدين، وتمرن ضمائر الابنين الشريفين الحميدين: السيد نور الحسن، الطيب والسيد علي حسن الطاهر، بارك الله لهم وفيهم وعليهم في الدنيا والدين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، وسلك مسلك السلف الصالحين خصوصاً، ولمن عداهم من أهل العلم والفضل عموماً."^٣

هذه العبارة مأخوذة من الآية الكريمة: "وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ".^٤

ويوضح في الإعلام الثامن تحت عنوان 'في آداب المتعلم والمعلم' إلى قوله: "أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن، فإن العلائق شاغلة وصارفة، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق."^٥ الجملة المكبرة مأخوذة من الآية التالية: "مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ".^٦

^٢ القنوجي، النواب صديق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم ج ١، ص ٨

^٣ سورة المطففين: ٢٧.

^٤ القنوجي، النواب صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ٨.

^٥ سورة الشعراء: ٨٤.

^٦ القنوجي، النواب صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ١٢٤.

^٧ سورة الأحزاب: ٤.

"وإن اختلج في صدرك أن الأغراض مختلفة في أمر العلوم وتتفاوت في الميل إليها الطباع والفهوم، وتباين في استحسانها العادات والرسوم، حتى يعد طائفة، من قبل الجنون، تحصيل ما عند الآخرين من الفنون، إذ كل حزب بما لديهم فرحون."^١ في هذه جملة اقتباس من الآية: "فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ."^٢

الاقتباس في السحاب المركوم

اقتباسه صدر من الفقرة في السحاب المركوم حين يبين في باب الألف علم الأبعاد والأجرام. "واعلم أن مباحث هذا الفن في غاية البعد عن القبول ولذلك ترى أكثر الناس إذا سمعوا لَوْوَا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وقالوا إن هذا إلا كذب مفترى وذلك لعدم اطلاعهم على أحكام الهندسة والمناظر."^٣ في هذه جملة اقتباس من الآية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾^٤ استخدم الكاتب الاقتباس لدعم الفكرة الأخلاقية.

نجد أيضا في علم أصول الفقه "وكم من رأي في الدين للشريعة محرف ولهم عن جماعة السنة المطهرة محرف فاعبد ربك حتى يأتيك اليقين."^٥ هذه من الآية الكريمة. ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^٦ هذا اقتباس رائع من القرآن الكريم.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢ ص ٨.

^٢ سورة المؤمنون: الآية: ٥٣.

^٣ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٢٣

^٤ سورة المنافقون، الآية: ٥

^٥ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٧٣

^٦ سورة الحجر: ٩٩

وفي باب العين أيضا يعرف عن علم الحديث الشريف "قال أبو الخير اعلم أن قصارى نظر أبناء هذا الزمان في علم الحديث النظر في مشارق الأنوار، فإن ترفعت إلى مصابيح البغوي ظننت أنها تصل إلى درجة المحدثين و ما ذلك إلا لجهلهم بالحديث بل لوحفظهما عن ظهر قلب وضم إليهما من المتون مثليهما لم يكن محدثا حتى يلج الجمل في سم الخياط."^١ آخر هذه الفقرة من الآية:

"إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ."^٢ أخذ المؤلف من وسط هذه الآية.

وحين يبين عن طب النبي صلعم في باب الطاء يضمّن المؤلف بعض من الآية: "ولجلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة أوله الحمد لله الذي أعطى كل نفس خلقها وهو مرتب على ثلاثة فنون."^٣ الجملة 'الذي أعطى كل نفس خلقها' مأخوذة من الآية الكريمة التالية: "قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى."^٤ وفي الآية غير المؤلف قليلا، لأنه لا بأس بالتغيير اليسير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من الناحية الفنية.

وفي باب الميم يصف عن علم الموسيقى "ارجعي أيتها النفس العريقة، في الأجسام المدلهمة، في فجور الطبع إلى العقول الروحانية والدخائر النورانية والأماكن القدسية في مقعد صدق عند مليك مقتدر."^٥ تنتهي هذه الفقرة مقتبسة من الآية العظيمة من سورة القمر: "فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ."^٦

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٢٢٧

^٢ سورة الأعراف: ٤٠

^٣ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٣٦١

^٤ سورة طه: ٥٠

^٥ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٥٣٥

^٦ سورة القمر: ٥٥

وفي باب الطاء أيضا في علم الطبيعي. "وبحث مع الإمام في كثير من مسائله فأوفي على أنظاره وبحوثه وفوق كل ذي علم عليم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم".^١ في هذه الفقرة 'وفوق كل ذي علم عليم' اقتبس الكاتب من نهاية آية التالية من سورة يوسف. "فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ"^٢ وفي باب الألف في علم الإلهي ذكر أيضا: "وقد علم موضوع هذا الفن ومطالبه فلا تغفل فإن هذا التنبيه والتعليم مما فات عن أصحاب الموضوعات وفوق كل ذي علم عليم"^٣.

تنتهي الفقرة في باب الطاء في علم الطيرة باقتباس من الآية. "في هذه الليلة فنظر فقال كأنك واردت أن تخبرني أن القمر في الدبران أنا لا نخرج بشمس ولا بقمر ولكننا نخرج بالله الواحد القهار." نهاية هذه الفقرة مأخوذة من الآية المقدسة المقبلة. "يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ".^٤

وفي باب الفاء في علم الفتاوى "ترك النظر في أمثال هذه الخرافات والأباطيل وعدم تضييع الأوقات في الاشتغال بها لعدم ابتناءها على الدليل والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل".^٥ يختتم صديق حسن خان القنوجي هذه الفقرة العظيمة من الآية. "لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ".^٦

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٣٦٧

^٢ يوسف: ٧٦

^٣ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ١١٠

^٤ المصدر نفسه، ص ٣٦٨

^٥ سورة إبراهيم: ٤٨

^٦ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٣٩٦

^٧ سورة النور: ٤٦

هذه الفقرة التالية من باب الفاء في علم الفلسفيات "ومن لنا بعد ذلك بإدراك جميع الموجودات أو بحصول السعادة التي وعدنا بها الشارع إن لم نعمل لها هيئات هيئات لما توعدون." ^١ هذه الفقرة مختومة من آية مأخوذة من سورة المؤمنون. "هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ" ^٢ هذه الآية موقف الكافرين لدعوة الأنبياء والمرسلين.

وبعض الأحيان يختم القنوجي الفقرة بدعاء سرد من الآيات القرآنية، على سبيل المثال في باب الكاف يوضح عن علم الكلام "وأين هذا من صلوة الناس ومن لهم بها (فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون) اللهم وفقنا واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" ^٣ هذا الدعاء من سورة الفاتحة. "آهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" ^٤

وفي باب الكاف أيضا حين يعرف عن علم الكيمياء "وأمر خرق العادة غير منحصرة ولا يقصد أحد إلى تحصيلها والله بما يعملون محيط." ^٥ آخر فقرة من نهاية الآية الكريمة: "إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ" ^٦ وفي هذا الاقتباس غير المؤلف قليلا.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٤٢٢

^٢ سورة المؤمنون: ٣٦

^٣ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٤٤٥

^٤ سورة الفاتحة: ٦، ٧

^٥ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٤٦٦

^٦ سورة آل عمران: ١٢٠

وفي هذا الباب أيضا يقول عن علم الكيمياء نقلا عن كتاب مدينة العلوم "ثم ظهر في جبابرة قوم هود وتعاطوا ذلك وبنوا مدينة من ذهب وفضة لم يخلق مثلها في البلاد"^١ هذه الآية مقتبسة من سورة الفجر: "الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ"^٢ في هذه الفقرة نقل كما في الآية.

يناقش المؤلف في باب الميم في علم مبادئ الإنشاء وأدواته عن هذا العلم، أدرج صاحب أبجد العلوم بعضا من الآية، هذه مأخوذة من وسطها. "وموضوعه وغايته وغرضه ظاهرة للمتدبر، ومن المصنفات في هذا العلم بحيث لا يغادر قليلا ولا كثيرا إلا أحصاه."^٣ وفي هذه الآية يقول الله سبحانه وتعالى عن أحزان المجرمين في يوم القيامة حين يظهر أعمالهم السيئة. "وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا."^٤

تناول صديق حسن خان القنوجي في موسوعته أبجد العلوم العلوم الشرعية والفقهية والأخلاقية ومنها 'علم آفات الغرور' في باب الألف. يشير في هذا الباب عن أشياء تزكية النفوس وتربيتها وتنقيتها إلى قوله "ولا يبقى للشيطان عليه من سلطان فاح ينسد في قلبه مداخل الغرور، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور."^٥ شبه الله في هذه الآية العظيمة عن قلوب الكافرين والجاهلين والمقلدين كمن يجري في شدة الظلام. "أَوْ كَظُلُمْتِ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَهَا وَمَنْ لَمْ يُجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ"^٦. الاقتباس مأخوذ من آخر هذه الآية.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٤٦٧

^٢ سورة الفجر: ٨

^٣ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٤٧٧

^٤ سورة الكهف: ٤٩

^٥ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٨٧

^٦ سورة النور: ٤٠

وفي هذا الباب أيضا يقول عن تصفية القلوب "ومنهم الذين أحكموا العلم والعمل وأهملوا تزكية نفوسهم عن الأخلاق الذميمة وهم مغرورون أيضا إذ لا ينجو في الآخرة إلا من أتى الله بقلب سليم." ^١ هذه مقتبسة من الآيات الكريمة الآتية. وهي الأدعية الواردة لخليل الله إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء. "إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" ^٢ في هذه الفقرة ضمّن المؤلف الآية القرآنية.

في أبجد العلوم أيضا نجد اقتباسات عديدة في فقرة واحدة مثلا: "وقال أبو الخير وهذا العلم و المقصد الأقصى والمطلب الأعلى لكن لمن وقف على حقائقه واستقام في الاطلاع على دقائقه لأن حظي به فقد فاز فوزا عظيما، ومن زلت فيه قدمه أو طغى به قلمه فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرا مبينا" ^٣ في هذه الفقرة تحتوي ثلاثة اقتباسات، وهي مأخوذة من الآيات التالية. "يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا." ^٤ وقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ - وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا" ^٥ الآية: "وَالْأَضْلَهُمْ وَلَأْمَنِيَّهِمْ وَلَأْمُرَّتْهُمْ فَلْيَبْتَكَنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَمِ وَلَأْمُرَّتْهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا." ^٦

إذا حللنا كتاب أبجد العلوم نستوعب أن الآية الواحدة متناوبة في علوم متنوعة. "والفخر الرازي أكثر كلاما من هؤلاء في علوم التفسير ولكن قال أهل التحقيق في حق كتابه (مفاتيح

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٨٦

^٢ سورة الشعراء: ٨٧-٨٩

^٣ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ١٠٢، ١٠١

^٤ سورة الأحزاب: ٧٠

^٥ سورة النساء: ١١٦

^٦ سورة النساء: ١١٩

الغيب) فيه كل شيء إلا التفسير وقد بحث في تفسيره هذا عن كل شيء لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.^١ في هذه الفقرة عبارة من الآية وهي: 'لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها' جزء من الآية نقل المؤلف في باب الميم في علم مبادئ الإنشاء وأدواته أيضاً، مع أنه نقل في هذه الفقرة. الآية: "وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَلِّتُنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا."^٢

الفقرة التالية في باب الألف عَنون المصنّف علم الأنساب "وهو علم عظيم النفع جليل القدر أشار الكتاب العظيم في وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إلى تفهمه."^٣ الجملة الأخيرة من قول الله عز وجل من الآية: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"^٤ هذه مقتبسة من وسط الآية.

الفقرة التالية في باب التاء في علم تبين المصالح المرعية في كل باب من الأبواب الشرعية. "وقل من صنف فيه أو خاض في تأسيس مبانيه، أو رتب منها الأصول والفروع، أو أتى بما يسمن أو يغني من جوع."^٥ الجملة الأخيرة من الآية العظيمة: "لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ"^٦

الفقرة التالية في باب الجيم في 'علم الجبر والمقابلة' "ومن أحسن شروحه كتاب القرشي وقد بلغنا أن بعض أئمة التعاليم من أهل المشرق أنهى المعادلات إلى أكثر من هذه الستة الأجناس وبلغها إلى فوق العشرين واستخرج لها كلها أعمالاً وأتبعه ببراہین هندسية والله يزيد في الخلق

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ١٠٩

^٢ سورة الكهف: ٤٩

^٣ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ١١٤

^٤ سورة الحجرات: ١٣

^٥ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ١٤٣

^٦ سورة الغاشية: ٧

ما يشاء سبحانه وتعالى انتهى.^١ الجملة الأخيرة من قول الله تعالى: **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتُلُتْ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ أَلَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**^٢ الاقتباس من آخر آية.

"وقد عرفت أن علم أحكام النجوم من أضعف العلوم دلالة، فلا تعويل عليه أصلاً وإن أردت الوقوف على معرفة الملاحم فعليك بالأحاديث الواردة فيها ولا ينبئك مثل خبير هذه عبارة من مدينة العلوم.^٣ صرح المؤلف بكلمته. وفي هذه الفقرة الاقتباس أيضاً: **إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**." ^٤ الجملة الأخيرة من الجزء الأخير من الآية السابقة.

وفي بعض الأحيان يجيء المؤلف بالاقتباس دعاءً. نلاحظ في باب الفاء في علم فصل في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها إلى قوله: "فليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه، ولا يكبن أحد عليها وهو خلو عن علوم الملة فقل أن يسلم لذلك من معاطيها والله الموفق للصواب وللحق والهادي إليه وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله." ^٥ هذا الدعاء الوارد في نهاية هذه الفقرة مأخوذة من قول الله تعالى: **"وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**." ^٦ ولم يغير المؤلف من ألفاظ القرآن الكريم.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٢٠٧

^٢ سورة الفاطر ١

^٣ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٥١٨

^٤ سورة الفاطر ١٤

^٥ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٤٢٣، ٤٢٤

^٦ سورة الأعراف: ٤٣

الاقتباس في الرحيق المختوم

الرحيق المختوم القسم الثالث لموسوعة أبجد العلوم، لصديق حسن خان القنوجي متضمنة من تراجم أئمة العلوم، وفي مقدمتها نجد الاقتباس. إلى قوله "وفي كتاب تحقيق الصفا لمحِب الدين الطبري أنّ من ورَّخ مؤمنا فضلا عن عالم عامل فكأنما أحياه، ومن أحيى مؤمنا فكأنما أحيى الناس جميعا انتهى".^١ الجزء الأخير مقتبس من قول الله عز وجل الآية: مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ^٢ اقتبس الكاتب من وسط الآية.

نجد في عنوان علماء المحاضرة اقتباس رائع في الفقرة التالية. "مفضل بن محمد الإصفهاني أبو القاسم الراغب كان في أوائل المائة الخامسة له المحاضرات وأفانين البلاغة وغير ذلك، والناس يظنون إنه معتزلي لكن نقل السيوطي عن الفخر الرازي إنه من أئمة السنة وقرنه بالغزالي وهذه فائدة حسنة فلا عبرة بظنون الناس وإن بعض الظن إثم."^٣ هذا اقتباس مباشر من الآية التالية. يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ^٤

وفي عنوان 'علماء الهند' يصف عن الشيخ عبد الله بن إله داد العثماني التلني، وفي هذه الفقرة ضم المؤلف اقتباسين من الآيتين. "ونفع الله به أهل الزمان إلى أن توجه في سنة ٩٢٢ إلى جنة

^١ النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ٣ ص ٤

^٢ سورة المائدة: ٣٢

^٣ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ٣ ص ٦٨

^٤ سورة الحجرات: ١٢

المأوى، وكان تاريخه أولئك لهم الدرجات العلى وقبره بدهلي ومن مؤلفاته شرح ميزان المنطق.^١ إلى جنات المأوى' وأولئك لهم الدرجات العلى' هما مأخوذتان من الآيتين: الآية الأولى: "أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"^٢. الآية الثانية: "وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى".^٣

وفي 'علماء الهند' أيضا: "وتناولوا من غوامض العلوم ما كان بالثريا، ولكن الله تعالى بعث في الأميين رسولا عربيا نسخ جميع الكتب والأديان."^٤ هذه من الآية: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"^٥ الجملة 'بعث في الأميين رسولا' مقتبسة من الآية السابقة.

"ولما انتشر الإسلام في هذه البلاد وطلعت شموسه البازغة على الأغوار والأنجاد، وعلت الكلمة الطيبة في هذه الغبراء، واجتمعت بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء"^٦ هذه من الآية "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ."^٧ وفي هذا الاقتباس غير المؤلف نصوص القرآن قليلا.

يصف المؤلف عن الشاعر أحمد التانيسري وفتح تيمور الهند ٨٠١ وفتح الروم ٨٠٥ "وللثاني غلبت الروم في أدنى الأرض، ثم هاجر الشيخ من دهلي إلى كالي واستوطنها واشتغل بالدرس

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج٣، ص ٢٢٠، ٢٢١

^٢ سورة السجدة: ١٩

^٣ سورة طه: ٧٥

^٤ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج٣، ص ٢١٣، ٢١٤

^٥ سورة الجمعة: ٢

^٦ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج٣، ص ٢١٤

^٧ سورة ابراهيم: ٢٤

والتعليم إلى أن توفي في داخل قلعتها.^١ وفي هذه الفقرة الاقتباس أيضا: "لَمْ غُلِبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّغْلِبُونَ."^٢

يقول عن الشيخ وجيه الدين العلوي الغوجارتي ومناقبه ووفاته، وفي هذه الحالة يجيء بكلمات القرآن. "وتاريخ وفاته لهم جنات الفردوس نزلا."^٣ هذه من الآية: إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا.^٤ اقتبس آية القرآن دعاء له. يصور المؤلف الهند ويقرر إسهامات علماء الهند للعلوم والفنون، إلى قوله: "وأين الثرى من الثريا، والنبذ من الحميا، والله يختص برحمته من يشاء."^٥ الكلمات الأخيرة في هذه الفقرة اقتباس من آية القرآن، وهي كمايلي: "مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"^٦ أخيرا يعبر المؤلف الشكر والامتنان لله سبحانه وتعالى، ويذكر رحمة الله الواسعة عليه، ويشير إلى تأليفاته المشهورة القيمة، ويرغب في مطالعتها واستفادتها. "وهذا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى خاص به في هذا العهد الأخير والله يختص برحمته من يشاء."^٧

عندما يقول النواب عن المولوي الشيخ عبد الحق بن فضل الحق وعلمه "وهي دالة على سعة علمه في هذا الفن حياه الله وبياه، والذي لا يرتضيه منه أهل العلم بالكتاب والسنة مشيه على طريقة أسلافه من الانهماك في الفلسفة، وما يليها وعدم المبالاة بالعلوم الإسلامية وما يضاهيها،

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ٣، ص ٢١٨

^٢ سورة الروم: ١-٣

^٣ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم ج ٣، ص ٢٢٤

^٤ سورة الكهف: ١٠٧

^٥ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ٣، ص ٢٤٤

^٦ سورة البقرة: ١٠٥

^٧ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ٣، ص ٢٧٣

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.^١ في هذه الفقرة السابقة تحتوي الاقتباس في الجملة الأخيرة، هذه الآية مأخوذة من سورة البقرة. الآية: "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ."^٢

يختم صديق حسن خان القنوجي تأليف تراجم الأعلام بعنوان 'علماء قنوج' أخيراً أضاف سيرته الذاتية بعنوان 'العبد الفقير لما أنزل إليه من خير الباري'. عرّف اسمه ومولده ونسبه والشيوخ و أسماء الكتب التي طالع عليها و رحلاته العلمية ورحلاته إلى بهوبال. لما يصف بهوبال ورغد عيشها يطر من قلبه اقتباسات غزيرة وهي كما يلي: "ثم ألقى عصا التسيار والترحال بمحروسة بهوبال من بلاد مالوة الدكن، فنزل بها نزول المطر على الدمن وأقام بها وتوطن وأخذ الدار والسكن. وتمول وتولد واستوزر وناب وألف وصنف وعاد إلى العمران من بعد خراب وكان فضل الله عليه عظيماً جزيلاً."^٣ الجملة الأخيرة مقتبسة من الآية التالية، "وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا."^٤

وقوله: "والحمد لله الذي فضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً."^٥ هذه الجملة تتضمن الاقتباس أيضاً: هذه العبارة مأخوذة من الآية العظيمة: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"^٦

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ٣، ص ٢٥٥

^٢ سورة البقرة: ٢١٣

^٣ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ٣، ص ٢٧٣

^٤ سورة النساء: ٢١٣

^٥ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ٣، ص ٢٧٣

^٦ سورة الإسراء: ٧٠

الاقتباس من الأحاديث النبوية

الأمير صديق حسن خان القنوجي محدث مشهور في الهند، وأحد طليعة المؤلفين في الحديث، له دور هام في ترويج الأحاديث النبوية في أنحاء الهند المختلفة، حيث صارت الهند مركز الحديث وعلمه، ولعل هذا السبب انتقل بعض المحدثين المشهورين من اليمن إلى الهند. مثل الشيخ المحدث حسين بن محسن الأنصاري اليماني، وسكن في إمارة بهوبال^١. ونشطت حركة التأليف في طول الهند وعرضها. ثم جاء إليها المحدث صديق حسن خان القنوجي، وملك زمام الإمارة فيها. وانتشرت علوم الحديث في ربوع الهند.

كان لقنوجي علم عميق في الحديث النبوي. وله مؤلفات عديدة في هذا المجال. تعكس مؤلفاته بالاقتباسات الوافرة، خصوصاً موسوعته أبجد العلوم، عندما يصف عن نعيم أهل الجنة نلاحظ الاقتباس في مقدمة 'الوشي المرقوم' "والحاصل أن الطوائف الإسلامية على اختلاف مذاهبهم وتباين طرقهم متفقون على أن عقول أهل الجنة تزداد صفاء وإدراكاً لذهاب ما كان يعترهم من الكدورات الدنيوية. وكيف يسلبون ما هو عندهم من أوفر النعم وأوفر القسم، وهم في دار فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر."^٢ هذه العبارة الأخيرة مقتبسة من الحديث الشريف. "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»."^٣

^١ سيد عبد الماجد الغوري، الأمير صديق حسن خان البخاري القنوجي وإسهامه في الحديث النبوي، الحديث مجلة علمية محكمة نصف سنوية، اطلع عليها بالتاريخ ٢٠/٤/٢٠٢٥ م

^٢ القنوجي، النواب صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ١٦:

^٣ رواه البخاري: ٣٢٤٤ نقلاً عن شرح رياض الصالحين، للإمام النووي، شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ج ٤، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت-لبنان، ٢٠١١م، ص ٤٤٢

ويصف أيضا عن نعيم الجنة في قوله: "فأين هذا القادح الفادح من نعيم دار يعدل موضع سوط أحدهم فيها الدنيا بأسرها وجميع ما فيها." ^١ الجملة الأخيرة تتضمن في هذه الفقرة اقتباس من حديث روى سهل بن سعد الساعدي عن رسول الله صلعم. "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرْوَحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا." ^٢ اقتبس القنوجي من هذا الحديث.

نجد الاقتباس من الحديث الشريف في آخر 'الوشي المرقوم' "ويؤثر الحق على الخلق ولا يتوقف، ولا يخاف في الله لومة لائم." ^٣ في هذه الفقرة اقتباس من الحديث الشريف الآتي: "عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً." ^٤ الجملة 'ولا يخاف في الله لومة لائم' مأخوذة من حديث النبي صلعم.

الاقتباس موجود أيضا في 'السحاب المركوم' لقسم الثالث لأبجد العلوم في 'فصل في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها' في الفقرة التالية: "إلا أنه ينبغي لنا الأعراض عن النظر فيها إذ هو من ترك المسلم لما لا يعنيه، فإن مسائل الطبيعيات لا تهمنا في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها." ^٥ الجملة 'ترك المسلم لما لا يعنيه' مقتبسة من حديث النبي صلعم الآتي: "مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ

^١ القنوجي، النواب صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص: ١٨

^٢ رواه البخاري، الرقم: ٢٨٩٢

^٣ القنوجي، النواب صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص: ٤٥٠

^٤ صحيح البخاري (٧١٩٩) أخرجه مسلم (١٧٠٩)

^٥ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص: ٤٢٠

تركه ما لا يعنيه"^١ وخلاصة القول نجد الإقتباسات متعددة من القرآن الكريم والسنة المطهرة في أبجد العلوم لصديق حسن خان القنوجي.

الاقتباس من الأشعار العربية

النواب صديق حسن خان القنوجي أحد رواد الأدبية في الهند. غنت المكتبات بروائع مؤلفاته الأدبية، كان شاعرا مطبوعا ونابغا في الشاعرية، تناول النواب في شعره الأغراض الشعرية الجاهلية التقليدية، من الوصف والمدح والغزل وغيرها. يتبع فيه أسلوب شعراء الجاهلين، وضمّن أشعارهم في أشعاره. يدرك الناظر في أشعار الأمير التضمين والاقتباس مستفيضة، مثالا: في مقدمة الوشي المرقوم منظومته رائعة. إنه ضمّن عجز امرئ القيس في شعره حين يصف عن مدينة بهوبال.

وصلت حمى بهوبال يانفسُ فانزلي فقد نلتِ مأمول الفؤاد المعول

ويا حبذا ساحاتها لك إنها نسيم الصبا جاءت بربا القرنفل

تذكرتُ عهدا بالحى وبمن به قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل^٢

الآبيات السابقة تشتمل التضمين. 'نسيم الصبا جاءت بربا القرنفل' ضمّن الأمير عجز امرئ القيس في بيته. وأيضا جعل صدر امرئ القيس 'قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل' عجزا. هذين البيتين مقتسبة من بداية معلّقة امرئ القيس من البيت الآتي ومطلعها:

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وَخَوْمَلِ^٣

^١ سنن الترمذي: ٢٣١٧

^٢ القنوجي، النواب صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص: ٩٠

^٣ معلّقة امرئ القيس نقلًا عن تاريخ الأدب العربي، لأحمد حسن زيات، ط ١ دار الغد الجديد، ٢٠١٩ م

الفصل الثاني

الطباق

علم البلاغة ينقسم إلى علم البيان و علم المعاني و علم البديع، كلمة البديع مشتق من الفعل 'بدع'، أما علم البديع فهو العلم الذي يدور حول محاسن الكلام ومزايده، وتنقسم المحسنات التي تزين الكلام وتحسنه إلى نوعين محسنات لفظية، ومحسنات معنوية، والطباق فرع من المحسنات المعنوية، وتتضمن أيضا المقابلة والتورية وحسن التعليل أيضا في هذا النوع.

الطباق في اللغة والاصطلاح

الطباق مصدرٌ في الأصل، معناه المطابقة والتكافؤ والتضاد. ويقال: وضع طبق على طبق، أي طابق الشيء على الشيء مطابقة طباقا، أو طابقت بين الشيئين طباقا. ولهذا تقول: وضعت غطاء القدر منكفئا على فم القدر.

الطباق الاصطلاحي هو الجمع بين المتقابلين أو الشيء وضده سواء كان اسمين أو فعلين أو حرفين. فمثاله في الاسمين كقوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ} (الحديد: ٣) في هذه الآية طباقان بين الاسمين. الطباق بين (الأول، الآخر) الطباق بين (الظاهر، الباطن). ومثاله في الفعلين كقوله تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَابْكِي، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا) (النجم: ٤٣، ٤٤) ففي هذه الآية الكريمة طباقان أيضا، فالطباق حصل في (أضحك، ابكي)، (أمات، أحيأ).

ومثاله في الحرفين نحو قوله تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ} (البقرة: ٢٢٨) الطباق بين الحرفين (لهن، عليهن). وقد يكون الطباق بين اسم وفعل، نحو قوله تعالى، {وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (الرعد: ٣٣) الطباق بين الفعل والاسم معا. الفعل: (يضلل) والاسم (هاد) فالضلال عكس الهداية. وبالجمله يكون الطباق في الاسم والفعل والحرف.

أقسام الطباق

الطباق ينقسم إلى قسمين: "الطباق قد يكون طباق إيجاب لا نفي فيه، وقد يكون طباق سلب، فطباق الإيجاب ما تقدم، ومثال طباق السلب قوله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٦-٧]، وقوله: ﴿أَفَمَنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم: ٥٩-٦٠]، وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوْا﴾ [المائدة: ٤٤]" الطباق بين (يعلمون)، (لا يعلمون) كلمة ونفيها، الطباق بين (تضحكون)، (لا تبكون) الطباق بين (واخشون)، (فلا تخشوا) أمر ونهي.

الطباق في أبجد العلوم

الطباق وأنواعه كثيرة في أبجد العلوم، خصوصا في مقدمة 'الوشي المرقوم' القسم الأول لأبجد العلوم، على سبيل المثال: "والصلاة والسلام على سيد العلماء سند الفضلاء تاج الكملاء محمد المصطفى أحمد الأمي المجتبي، المؤيد من السماء، الموحى إليه بالقرآن الذي فيه هدى وشفاء الذي أكمل الله تعالى به علوم الأوائل والأواخر، وخصه من بين خلقه بمزايا المعارف وخبايا المفاخر فياله من نبي رفيع القدر ماترقى رقيّه الأنبياء، ورفيع كريم الذكر ماطاولته السماء."^٢

^١ البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عباس، دار النفائس، الطبعة الثانية عشر، ٢٠٠٩ م ص ٢٢٣

^٢ القنوجي، النواب صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ٣

الفقرة السابقة تتضمن الطباق، الطباق بين (الأوائل)، (الأواخر) هذا طباق إيجاب، نجد أيضا الطباق في الفقرة التالية: "فهذا بث لما وقر في صدري من أحوال العلوم العالية، وتراجم الفنون الفاخرة، وأثر بعد عين في تحصيل ما نيطت به سعادة الدنيا والآخرة." ^١ الطباق بين (الدنيا)، (الآخرة) كلاهما اسمان، وهذا أيضا طباق إيجاب. نجد أيضا الطباق بين الفعلين في العبارة الآتية. "والحق أنّ علمه سابق محيط بالأشياء على ما هي عليه، ولا محو فيه ولا تغير ولا زيادة ولا نقصان. وهو سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون وما لو كان كيف كان. وأما ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ فهل يكون فيه محو وإثبات؟" ^٢ طباق بين الفعلين هما (يكون) (لا يكون) هذا طباق سلب. طباق بين الاسمين هما (زيادة-نقصان) وهذا أيضا طباق إيجاب.

السحاب المركوم القسم الثاني لأبجد العلوم يتضمن الطباق وأنواعه، نجد في باب التاء في تعريف علم ترتيب حروف التهجي ضمن المؤلف الطباق. "هو علم يبحث فيه عن كيفية ترتيب حروف التهجي في الكتابة، هذا الترتيب المعهود فيما بيننا واشتراك بعضها ببعض في صورة الخط وإزالة التباسها بالنقط واختلاف تلك النقط بكونها تحتانية في البعض وفوقانية في الآخر." ^٣ الطباق بين الاسمين، هما (تحتانية) (فوقانية) الطباق طباق إيجاب.

تشتمل الفقرة التالية طباق إيجاب "ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخير ما بعدكم، وحكم ما بينكم أخرجته الترمذي وغيره. وقال أبو مسعود من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خير الأولين والآخرين." ^٤ الطباق بين (قبلكم) (بعدكم) (الأولين) (الآخرين) كلها أسماء، الطباق طباق إيجاب.

^١ القنوجي، النواب صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ٤

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٥

^٣ المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤٦

^٤ المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٠

ففي باب الجيم في 'علم جر الأثقال' ضمّن المؤلف الطباق "ولكن حدثت في هذا الزمان كتب كثيرة في هذا العلم بلسان الفرنج ولهم يد طولى في ذلك وقد أوجدوا في زماننا هذا أشياء تجر الأثقال والأحمال الكثيرة إلى مسافات شاسعة عسيرة في أزمنة قليلة يسيرة تحار منها الإفهام وتأبى عن ضبطها الأقلام منها العجلة الدخانية تقطع مسيرة شهر في يوم وليلة" ^١ الطباق بين الأسماء (عسيرة) (يسيرة) (يوم) (ليلة) الطباق طباق إيجاب.

أتى المؤلف الطباق بالكثير في تعريف 'علم مسالك البلدان والأمصار' "علم باحث عن أحوال الطرق الواقعة بين البلاد وأنها برّية أو بحريّة عامرة أو غامرة سهلية أو جبلية مستقيمة أو منحرفة والعلامات المنصوبة لتلك الطرق من الجبال والتلال وأمثالهما ومعرفة ما في تلك المسالك من المخاوف الحيوانية أو النباتية وأمثال ذلك" ^٢ هذه الفقرة تحتوي الطباق التالي: (برّية) (بحريّة) (سهلية) (جبلية) (مستقيمة) (منحرفة) (الحيوانية) (النباتية) كلها أسماء وطباق إيجاب.

وفي الرحيق المختوم ازداد الطباق في تبين تراجم الأعلام، مثلاً: في عنوان علماء القنوجي الطباق مستفيض غزير "وبالجملة كان له اليد الطولى في الرد على المقلدة كما يلوح ذلك من كتابه حديث الأذكياء الملقب بالشهاب الثاقب، وغيره وله نظم رائع وشعر فائق بالفارسية والعربية يربو على نظم الأدباء المتقدمين والبلغاء المتأخرين." ^٣ الطباق بين الاسمين، وهما (المتقدمين) (المتأخرين) كلاهما اسمان. الطباق طباق إيجاب.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢ ص ٢١١

^٢ المصدر نفسه، ص ٤٨٤

^٣ المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٧٠

الفصل الثالث

السجع

السجع لون من ألوان البديع، من المحسنات اللفظية، هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، ويغلب في النثر، وقد يجيء في الشعر. يمنح السجع جرسا موسيقيا، يجذب النفوس والأسماع والأبصار. أفضل السجع ما كانت فقراته متساويات.

تعريف السجع

"في اللغة: السجع من الفعل سَجَعَ يسجّع سجعا، ويقال: سجعت الحمامة، هو الكلام المقفي، ويريد به أيضا استوى واستقام وشاب بعضه بعضا، أما في الاصطلاح: هو الكلام المُقْفَى غير الشعر أو هو اتفاق أواخر الجمل في الحرف الأخير؛ ليعطي جرسا متوازنا جميلا، يُسْعِدُ الأُذُنَ".^١ عرّف العلماء السجع في اللغة والاصطلاح.

السجع في أبجد العلوم

ناب صديق حسن خان القنوجي السجع في أبجد العلوم، تزيينا العلوم وتجذيبا القلوب و تخليبا الأذان، بعض من الأمثلة: "الحمد لله الذي جعل العلم مسلما إلى معارج المعلوم. والمعلوم فضلا مسلما عند عصابة المنطوق والمفهوم، وسرح أبصار البصائر في رياض الفنون والمعارف، رياض زهت فيها أزهار المعاني والبيان، فتفتحت بنسائمه أنوار الفضل التالد والطارف. فاجتنت منها أيدي المنى فواكه القلوب وأقوات الأرواح، واقتطفت منها جنى الحقائق والدقائق من بين

^١ أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني، الناشر دارالتوفيقية لتراث - القاهرة، رقم الإيداع: ٩١٩٧/٢٠١١ م،

أقاضي الصباح، فهو قوت الفؤاد ومراح الأشباح جثمان الكمال، وحادي النفوس إلى بلاد الأفراح. به فضل الذوق الروحاني على المذاق الجسماني فضلا لا يعرفه إلا من تضلع منه أذواق، ولا يدرك كنهه إلا من غاص في قعر بحاره وسبح في ثبح أنهاره ثم برع وفاق.^١ في هذه الفقرة العظيمة نجد السجع بتكرار حرف الميم في نهاية الجملة الأخيرة التالية. هكذا: السجع بين 'المعلوم' 'المفهوم'، وبين 'الأرواح' 'الصباح'، نجد السجع بتكرار حرف الحاء في نهاية الجملة، وبين 'ذاق' 'فاق' نجد السجع بتكرار حرف القاء في نهاية الجملة.

نرى أيضا الأسجاع وافرة وافية في مقدمة 'الوشي المرقوم'. "والصلاة والسلام على سيد العلماء سند الفضلاء تاج الكملاء محمد المصطفى أحمد الأمي المجتبى، المؤيد من السماء، الموحى إليه بالقرآن الذي فيه هدى وشفاء. الذي أكمل الله تعالى به علوم الأوائل والأواخر، وخصه من بين خلقه بمزايا المعارف وخبايا المفاخر، فياله من نبى رفيع القدر ماترقى رقيه الأنبياء، ورفيع كريم الذكر ماطاولته السماء. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وحزبه المتأدين بآدابه، الذين تفتحت لهم كمائم المنقول والمعقول، وتحلت بعقود علومهم أجياد الفحول."^٢

نجد السجع بتكرار حرف الهمزة في نهاية الجملة السابقة، هكذا: 'العلماء' 'الفضلاء' 'الكملاء'. نجد السجع بتكرار حرف الألف (في الخط ياء) في نهاية الجملة: 'المصطفى' 'المجتبى'. نجد السجع بتكرار حرف الهمزة أيضا في نهاية الجملة: 'السماء' 'شفاء'. السجع بتكرار حرف الراء 'الأواخر' 'المفاخر'. السجع بتكرار حرف الهاء 'أصحابه' 'آدابه'. السجع بتكرار حرف اللام، هكذا: 'المعقول' 'الفحول'.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ٣:

^٢ المصدر نفسه، ص ٣

وقوله: "مستمدا في ذلك من كتب الأئمة السادة، وصحف الكبراء القادة، بعد أن عرفت مجاريها، وتعلمت الرمي من القوس وقد كنت بارئها." نجد السجع بتكرار حرف الدال في نهاية الجملة السابقة، هكذا: 'السادة' 'القادة'. حرف الهاء 'مجاريها' 'بارئها'.

وأیضا. "فأردت أن أفرد منها أحوال العلوم وتراجم الفنون في تأليف مختصر تقريبا للبعيد وتحصيلا للتجريد، مضيفا إليه ما حصل الوقوف عليه في أثناء ملاحظة الكتب الشاذة وعطفها، واجتناء ثمار القوائد الصحف الفاذة وقطفها. ليكون هذا السفر التام المقصود، وكوكب المراد الطالع من أفق السعود، سهل الحصول لمن رام الوصول إليه، ويسير النتاج لمن أراد الحصول منه والتحويل عليه، لأنه دراسات عديدة في كرايس محدودة، وفراسات سديدة في قراطيس مشهودة." ^٢ نرى أيضا أسجعا عديدة في الفقرة السابقة، نجد السجع بتكرار حرف في نهاية حرف الدال، هكذا: 'بعيد' 'تجريد' حرف الحاء 'إليه' 'عليه' حرف الهاء 'عطفها' 'قطفها' حرف الدال 'المقصود' 'السعود' حرف الهاء 'إليه' 'عليه' حرف التاء 'عديدة' 'محدودة' 'سديدة'. 'مشهودة' ففي الفقرة التالية أيضا "وكل الخلق وجلهم مغمورون في اللذات العاجلة الخاطئة الكاذبة الفانية، ويؤثرونها ولو كان خصاصة على النعم الآجلة الدائمة الباقية." ^٣ نجد بتكرار حرف التاء في آخره. هكذا: 'الذات' 'العاجلة' 'الخاطئة' 'الكاذبة' 'الفانية' 'الآجلة' 'الدائمة' 'الباقية'.

"ومع ذلك قد جاء بحمد الله تعالى في بابه بديع المثال، ومنيع المنال، مبدى العجب العجاب، إذا سئل أعطى وإذا دعي أجاب، كأنه سماء علوم شرفت كواكبها عجائبها، وأرض فنون أمطرت

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص: ٤

^٢ المصدر نفسه، ص: ٦

^٣ المصدر نفسه، ص: ٧

بالغرائب سحائبها.^١ السجع بتكرار حرف اللام: 'المثال' 'المثال' 'حرف الباء' 'العجاب' 'أجاب' 'حرف الهاء' 'عجائبها' 'سحائبها'.

جمالية السجعات في مقدمة أبجد العلوم متناوبة ومتكاثرة، هذا أسلوب فريد خاصة له، يعبر عن وفرة العلوم في كتابه وبسط فنونه. "شامة في وجنات النكات، نميمة في أجياد الفحول الإثبات، جنة أشجارها مورقة، حديقة أزهارها موفقة، أكلها دائم وظلها قائم، نعيمها مقيم، ومزاجها من تسنيم سفينة نجاة يعبر بها الأبرار بحار بعيدة الأغوار."^٢ في هذه العبارة أسجاع بتكرار حروف شتى. حرف التاء 'النكات' 'الاثبات' حرف التاء المربوطة 'مورقة' 'موفقة' حرف الميم 'دائم' 'قائم' 'مقيم' حرف الراء 'الأبرار' 'الأغوار'.

"لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايها وأظهر من آيتها، ولا علة الوقوف عند غايتها، فيبقى المتبع للحديث متطلعا بعد إلى أحوال صحتها وضعفها ومراتبها، مفتشا عن أسباب تمسكها واعتزالها، أوتزاحمها وتعاقبها، باحثا عن المقنع في تبيانها أوتناسيها."^٣ السجع بتكرار حرف الهاء في النهاية كل جملة، هكذا: آيتها غايتها، مراتبها اعتزالها تعاقبها تناسيها.

نجد السجع في السحاب المركوم لجزء الثاني. على سبيل المثال "ورأيت في هذا العلم رسائل مختصرة لكنها لا تشفي العليل ولا تسقي الغليل انتهي ومثله في مدينة العلوم."^٤ السجع بتكرار حرف اللام في النهاية، هكذا: 'العليل' 'الغليل'.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص: ٧

^٢ المصدر نفسه ص ٨

^٣ المصدر نفسه ص: ٤٤٩

^٤ المصدر نفسه ص ٢، ص ٢٩

السجع أيضا في حرف الألف في علم آفات العجب" والمخلص من جميع ذلك أن يلاحظ جناب الحق وكون الخلق عاجزين ومقهورين تحت قدرته وليس للعاقل أن يدع رضى الغالب القاهر لرضى المغلوب المقهور.^١ السجع بتكرار حرف الهاء في النهاية، 'القاهر' 'المقهور'.

وفي علم الإنشاء نجد السجع في حرف اللام. "وبالجملة فهذا العلم طويل الذيل عظيم السيل كثير النفع لكن قصرت عنه همم العلماء حتى اندرس وطمس والله الأمر من قبل ومن بعد وعندنا ذخائر من صحف هذا الفن قد من الله تعالى لها علينا والله الحمد وانتفعنا بها كثيرا"^٢ 'الذيل' 'السيل'.

قد ضم المؤلف إلى 'باب الباء الموحدة' تحت عنوان 'علم الباه' السجعات عديدة، منها: هو علم باحث عن كيفية المعالجة المتعلقة بقوة المباشرة من الأغذية المصلحة لتلك القوة، والأدوية المقوية والمزيدة للقوة أو المملدزة للجماع أو المعظمة أو المضيضة وغير ذلك من الأعمال والأفعال المتعلقة بها.^٣ السجع في حرف التاء المربوطة: 'المباشرة' 'القوة'.

ويتحف المؤلف أيضا للقارئ تحفات شتى، ومنحات مثالية متنوعة في عنوان علم التاريخ على نحو التالي: وعلم التاريخ هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك. وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء وغيرهم.^٤ السجع بتكرار حرف الميم و 'بلدانهم'

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٨٥

^٢ المصدر نفسه، ص ١١٧

^٣ المصدر نفسه، ص ١٢٣

^٤ المصدر نفسه، ص ١٣٧

'رسومهم' 'عاداتهم' 'أشخاصهم' 'انسابهم' 'وفياتهم' 'حرف الهمزة' 'الانبياء' 'الأولياء' 'العلماء' 'الحكماء' 'الشعراء'.

في علم تبين المصالح المرعية نجد السجع في الفقرة التالية "وكان مع ذلك وقاد الطبيعة سيال القريحة حاذقا في التقرير والتحريير بارعا في التوجيه والتحبير، وقد عرف كيف يوصل الأصول ويبني عليها الفروع وكيف يمهد القواعد ويأتي لها بشواهد المعقول والمسموع." ^١ السجع في حرف التاء 'الطبيعة' 'القريحة' حرف الراء 'التقرير' 'التحبير' حرف الدال 'القواعد' 'شواهد'.

وفي علم تدبير المنزل "واعلم أنه ليس المراد بالمنزل في هذا المقام البيت المتخذ من الأحجار والأشجار بل المراد التآلف المخصوص الذي يكون بين الزوج والزوجة والوالد والولد والخادم والمخدوم والمتمول والمال، سواء كانوا من أهل المدر أو أهل الوبير" ^٢ في حرف الراء 'الأحجار' 'الأشجار' حرف الدال 'الوالد' 'الولد' حرف الميم 'الخادم' 'المخدوم' حرف اللام 'المتمول' 'المال' حرف الراء 'المدر' 'الوبير'.

نرى السجع في 'علم التفسير' ثم انتصبت طبقة بعدهم إلى تصنيف تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الأسانيد، مثل أبي إسحق الزجاج، وأبي علي الفارسي. ^٣ السجع بتكرار حرف التاء 'مشحونة' 'محذوفة' حرف الدال 'فوائد' 'أسانيد'.

نجد الأسجاع في علم التفسير في الفقرة التالية أيضا: "وتقال أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حملة الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علمه وقامت كل طائفة بفن من فنونه

١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ١٤٣

٢ المصدر نفسه، ص ١٤٥

٣ المصدر نفسه، ص ١٨١

فاعتزم قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعدد كلماته وآياته وسوره وأجزائه وأنصافه وأرباعه وعدد سجدياته والتعليم عند كل عشر آيات إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهات والآيات المتماثلات من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه فسموا القراء. "حرف الهاء 'علومه' 'علمه' 'فنونه' 'لغاته' 'كلماته' 'حروفه' 'كلماته' 'آياته' 'سوره' 'أجزائه' 'أنصافه' 'أرباعه' 'سجدياته' 'حرف التاء': 'الكلمات' 'المتشابهات' 'الآيات' 'المتماثلات'.

نجد الأسجاع في علم التفسير في الفقرة التالية "والجنة وأبوابها وما فيها من الأنهار والأشجار والثمار والحلي والأواني والدرجات ورؤية الله تعالى. والنار وما فيها من الأودية وأنواع العقاب وأصناف العذاب والزقوم الحميم إلى غير ذلك مما لو بسط لجاء في مجلدات." "حرف الراء 'الأنهار' 'الأشجار' 'الثمار' 'حرف الياء' 'الحلي' 'الأواني' 'حرف الباء' 'العقاب' 'العذاب'.

"وكل منهم أفاد وأجاد وجمع فأبدع وأوعى. وللسيوطي في ذلك كتاب الإكليل في استنباط التنزيل أورد فيه كل ما استنبط منه واستدل به عليه من مسألة فقهية أو أصولية أو اعتقادية فاشدد بذلك الكتاب يديك وعض عليه بناجذيك." "كلمات السجع وحروفه في هذه العبارة: حرف الدال 'أفاد' 'أجاد' 'حرف العين' 'جمع' 'أبدع' 'أوعى' 'حرف التاء' 'مسألة' 'فقهية' 'أصولية' 'اعتقادية' 'حرف الكاف' 'بذلك' 'يديك' 'بناجذيك'.

السجوع محتوية في العبارة الآتية "وألفت أنا في الأحكام خاصة كتاب نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، وبالجمله فعلوم الكتاب لا تحصى و تفاسيره لا تستقصى وفنونه لا تتناهى وبركاته لا

١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ١٩٤، ١٩٣

٢ المصدر نفسه، ص ١٩٩، ٢٠٠

٣ المصدر نفسه، ص ٢٠١

تقف عند حد أنواره لا ترسم برسم ولا تحد بحد.^١ نجد السجع بتكرار حرف الألف في نهاية كل كلمة، هكذا: 'تحصى' 'تستقصى' 'تتناهى' حرف الهاء 'تفاسيره' 'فنونه' 'بركاته' حرف الدال 'تحد' 'يحد'.

وفي باب الظاء المعجمة علم الظاهر والباطن يعرف المؤلف هذا العلم بالسجع. "وأما الباطن فيقال له علم الطريقة وعلم التصوف وعلم السلوك وعلم الأسرار وقد تقدم أيضا ولا حاجة لنا إلى الإعادة، ولكن نتحفك هنا بفائدة جديدة وعائدة سديدة اشتملت على حكم هذا العلم."^٢ نجد السجع بتكرار حرف التاء المربوطة في نهاية كل كلمة. هكذا: 'فائدة' 'جديدة' 'عائدة' 'سديدة'.

وفي 'علم مسالك البلدان والأمصار' يعرف هذا العلم "علم باحث عن أحوال الطرق الواقعة بين البلاد وأنها برية أو بحرية عامرة أو غامرة سهلية أو جبلية مستقيمة أو منحرفة والعلامات المنصوبة لتلك الطرق من الجبال والتلال وأمثالهما ومعرفة ما في تلك المسالك من المخاوف الحيوانية أو النباتية وأمثال ذلك."^٣ تتضمن الفقرة السجع ينتهي في حرف التاء، 'برية' 'بحرية' 'عامرة' 'غامرة' 'سهلية' 'جبلية' 'مستقيمة' 'منحرفة' 'الحيوانية' 'النباتية' وحرف اللام 'الجبال' 'التلال'.

نجد في الرحيق المختوم أسجعا عديدة، مع أنه مرتكز هذا القسم على تراجم الأعلام في داخل الهند وخارجها، ينسج الكاتب بألوان بديعية متوفرة: على سبيل المثال "الشيخ المعمر عبد الله بن

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٢٠١، ٢٠٢.

^٢ المصدر نفسه، ص ٣٧١.

^٣ المصدر نفسه، ص ٤٨٤.

عمر الخليل كان بحرا في العلوم النقلية ولا سيما الأدبية وفي الحساب والمساحة والهندسة والهيئة والحكمة قال: اشتغلت بهذا مدة وأتقنتها ولم أجد عنها سائلا ولا لها حاملا فلو كان الاشتغال بذلها بكتاب الله وسنة رسول الله صلعم، وله نثر فصيح ونظم بليغ ومراجعات ومناظرات ومطارحات ومفاكمات بينه وبين أدباء عصره.^١ الكلمات المسجوعة في حرف التاء المربوطة: 'المساحة' 'الهندسة' 'الهيئة' 'الحكمة' وحرف التاء المبسوطة: 'مراجعات' 'مناظرات' 'مطارحات' 'مفاكمات'.

السجع في الرحيق المختوم

الرحيق المختوم الجزء الثالث لأبجد العلوم يتضمن الأسجاع لا يحصى بعض من الأمثلة. نجد السجع تحت عنوان 'علماء اليمن' "الشيخ الفقيه عبد الله بن سليمان الجوهزي كان من أعيان العلماء وأعلام الفضلاء مؤلفاته تقارب خمسين مؤلفا في الحديث والفقه والأصول، وكان رحب الصدر للتدريس كريم الكف واسع العطاء كثير البكاء من خشية الله تعالى غزير الكشف تحكى عنه في ذلك أمور غريبة."^٢ يكرر في النهاية حرف الهمزة 'العلماء' 'الفضلاء' 'العطاء' 'البكاء'.

وفي عنوان 'علماء اليمن' أيضا. يقول عن الشيخ العلامة عبد القادر بن خليل ورحلاته "وفد إلى مدينة زبيد سنة ١٢٤٤ ناشر فيها ما منحه الله من علوم أسرار الكتاب والسنة، وكاشفا من إشارتهما الباهرة، ولطائفهما الزاهرة، بعبارة الجليلة المشرق عليها نور الاذن الرباني واللائح عليها أثر القبول الرحماني، وازدحم عليه الخاص والعام حينئذ على الاستفادة وتلقى كل أحد

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج٣، ص ١٧٤

^٢ المصدر نفسه، ص ١٧٥

من تلك اللطائف على قدر الاستعداد.^١ الكلمات المسجوعة في حرف الميم 'إشارتهما'،
'لطائفهما' 'الباهرة' 'الزاهرة' 'الرباني' 'الرحماني'.

يقول المؤلف في ترجمة عن الشيخ محمد طاهر الفتني: "وكان شيعيا فاعتضد به المهديوة وخرجوا من الزوايا، ورموا السهام على الخبايا، فحل الشيخ العمامة عن رأسه وانطلق إلى أكبر بادشاه وكان في مستقر الخلافة آكره، فتبعه جمع من المهديوة سرا وهجموا عليه في حوالي أجنين وقتلوه سنة ٩٨٦هـ".^٢ أتى بكلام منثور مقفى في حرف الياء 'الزوايا' 'الخبايا'.

وقوله عن مجدد الألف الثاني "الشيخ أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين الفاروقي السهرندي، بلدة عظيمة بين دهلي ولاهور، وهو المعروف بمجدد الألف الثاني. كان عالما عاملا عارفا كاملا ينتهي نسبه إلى الفاروق".^٣ الكلمات المسجوعة في حرف اللام، 'عاملا' 'كاملا'.

وقوله "وكان بيته في الهند بيت علم الدين، وهم كانوا مشائخ الهند في العلوم النقلية بل والعقلية، أصحاب الأعمال الصالحات وأرباب الفضائل الباقيات، لم يعهد مثل علمهم بالدين علم بيت واحد من بيوت المسلمين في قطر من أقطار الهند، وإن كان بعضهم قد عرف بعض علم المعقول، وعُدّ على غير بصيرة من الفحول".^٤ الكلمات المسجوعة في حرف اللام، 'النقلية' 'العقلية' 'الصالحات' 'الباقيات' 'المعقول' 'الفحول'.

يقول في عنوان 'علماء الهند' في ترجمة المولوي فضل الحق العمري الحنفي الماتريدي الجشتي الخير آبادي: "وله نظم رائع وشعر فائق لولا أنه أكثر فيه التجنيس الذي ينبو عنه السماع وتأباه الطباع و قصائد وغزليات وتقاريط وأدبيات جمعها الشيخ الأديب جميل أحمد البلكرامي

١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ٣، ص ١٨٢

٢ المصدر نفسه، ص ٢٢٢

٣ المصدر نفسه، ص ٢٢٥

٤ المصدر نفسه، ص ٢٤٣، ٢٤٤

المرحوم في مجموع وشرح معانيها، وقد رأيت الشيخ فضل الحق بدلهي زمان الطلب، وهو كهل في المسجد الجامع وقد أتى هناك لصلوة الجمعة وزيه زي الأمراء دون العلماء، وكان بينه وبين أستاذي الشيخ العلامة محمد صدر الدين خان الدهلوي صدر الصدور بها مودة أكيدة ومحبة شديدة.^١ نجد السجع بتكرار حرف القاء في نهاية كل كلمة. هكذا. 'رائق' 'فائق' حرف العين 'السماع' 'الطباع' حرف التاء 'عزليات' 'أدبيات' حرف الهمزة 'الأمراء' 'العلماء' حرف 'مودة' 'أكيدة' 'محبة' 'شديدة'.

يقول عن مهارات المولوي الشيخ عبد الحق بن فضل الحق وسلوكه هكذا. "فوجدته أيضا كهلا في العمر، وبارعا في العلم، ومهذبا في الخلق، وقد كتب كراسة في الشرح لرسالتي في أصول الفقه المسماة بحصول المأمول من علم الأصول، وهي دالة على سعة علمه في هذا الفن حياه الله وبياه، والذي لا يرتضيه منه أهل العلم بالكتاب والسنة مشيه على طريقة إيسلافه من الانهماك في الفلسفة، وما يليها وعدم المبالاة بالعلوم الإسلامية وما يضاهيها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم."^٢ نلوح السجع في تكرار النهايات المتشابهة في الكلمات 'المأمول' 'الأصول' في حرف اللام، وفي حرف الهاء في الكلمات، 'حياه' 'بياه'.

وفي علماء القنوجي أرخ سيرة حياة أخيه الكبير السيد العلامة أحمد بن حسن بن علي العرشي القنوجي، وعن علمه وفضله، "وبالجملة كان له اليد الطولى في الرد على المقلدة كما يلوح ذالك من كتابه حديث الأذكياء الملقب بالشهاب الثاقب، وغيره وله نظم رائع وشعر فائق بالفارسية والعربية يربو على نظم الأدباء المتقدمين والبلغاء المتأخرين."^٣ الكلمات المسجعة في حرف القاف، 'رائق' 'فائق' في حرف الهمزة 'الأدباء' 'البلغاء' في حرف النون 'المتقدمين' 'المتأخرين'.

١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ٣ ص ٢٥٤

٢ المصدر نفسه، ص ٢٥٥

٣ المصدر نفسه، ص ٢٧٠

الفصل الرابع

التشبيه

اللغة العربية لغة الجمال، لها ميزة خاصة تتميز بها عن غيرها من اللغات، لها علاقة وثيقة بين الألفاظ والمعاني، ونجد أيضا معان عديدة لكلمة واحدة، ولا نعرفها إلا بالإمعان والسياق.^١ جعلت ميزتها ووفرة كلماتها لغة فصيحة. ولهذا يعتني علم البيان ركنا رئيسيا في علم البلاغة، وعلم الصورة البديعية. التشبيه من علم البيان، "الدلالة على مشاركة أمر لأمر، وإن شئت قل: هو إلحاق أمر بأمر بأداة التشبيه لجامع بينهما".^٢ ولتشبيهه أركان أربعة هي كما يلي: الأول: مشبه، الثاني: مشبه به، الثالث: أداة التشبيه، الرابع: وجه الشبه.

تتضمن موسوعة أبجد العلوم تشبيهات غزيرة، ولا سيما في مقدمة وشي المرقوم، بعض من الأمثلة: "الحمد لله الذي جعل العلم سلما إلى معارج المعلوم. والمعلوم فضلا مسلما عند عصابة المنطوق والمفهوم، وسرّح أبصار البصائر في رياض الفنون والمعارف، رياض زهت فيها أزهار المعاني والبيان، فتفتحت بنسائمه أنوار الفضل التالد والطارف. فاجتنت منها أيدي المنى فواكه القلوب وأقوات الأرواح، واقتطفت منها جني الحقائق والدقائق من بين أقاحي الصباح، فهو قوت الفؤاد ومراح الأشباح، وروح جثمان الكمال، وحادي النفوس إلى بلاد الأفراح. به فضل الذوق الروحاني على المذاق الجسماني فضلا لا يعرفه إلا من تضلع منه أذواق، ولا يدرك كنهه إلا من غاص في قعر بحاره وسبح في ثبج أنهاره ثم برع وفاق".^٣

١. د. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار النفائس، الطبعة الثانية عشر، ٢٠٠٩ م ص ١٠

٢. المصدر نفسه، ص ٢١

٣. القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ٣:

‘جعل العلم سلماً إلى معارج المعلوم’

شَبَّه المؤلف صديق حسن خان القنوجي العلم بالسَّلم في موسوعته المشهورة، الذي يعرج به للوصول إلى مراتب المعرفة العليا (المعلوم) هذا تشبيه مرسل مجمل ولم يُذكر وجه الشبه). يُظهر أن العلم وسيلة ضرورية للوصول إلى الفهم والإدراك، كما أن السلم ضروري للصعود والارتقاء.

‘فهو قوت الفؤاد ومراح الأشباح، وروح جثمان الكمال، وحادي النفوس إلى بلاد الأفراح’ في العبارة السابقة متضمنة من عدة تشبيهات بليغة بارعة، شَبَّه العلم بالطعام الذي يغذي القلب (العقل والنفوس) هذا تشبيه بليغ (حُذِف الأداة و وجه الشبه). أهمية العلم للروح كما للطعام للجسد. ‘مراح الأشباح’ مراح محل راحة واستقرار. شَبَّه العلم بمكان الراحة لأجسام البشر (الأشباح) يُظهر أن العلم يُعطي الطمأنينة والسكينة للجسد. ‘روح جثمان الكمال’ شَبَّه العلم بالروح، والكمال بالجسد، مما يعني أن الكمال لا يكتمل إلا بالعلم. يُعظم من شأن العلم باعتباره أساساً لأي صورة من صور الكمال الإنساني. هذا تشبيه بليغ. ‘حادي النفوس إلى بلاد الأفراح’ الحادي هو من يقود القافلة (عادة الإبل)، فشَبَّه العلم بحاد يقود النفوس نحو السعادة والفرح. يُبرز دور العلم في توجيه الإنسان إلى مقاصد نبيلة وسعادة داخلية حقيقية، هذا التشبيه مرسل مفصل. نجد في المقدمة عبارات شتى تدل على التشبيهات. ومنها: “شامة في وجنات النكات، تميمة في أجياد الفحول الأثبات، جنة أشجارها مورقة، حديقة أزهارها مونقة، أكلها دائم وظلها قائم. نعيمها مقيم ومزاجها من تسنيم.”^١

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ٨

شبه المؤلف في أبجد العلوم آداب المتعلم والمعلم ' هذه تشبيهات رائعة، في وصف آداب المتعلم ووظائفه، إلى قوله: "الفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ الزرع." ^١ شبه المؤلف تشبيها تمثيليًا في العبارة السابقة، وفيه يقارن الكاتب الفكرة المتفرقة في مواضع متعددة بجدول ماء تفرق ماؤه. وجه الشبه صورة كاملة وليس شيئًا مفردًا.

جمالية التشبيه وبلاغته

أ: يصور المؤلف إحساسًا ملموسًا عن ضعف التأثير الناتج عن تشتت الفكرة تمامًا. كما لا يصل الماء المتفرق إلى الزرع.

ب: يُصور أيضًا الفكرة المضیعة كالماء المهدور، ما يُضفي بعدًا شعوريًا.

ج: تراكب العناصر الطبيعية: (الأرض، الهواء، الزرع، الماء) يُغني الصورة ويوسّع دلالاتها.

د: ارتباط المعنى بالواقع المحسوس: يتخيل القارئ صورة الجدول المبتور بسهولة، مما يُعمق أثر المعنى حين قراءة النص.

هـ: في المطابقة بين الصورة الذهنية والمشهد الطبيعي: استحضار مشهد طبيعي مألوف (الماء المتفرق، الأرض، الهواء، الزرع) يُجسّد المعنى الذهني (تشتت الفكرة).

ح: جمع بين الحسية والمعنوية والمقارنة بين معنوي (الفكرة) ومحسوس (الجدول) تُضفي على المعنى بُعدًا بصريًا واضحًا.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ١٢٤

ط: في الحركة والتتابع: ذكر مراحل التثنت (نشف، اختطف) يمنح الصورة حركية وتدرجا يُعزز التأثير الدرامي للفكرة.

ق: في النغمة الموسيقية: الإيقاع الداخلي لكلمات مثل: نَشَفَتْ، اِخْتَطَفَ، لَا يَجْمَعُ، يَبْلُغُ يساهم في إضفاء وقع قوي على القارئ.

هذا تشبيه تمثيلي بديع في تركيب الصورة ونقل المعنى بتكثيف وإيجاز. يُعد مثالا راقيا على كيف يُمكن للصورة البلاغية أن تُغني المعنى وتزيده عمقا وتفاعلا.

وأیضا في الجملة التالية: "أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقي زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويدعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق." هذا تشبيه تمثيلي يُشَبِّه فيه سلوك الطالب أمام المعلم بسلوك المريض الجاهل أمام الطبيب الحاذق النابغ. نجد أيضا عدة تشبيهات مرسلا مفصلا، لأن: أداة التشبيه 'إذعان' تُفيد معنى 'مثل' (وجه الشبه مذكور ضمنا في الذل والخضوع المطلق. الطرفان مذكوران (المشبه والمشبّه به).

التشبيه في ترجمة الحياة

الرحيق المختوم الجزء الثالث لكتاب 'أبجد العلوم' يحتوي عن رجال أَلْفوا في العلوم والفنون التي عرف بها في الجزء الثاني 'السحاب المركوم'. وقد قسم المؤلف تراجمهم فئات شتى. كل فئة تضم أعلاما في التأليف بعلم من الأعلام، فجعلهم عشرين زمرة على حسب علمهم واختصاصهم. يتضمن هذا الجزء عدة تشبيهات، نقتطف بعض من الأمثلة، يذكر في عنوان 'علماء الهند' عن السيد قمر الدين الحسيني الأورنك آبادي. "كان قمرا طالعا في ميزان الشرع

المبين، وكوكبا ساطعا في أوج الشرف الرصين، آباؤه من سادات خجند والسيد ظهير الدين منهم، هاجر منها إلى الهند وتوطن في آمن آباد من توابع لاهور، ثم ابنه السيد محمد رحل إلى الدكن، وكان ابنه السيد عناية الله من العرفاء، أخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ أبي المظفر البرهان فوري، عن الشيخ محمد معصوم، عن ابنه الشيخ أحمد السهرندي، وتوطن ببلدة بالابور على أربع منازل من برهانفور، وتوفي بها سنة ١١١٧هـ.^١

‘كان قمرا طالعا في ميزان الشرع المبين’ هذه الجملة حاوية التشبيه، التشبيه بليغ، لأن أداة التشبيه وجه الشبه محذوفان.

○ المشبه: السيد قمر الدين الحسيني الأورنك آبادي.

○ المشبه به: القمر الطالع.

○ وجه الشبه: النور والهداية والوضوح في الظلام، وهو دلالة على أنه كان هاديا في أمور الشرع.

○ الأداة: محذوفة

شبه المؤلف الشخص بالقمر الطالع، هو من أجمل الصور البيانية في الأدب العربي، لأن القمر رمز النور في الظلمة، والمكانة العالية. وقرن ذلك بـ ‘ميزان الشرع’، أي أن نوره وهدايته كانت في إطار الشريعة، لا خارجه، مما يعطي بعدا دينيا وأخلاقيا وسلوكيا.

وأيضا الجملة التالية ‘وكوكبا ساطعا في أوج الشرف الرصين’

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ٣، ص ٢٤٩

- نوع التشبيه: تشبيه بليغ.
- المشبه: نفس الشخص.
- المشبه به: الكوكب الساطع.
- وجه الشبه: اللمعان، الرفعة، الإشراق، المكانة العالية.
- الأداة: محذوفة

يشبه المؤلف بالكوكب الساطع الذي يحتل 'أوج الشرف' و'الرصين' صفة للشرف، توحى بالثبات والسمو. التشبيه يبرز سمو النسب وعلو المقام، وكأن النسب الشريف يعلو به كما يعلو الكوكب في السماء. تجسّد هذا الشخص في هيئة قمر يضيء في ظلمات الجهل، لكنه ليس نورا مطلقا، بل موزونٌ بميزان الشرع، ما يعطي توازنا بين العقل والجمال والدين. التشبيه هنا ليس حسياً فقط، بل روحيّ ومعنويّ، مما يعمّق التأثير في المتلقي. الكوكب الساطع يدل على التوهج والظهور في علياء السماء. التشبيهات في هذا النص تُمثّل قمة البلاغة في المدح: فهي مقتضبة، قوية الإيحاء، جميلة الصوت، عميقة المعنى. تنقل صورة شخصية مضيئة في دينها، راسخة في شرفها، متألفة في سمائها، دون مباشرة أو مبالغة مبتذلة. نجد أيضا الأسلوب البلاغي الفني وافرة في هذا النص.

التشبيه في الشعر والمنظومة

يذكر المؤلف في مقدمة 'الوشي المرقوم' زوجته الحبيبة شاه جهان بيكم. يشبهها بالبحر.

"هي البحر جودا فيضها شمل الورى وقد نال معروفها كل سائل"^٩

^٩ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ٩:

يلاحظ الباحث في البيت التشبيه: هي البحر جودا"النوع(تشبيه بليغ)لأنه حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، واقتصر على المشبّه والمشبّه به فقط. هذا تشبيه رائع.

المشبّه: 'هي' (المرأة الممدوحة شاه جهان بيكم)

المشبّه به: 'البحر'

وجه الشبه المحذوف: الكرم والسعة والعطاء الذي لا ينضب.

الأداة التشبيهية: محذوفة

ثم جاء قوله 'فيضها شمل الوري' لِيُقَوِّي هذه الصورة، ويكاد يكون تمثيلا للممدوحة كينبوع فيّاض يتدفّق خيرا.

"هي الشمس إفضالا يعم نوالها جميع الرعايا من صنوف القبائل"

في هذا الموضع، يُشبّه الشاعر الممدوحة بـ"الشمس"، في إضاءة عطائها وعدالته وانتشاره بين كل الفئات والقبائل. هذا أيضا تشبيه بليغ.

المشبّه: 'هي'

المشبّه به: 'الشمس'

أداة التشبيهية: محذوفة

وجه الشبه: محذوف لفظا، والمقصود به: عموم النفع والإشراق على الجميع، الصورة البيانية هنا تُعطي إحساسا بالعدالة والكرم الذي يشبه ضوء الشمس في عموميته.

وقد نظم الأمير قصيدة مرثية برثاء شيخ الإسلام ابن تيمية، يرثي فيها موته في السجن، شبهه بالدر النفيس، إلى قوله:

وحبس الدر في الأصدف أفخر وعند الشيخ بالسجن اغتباط^١

يقرر الشاعر في هذا البيت فكرة فلسفية راقية، وهي أن النفيس لا يبتذل، بل يصان، حتى لو كان ذلك الحفظ على صورة 'حبس' أو 'سجن'. فهو يقول إن الدر - وهو رمز للشيء الثمين - حين يكون محبوسا في الأصداف، فإنه في حال من الفخر والكرامة، لا المهانة.

ثم ينتقل إلى الشطر الثاني ليطبّق هذه الصورة على واقع إنساني: الشيخ، أي العالم أو الصالح، الذي قد يسجن ظلما، لكنه يجد في السجن اغتباطا وسعادة روحية، لأنه يحمل جوهر لا يقيد بالجدران. حبس الدر في الأصداف أفخر. هذا تشبيه ضمني تمثيلي، لم تذكر فيه أداة التشبيه، بل تضمّن المعنى.

وأیضا الشطر الثاني 'وعند الشيخ بالسجن اغتباط' يتضمن التشبيه. يلمّح أيضا إلى تشبيه ضمني لحال الشيخ المحبوس بحال الدر المصون. أي أن السجن للشيخ ليس إذلالا، بل كأنه أصداف الدر، تحفظ جوهره من الابتذال، ولهذا يغتبط به.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ١٣٥

الفصل الخامس

الاستعارة

الاستعارة وليدة من التشبيه والمجاز، ويقال في تعريفها إنها اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي، وقال بعض العلماء إنها تعتبر نوعاً من أنواع التشبيه، ولكن حذف أحد أطرافه. توصف الاستعارة بأنها حسنة وجميلة في حال كثرت فيها أساليب البلاغة الفنية وتمّ بها بيان المعنى بشكل مختلف عن معناه الحقيقي الأصلي، وتوصف بالقبح إذا خلت من أساليب البلاغة، لأنها لا تحقّق البلاغة في وصف السهولة والسرعة ولأنها لا تشكل معنى مميزاً. ولهذا للاستعارة دور هام في الأدب العربي. "الاستعارة عند البيانين: هي استعمال لفظ ما، في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاح به التخاطب."^١

تعريف الاستعارة لغة واصطلاحاً

الاستعارة لغة: رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، واستعار الشيء أي طلب منه أن يعطيه إياه عارية، والاستعارة في علم البيان: استعمال كلمة بدل أخرى لعلاقة مشابهة مع القرينة الدالة على هذا.

الاستعارة اصطلاحاً: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له، وهي في الأصل عبارة عن تشبيه حذف منه المشبه وأداة التشبيه ووجه الشبه، وبقي المشبه به، والاستعارة هي مبالغة في التشبيه، وإدعاء معنى الحقيقة في الشيء.

^١ أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة البيان والبدیع والمعاني، الناشر دارالتوفيقية لتراث - القاهرة، رقم الإيداع: ٩١٩٧/٢٠١١

الاستعارة في أبجد العلوم

الفقرة التالية تتضمن استعارات متعددة: "الحمد لله الذي جعل العلم سُلماً إلى معارج المعلوم. والمعلوم فضلاً مسلماً عند عصابة المنطوق والمفهوم، وسرّح أبصار البصائر في رياض الفنون والمعارف، رياض زهت فيها أزهار المعاني والبيان، فتفتحت بنسائهما أنوار الفضل التالد والطارف. فاجتنت منها أيدي المنى فواكه القلوب وأقوات الأرواح، واقتطفت منها جني الحقائق والدقائق من بين أقاخي الصباح، فهو قوت الفؤاد ومراح الأشباح، وروح جثمان الكمال، وحادي النفوس إلى بلاد الأفراح. به فضل الذوق الروحاني على المذاق الجسماني فضلاً لا يعرفه إلا من تضلع منه أو ذاق، ولا يدرك كنهه إلا من غاص في قعر بحاره وسبح في ثبج أنهاره ثم برع وفاق."^١

، نقتطف بعضاً من الأمثلة، استمدّها لها صديق حسن خان القنوجي الظواهر الطبيعية. منها 'وسرّح أبصار البصائر في رياض الفنون والمعارف' في هذه الجملة استعارة تمثيلية: شبه الفنون والمعارف بالحدائق المليئة بالأزهار، والبصائر بالأبصار التي تتأمل جمال تلك الرياض وغيرها. وقوله: 'أزهار المعاني والبيان' ففي هذه الجملة استعارة أيضاً: شبه المعاني والبيان بالأزهار التي تزدهر وتبعث الجمال، هذه استعارة تصريحية. ومنها: 'بنسائهما أنوار الفضل التالد والطارف' صوّر المؤلف الفضل بنور ينبعث بفعل نسائم (نسيم) المعاني، مما يربط بين حاسة الشم وحاسة البصر في تصوير الفضل، هذه استعارة مكنية. 'غاص في قعر بحاره وسبح في ثبج أنهاره' شبه العلم بحارا وأنهارا يغوص فيها الباحث، مما يعكس عمق المعرفة وسعتها استعارة مكنية وقوله: 'اجتنت منها أيدي المنى فواكه القلوب وأقوات الأرواح' صوّر العلم كشجرة

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص: ٣

مثمرة تؤتي فواكه تغذي الأرواح والقلوب استعارة تصريحية. والباحث في هذا النص يجد تنوع الاستعارات تصريحية ومكنية وتمثيلية وغيرها.

"وبعد : فهذا بثُّ لما وقر في صدري من أحوال العلوم العالية، وتراجم الفنون الفاخرة، وأثر بعد عين في تحصيل ما نيطت به سعادة الدنيا والآخرة، وردتُ من بحارها الطامية ماءً عذبا فراتا حاليا، وكرعتُ من أنهارها الصافية ما كان عن القذى طاهرا وعن الأكدار خاليا."¹

في مقدمة 'الوشي المرقوم' استخدم المؤلف عدة استعارات بلاغية تخدم تصوير العلم بصورة حسية حيّة. ففي قوله: 'بثُّ لما وقر في صدري'، استعار لفظ 'البث' ليُصوّر ما اختزن من العلم في صدره كأنه أخبار تُنشر، وهي استعارة مكنية. وفي قوله: 'وردتُ من بحارها الطامية ماءً عذبا' شبّه العلوم بالأنهار الغزيرة التي يُقصد مورها، فكانت استعارة تصريحية جسّدت العلم كماء يُرتوى منه. ثم في قوله: 'كرعتُ من أنهارها الصافية' تابع التشبيه الحسي، حيث صوّر نفسه كشارب ينهل من نهر صافي، وهي أيضا استعارة تصريحية. وأما قوله: 'عن القذى طاهرا، وعن الأكدار خاليا' ففيه استعارة مكنية حيث جعل المعارف كالماء النقي الذي يخلو من الشوائب. كل هذه الصور ترسّخ قيمة العلم وتجعله محسوسا لذّة ونقاء. وقد اجتمعت في هذا النص استعارات مكنية وتصريحية وظّفت جميعها الماء رمزا للعلم. وهذا يدل على قدرة الكاتب البلاغية في تقريب المعنوي إلى الحسي بأسلوب رائع.

وقوله: "فأردتُ أن أفرد منها أحوال العلوم وتراجم الفنون في تأليف مختصر تقريبا للبعيد وتحصيلا للتجريد، مضيفا إليه ما حصل الوقوف عليه في أثناء ملاحظة الكتب الشاذة وعطفها،

¹ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص: ٤

واجتناء ثمار القوائد الصحف الفاذة وقطفها. ليكون هذا السفر التام المقصود، وكوكب المراد الطالع من أفق السعود، سهل الحصول لمن رام الوصول إليه، ويسير النتاج لمن أراد الحصول منه والتعويل عليه، لأنه دراسات عديدة في كرايس محدودة، وفراسات سديدة في قراطيس مشهودة، تحلت بعون الله وحسن توفيقه بكل زين.¹

ظهر في قوله: "اجتناء ثمار القوائد الصحف الفاذة وقطفها" يتضمن استعارة تصريحية بارعة، إذ شُبّه العلم والاقتباس من الكتب بقطف الثمار من أشجارها، مما يضفي على المعرفة صورة مبهجة حسية. وفي تعبيره: 'السفر التام المقصود، وكوكب المراد الطالع من أفق السعود' صورة مكنية بلاغية قوية، إذ شُبّه الكتاب بالكوكب الطالع من الأفق، وهو تشبيه يوحى بالضياء والهداية. كذلك في قوله: 'دراسات عديدة في كرايس محدودة، وفراسات سديدة في قراطيس مشهودة' استعارات تعتمد التجسيد، حيث جُعِلت الأوراق كأوعية تمتلئ بالدراسات والفراسات، وكأنها حقائب علمية مرئية. وقد زخرف كل ذلك بقوله: 'تحلت بعون الله وحسن توفيقه بكل زين' وفيه استعارة مكنية تُجسّد الكتاب كعروس تتزين، في إشارة إلى كماله وجماله. هذه الاستعارات مجتمعة تُظهر قدرة الكاتب على صوغ العلم بصورٍ محسوسة تبعث على التدوق والتأمل.

وقوله: "ومع ذلك قد جاء بحمد الله تعالى في بابه بديع المثال، منيع المنال، مبدئ العجب العجاب. إذا سئل أعطى وإذا دعي أجاب، كأنه سماء علوم شرفت كواكبها عجائبها، وأرض فنون أمطرت بالغرائب سحائبها، شامة في وجنات النكات، تميمة في أجياد الفحول الإثبات، جنة أشجارها

¹ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص: ٦

مورقة، حديقة أزهارها موفقة، أكلها دائم وظلها قائم. نعيمها مقيم، ومزاجها من تسنيم سفينة نجا يعبر بها الأبرار بحارا بعيدة الأغوار.^١

افتتح الكاتب الفقرة بقوله: 'قد جاء... بديع المثال، منيع المنال' وهي استعارات تشير إلى أن المؤلف بلغ منزلة رفيعة لا تُنال بسهولة، كأنها قلاع محصنة لا تُدرك إلا بصعوبة. ثم قال: 'كأنه سماء علوم شُرّفت كواكبها عجائبها' وهذه استعارة تصريحية بديعة، شبّه الكتاب بسماء تتلأأ نجومها، والكواكب هنا كناية عن المسائل العجيبة والعلوم الباهرة. وتابع بقوله: 'وأرض فنون أمطرت بالغرائب سحائبها' وفيها استعارة تصريحية أخرى تُصوّر الفنون كأرض، وسحائبها التي تمطر الغرائب هي العلوم أو المعارف الفريدة. وفي قوله: 'شامة في وجنات النكات، تميمة في أجياد الفحول الإثبات' استعارات مكنية بارعة؛ فقد صوّر الكتاب بزينة تُحلى بها الخدود (الوجنات) وأيضا تميمة (حرز) تُزيّن أعناق العلماء. ثم في قوله: 'جنة أشجارها مورقة، حديقة أزهارها موفقة' استعارة مكنية حيث صوّر الكتاب أو العلم جنة مورقة وظليلة وطيبة الثمار. وأكّد المعنى بقوله: 'أكلها دائم وظلها قائم' في توظيف واضح للتعبير القرآني، مما يزيد النص وقارا. وختاماً، وصفها بأنها 'سفينة نجا' وهي استعارة مشهورة تُصوّر العلم وسيلة خلاص ونجاة في بحر الحياة، خاصة حين قال: 'يعبر بها الأبرار بحارا بعيدة الأغوار' فشبّه المعارف بوسيلة عبور آمنة في خضم الأهوال. كل هذه الصور تُظهر جمال البيان، وتؤكد درجة العلم في هذا المجال.

وقوله: "فيا ليت شعري كيف يجري قلم أحقر عالم من علماء الشريعة بمثل هذا، وعجبت ما أدخل هذا الحافظ في مثل هذه المداخل المقفرة المكفهرة التي يتلون الخريف في شعابها

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ٧، ٨

وهضابها.^١ استهل المصنف بقوله: 'فيا ليت شعري كيف يجري قلم أحقر عالم' وفيه استعارة مكنية، إذ شُبّه القلم بكائن حي يجري، فأُسند إليه فعل 'يجري' وهو في الأصل للإنسان أو الحيوان، والمقصود به الكتابة، وهي صورة بلاغية تجسّد التعبير. ثم في قوله: 'ما أدخل هذا الحافظ في مثل هذه المداخل المقفرة المكفّرة' نجد استعارة مكنية أخرى، إذ شُبّه العلوم أو المواضيع المعقدة بمداخل مقفرة مكفّرة (أي قاحلة وعابسة)، وكأنّها طرق صحراوية موحشة لا تصلح للسلوك إلا لأهلها، وهذا وصف ضمني لمجال علمي لا يتقنه ذلك الشخص. ويتابع في تصويره البديع: 'التي يتلون الخريف في شعابها وهضابها' حيث شُبّه هذه المداخل (أي المواضيع) بأرض تتقلب عليها مواسم الخريف، في كناية عن التغيّر، الذبول، والاضطراب، وهي استعارة مكنية ترمز إلى الجذب الفكري أو ضياع الجمال فيها. هذه الصور مجتمعة تُحيل إلى أنّ من دخل هذا الميدان ليس مؤهلاً له.

وقوله: "ولما انتشر الإسلام في هذه البلاد وطلعت شموسه البازغة على الأغوار والأنجاد، وعلت الكلمة الطيبة في هذه الغبراء، واجتمعت بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، ظهر بها جمع من العلماء والأدباء الإسلامية الناثرين على بسط الأزمنة لآلي من السحب الإقليمية، لكن لم يعتمد أحد منهم إلى ضبط تراجمهم ولم يجتن جان زهرا من حواجمهم إلا نذرا يسيرا."^٢

بدأ الكاتب الفقرة بقوله: 'ولما انتشر الإسلام في هذه البلاد وطلعت شموسه البازغة على الأغوار والأنجاد' وهي استعارة تصريحية بليغة؛ حيث شُبّه الإسلام بالشمس التي تشرق، في تصوير حسيّ لنور الإسلام الذي غمر البلاد. ثم قال: 'وعلت الكلمة الطيبة في هذه الغبراء' وهي

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ١٦

^٢ المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢١٤

استعارة مكنية مستوحاة من التعبير القرآني، شَبَّه فيها الدين أو الحق بـ"كلمة طيبة" تَعْلُو في الأرض اليابسة (الغبراء)، تعبيرا عن علو الحق وسط القحط الروحي. وتزداد الصورة عمقا حين قال: 'واجتمعت بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء' وهو تصوير قرآني آخر، يُجسّد الإسلام أو الإيمان كشجرة ذات جذور ثابتة وامتداد سماوي، وهذه استعارة مكنية تدل على الثبات والنماء. ثم في قوله: 'الناثرين على بسط الأزمنة لآلي من السحب الأعلامية' استعارة تصريحية غاية في الجمال، حيث شَبَّه الأدباء والعلماء بمن ينثرون اللآلئ على بساط الزمن، و'السحب الأعلامية' تُشير إلى الأعلام التي تمطر دررا من المعاني، وكأنها سحب تمطر لآلئ. وفي قوله: 'لم يجتن جان زهرا من حواجمهم' استعارة أخرى، حيث شَبَّه تراجم العلماء بأزهار في حواجم (أي أماكن نائية)، لم يقطفها أحد، مما يرمز إلى إهمال الكتابة في تراجمهم. هذا النص يكشف عن ثراء تصويري بليغ يدمج الحسّي بالمعنوي، في خدمة رسالة علمية وتاريخية ساطعة. وقوله: "السيد جان محمد البلكرامي هو ابن عم السيد عبد الجليل العلامة الواسطي. ولد في سنة ١٠٨٠، وكان أبوه السيد معين الدين صاحب دار العدالة ببلدة ملتان، أقره على هذه ناظمها نواب مكرم خان خلف نواب شيخمير في عهد عالمكير، وحفظ القرآن وأخذ القراءة، ثم رتّع في رياض العلوم وارتقى بها إلى أعالي الغصون، فحاول من كل فن طرفا صالحا، وتناول من كل نوع وزنا راجحا، واكتسب قلم النسخ في غاية الملاحه، وكان يتكلم بالفارسية في نهاية الفصاحة."^١

تتضح الاستعارة في قوله: 'رتّع في رياض العلوم' وهي استعارة مكنية، شَبَّه فيها العلوم بالرياض (الحدائق) التي يمرح فيها الطالب ويتنقّل بين أزهارها، فالعلم هنا مجال للذة والنماء. وتأتي استعارة أخرى في 'ارتقى بها إلى أعالي الغصون' حيث صُوّر العلم كشجرة باسقة لها أغصان،

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٣، ص ٢٥٣

وطلب العلم كصعود هذه الأغصان العليا، في استعارة تصريحية تدل على بلوغ مراتب عليا. وفي قوله: 'فحاول من كل فن طرفا صالحا' استعارات مكنية توحى بأن المعارف أصناف محسوسة تُتناول وتوزن، في تصوير حسي لقيمة ما تحصّله من العلوم. كما أن التعبير عن إتقانه لفن الخط بـ 'اكتسب قلم النسخ في غاية الملاحه' فيه استعارة مكنية جميلة، حيث شُبّه القلم بمتاع نفيس ذي 'ملاحه' (جمال)، مما يعكس المهارة الفنية. وأخيرا، قوله: 'يتكلم بالفارسية في نهاية الفصاحة' وإن لم تكن استعارة بذاتها، فإنها خاتمة تؤكّد جمال البيان في لغته، مما يتناسق مع الصور البلاغية السابقة. فالفكرة العامة تصوّر السيد البلكرامي كطالب علم متألق، ينتقل بين حدائق المعارف، ويقطف من كل شجرة ثمرا يانعا.

الباب الرابع:

النصوص الأدبية في 'أبجد العلوم'

الفصل الأول: الأشعار الواردة في 'أبجد العلوم'

الفصل الثاني: الخصائص الفنية في الحكَم والأمثال ضمن الموسوعة

الفصل الثالث: جماليات التوظيف الاستشهادي في النصوص

الباب الرابع

النصوص الأدبية في 'أجد العلوم'

تتجلى في موسوعة 'أجد العلوم' لصديق حسن خان القنوجي برغم من أنها موسوعة علمية تتخللها لمسات أدبية رفيعة، حيث وظّف المؤلف نصوصاً أدبية متعددة، من أشعار، وحكم، وأمثال، ونصوص استشهادية توظيفاً يبرز ذوقه الرفيع وثقافته الواسعة. فقد أورد الأبيات الشعرية في سياقات تخدم المعنى العلمي، فتجيء مكتملة للفكرة، أو موضحة لها، أو باعثة على التأمل والتأثر، مما يدل على براعته في استدعاء الشعر المناسب للموقف المناسب. كما أن الحكم والأمثال التي استعان بها جاءت صياغتها موجزة ومعانيها نافذة، تُقوّي الفكرة وتؤكدّها بأسلوب مألوف وراسخ في الوجدان العربي، وقد أظهر المؤلف قدرة لافتة على اختيارها وتوظيفها في سياقات تدعو إلى التوجيه والإقناع. أما التوظيف الاستشهادي للآيات والأحاديث والأشعار والأمثال، فقد تميز بجمالية واضحة واتساق مع المعنى العام للنص، إذ لم يكن مجرد حشو أو تزيين، بل جاء مؤسساً للفكرة، ومُعزّزاً للبرهان، ومُضفياً على النص طابعاً من الفصاحة والعمق المعرفي. وبهذا التداخل بين المعرفة والعاطفة، والعلم والأدب، اكتسب الكتاب بعداً بيانياً راقياً، يجمع بين الإقناع العقلي والتأثير الوجداني، مما جعله نصّاً علمياً متأدباً بحق. هذا ما تتميز الموسوعة عن غيرها.

الفصل الأول

الأشعار الواردة في أبجد العلوم

اللغة العربية لا تزال لغة الدين والعقيدة عند المسلمين في الهند منذ أكثر من ألف عام، نشأ وترعرع في هذه البقعة كثير من الشعراء النابغين والعلماء البارزين، متمسكين بالثقافة الإسلامية العربية، ومحافظين عليها ومنتجين فيها، قادة الفكر الذين كانوا أصحاب الريادة في الشعر. الأمير صديق حسن خان رائد من الرواد هذه المدرسة الأدبية، حيث تعتزّ خزانة كتب العلمية ومكتبات الإسلامية بمؤلفاته الغنيّة، ويعتنيها العلماء والباحثون تراثاً علمياً ضخماً في أنحاء العالم.

منح الله لصديق حسن خان القنوجي مواهب عديدة، وقريحة نيّرة وذاكرة حادّة وطمع شديد في التعلّم والتأليف، أمّدت له صحبة العلماء والأدباء والشعراء، كان عالماً وأديباً ونابغاً في اللغة العربية والفارسية والأردية. أشعاره متناثرة في مؤلفات شتّى، فيه أثر خلاب وروعة جذابة في حسن العبارة وجمال الأسلوب، يبلغ مجموع عدد أشعاره ٢٧٨ شعراً، معظم أشعاره التي قرض هي في مدح النبي صلعم، وسماها 'الكلمة العنبرية في مدح خير البرية صلعم' له أسلوب رائع يعبر مهاراته في قرض الشعر وعلومه، هي قصيدة همزية مطلعها :

اخترت بين أماكن الغبراء دار الكرامة بقعة الزوراء

هل لي مكان أطلب راحتي من دونها في البر والدأماء

ما فضلها فوق المواضع كلها إلا لعرف فاح في الأرجاء

قلبي يطير إلى طيور مروجها وإلى جوار رياضها الغناء^١

وفي مقدّمة وشي المرقوم يصف زوجته الحبيبة الأميرة شاه جهان بيكم مليكة بهوبال، مع أنّه يصف فيها بهوبال الجميلة وبيئتها الرائعة، ويخاطب نفسه أن تنزل من المركب ويزيل عنها أحزان الاغتراب. هذه منظومة لامية قرض على أسلوب الجاهلي يمدح مليكة العالم زوجته نواب شاه جهان بيكم، يستذكر أيامها وليالها في هذه القصيدة.

"وصلت حمى بهوبال يانفسُ فانزلي فقد نلتِ مأمول الفؤادِ المعوّل

ويا حبّذا ساحاتها لك إنها 'نسيم الصّبا جاءت برّيا القرنفل'

تذكرتُ عهدا بالحمى وبمن به 'وقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل'

وما هو إلا حضرة العزّة التي تخاطب تاج الهند عند الأمثالِ

معاذة أهل الفضل من كلّ حادثٍ ملاذة أعيان العلاّ الأفاضلِ

مغيثُ أرباب الفواضل والحجي 'ثمّالُ اليتامى عصمة للأرامل'

هي البحر جودا فيضها شَمِلَ الوري وقد نال من معروفها كل سائل

هي الشمس إفضالا يعم نوالها جميع الرّعايا من صُنوف القبائل

أفادت كرامات بهمتها التي لها ليس مثلا عند كلّ مُماثل

أفاضت فيوضا أخلجت جُود حاتم أسالت إلينا هاطلا بعد هاطل

١ الكلمة العنبرية في مدح خير البرية صلعم نقلا عن مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي: دراسة تحليلية، لعبيد الرحمن، المصدر السابق، ص ١٨٨

قفوا أخبرونا من يقوم مقامها ومن ذا يردُّ الآن لهفة سائل

قفوا أخبرونا هل لها من مُشابه قفوا أخبرونا هل لها من مُشاكل

فما هي إلا رَحْمَةٌ مُستطابةٌ تعمُّ البرايا من غنيّ وعائل

أدام لها رَبُّ البرايا مكارما تقصّر عنها كُلُّ حاف وناعل

وزاد لها الإقبال إقبال عَزَّة وكان لها عوناً لدى كلِّ نازل^١

ونقل أيضاً أبياتاً شتى في عنوان 'في بيان المردف والمستزاد والمزدوجة':

"رَشَأُ الأَبِيرِق قاتل والله إن المحبَّ لغافل والله

والرويّ المشبع كقوله أيضاً:

جور الحبيبة في منى مرضى ذبح المتيمم ههنا مرضي

والرويّ المتحرك بلا وصل كقوله أيضاً:

قدر القلوب من الصفاء يلوح ثمن الجواهر بالجلاء يلوح^٢

هذه الأبيات الثلاثة تدلّ على براعة صديق حسن خان القنوجي في تنويع القافية والروي مع المحافظة على جمالية التعبير وثراء المعنى. ففي البيت الأول 'رَشَأُ الأَبِيرِق قاتل والله إن المحبَّ لغافل والله' نجد الرويّ المشبع بالهاء مع الوصل بلفظ 'والله' ما يضيف إيقاعاً حاراً ويؤكد المعنى بانفعال وجداني؛ ويقابل فيه الشاعر بين 'قاتل' و'غافل' تصويراً لحال العاشق الذي يُفتن

^١ القنّوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص: ٩، ١٠.

^٢ المصدر نفسه، ص ٣١٩

بالمحبوب الجميل دون أن يشعر هو بذلك. أما في البيت الثاني 'جور الحبيبة' في منى مرضي ذبح المتيم ههنا مرضي' فالقافية مبنية على روي مشبع بالياء، ويكرر فيها كلمة 'مرضي' تعزيزاً لمعنى القبول بالألم العاطفي، كما يعقد تشبيهاً ضمناً بين العاشق والذبيحة، خصوصاً في موضع 'منى' بما يحمله من دلالة دينية وشاعرية. وفي البيت الثالث 'قدر القلوب من الصفاء يلوح ثمن الجواهر بالجلاء يلوح' نلاحظ رويًا متحركاً بلا وصل، وهو أكثر تحرراً موسيقياً، وقد بني البيت على مقابلة فكرية بديعية بين نقاء القلب وصفاء الجواهر، في حكمة توجز قيم الجمال الروحي والمادي في آن معاً. وبهذا، تعكس الأبيات عمقاً فنياً يجمع بين البلاغة والصوت والمعنى في وحدة متناغمة متجانسة.

إن النواب يبدأ كل كتاب بالحمد والثناء ثم الصلاة والتسليم بكلمات تناسب ذلك الكتاب والموضوع، يختار أحد الطرفين إما نظماً أو نثراً، نجد في مطلع السحاب المركوم القسم الثاني لأبجد العلوم.

"الحمد لله الذي لا يفي بحمده كل شكور وفي

ثم صلاة الله تترى على المختار والآل ومن يقتفي

طريقهم كالبدور الهدى من لا سواه اليوم من منصف

ودعوة أسأل من فضله انجو بها من شدة الموقف"^١

تستهل القصيدة بحمد الله تعالى في بيت بليغ يظهر فيه العجز الإنساني عن الإحاطة بثناء الله، إذ يقول: 'الحمد لله الذي لا يفي بحمده كل شكور وفي'، وهنا نجد استخداماً بليغاً للفعل 'يُفي'

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٣

الذي يحمل معنى التمام والكمال، ليقرر أن كل شاكر - مهما بلغ إخلاصه - لا يستطيع أن يوفي الله حق حمده، وفي ذلك تواضع بلاغي وسموٌ روحي. ويتبع هذا الحمد بالصلاة على النبي محمد ﷺ، فيقول: 'ثم صلاة الله تترى على المختار والآل ومن يقتفي' مستخدماً لفظ 'تترى' الدال على التتابع والاستمرار، للدلالة على استمرار البركة، ويجمع بين الصلاة على النبي وآله ومن يقتدي بهم، وفي ذلك تأكيد على شمول البركة لكل من يسير على طريق الهدى. ثم يشبه هذا الطريق في البيت الثالث بقوله: 'طريقهم كالبدراهدى من لا سواه اليوم من منصف' حيث يشبه هديهم بالبدراهدى في إشرافه، وينفي وجود منصف سواهم، وهو تعبير بلاغي يُعلي من شأنهم ويُظهر عظمة سيرتهم. ويختم بقوله: 'ودعوة أسأل من فضله أنجوبها من شدة الموقف' في دعاء خاشع يطلب فيه النجاة من أهوال يوم القيامة، وعبر عنها بـ 'شدة الموقف' وهو تعبير قرآني مؤثر يضفي جلالاً على الخاتمة. تتسم الأبيات بفصاحة الألفاظ وجزالة التركيب، واستخدام أساليب بلاغية مثل التشبيه، والتقابل، والتدرج في المعاني من حمد، وصلاة، واتباع، ودعاء، مما يُظهر البناء الفني المتين وروحانية النبوة الشعرية الجيدة.

يبدأ الرحيق المختوم القسم الثالث لأبجد العلوم بدعاء لله سبحانه وتعالى:

فؤادي داع واللسان مترجم ويا رب رحمن فضلك أكرم

وإني لمضطر وصنعي عاقني وهل غير رب العبد للعبد يرحم^١

يبدأ الشاعر بيته الأول بقوله: 'فؤادي داع واللسان مترجم' وهو تعبير بليغ يبين فيه أن الدعاء نابع من أعماق القلب، واللسان لا يؤدي سوى وظيفة الترجمان لما يفيض به الوجدان، وفي هذا

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٣ ص ٣

تصوير لطيف لعلاقة القلب باللسان، فكأن القلب هو المتكلم الحقيقي. ويستأنف بقوله: 'ويا ربّ رحمن فضلك أكرم' حيث يرفع الدعاء إلى الله بأسمائه الحسنى، جامعاً بين 'الرب' و'الرحمن' ما يعكس حاجة الشاعر إلى اللطف والرحمة، ويختم الشطر بطلب الكرم، إذ الفضل وحده لا يكفي إن لم يكن مقروناً بأكرمية العطاء الإلهي، وهي قمة في التعبير عن الرجاء. يطلب المؤلف في هذا البيت فضل الله وكرمه.

يظهر تضرعه في البيت الثاني لله سبحانه وتعالى هكذا: 'واني لمضطر وصنعي عاقني' فيقرر الشاعر أنه في حالة اضطرار، وهو تعبير قرآني («أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...»)، مما يكسب الدعاء طابعاً قرآنياً موجياً، ويضيف أن 'صنعه' - أي أفعاله وتقصيره - قد وقفت عائقاً أمامه، وفي ذلك اعتراف بالتقصير والتواضع. ثم يختم بقوله: 'وهل غير ربّ العبد للعبد يرحم' وهو سؤال بلاغي يحمل في طياته الجواب، بمعنى: لا أحد يرحم العبد سوى ربه، وهو تأكيد توحيدي جميل يقوي الرجاء بالله بعد انقطاع الأسباب البشرية. هذا نموذج دعاء خالص.

وقد نظم صديق حسن خان القنوجي منظومة مرثية طائية، عن شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني الحنبلي، تحت ترجمة حياته، هذه مرثية رائعة لفراقه، ذاع صيتها في الآفاق شرقاً وغرباً، وطلب منه العلماء والفضلاء من البلاد، ولهذا زويت في الرحيق المختوم الجزء الثالث لأبجد العلوم هي كما يلي:

"عثافي عرضه قوم سلاط لهم من نثر جوهره الالتقاط

تقي الدين أحمد خير حبر خروق العضلات به تخاط

توفي وهو محبوس فريد وليس له إلى الدنيا انبساط

ولو حضروه حين قضى لألفوا ملائكة النعيم به أحاطوا

قضى نحبا وليس له قرين ولا لنظيره لف القمات^١

يذكر الشاعر عن الإمام 'تقي الدين أحمد' ويصفه بأوصاف فخمة: عالم بحر، يُنتفع بكلامه كما يلتقط الجوهر النفيس من نثره. يشبه الشاعر علم الإمام بـ 'الجواهر' وخصومه بـ 'السلط' أي المتكبرين أو المتنمرين، لكنهم لا يستطيعون مجارة علمه، بل يلتقطون من علمه كما يلتقط الصغار من الكبار. يصفه بأنه مرجع في حل المعضلات، ومنقذ عند المشكلات، لا رغبة له في الدنيا، بل هو من الزهاد الصادقين. يُبرز صورة وفاته في السجن بصورة مشرفة، حيث تُحيط به ملائكة النعيم، في إشارة إلى منزلته عند الله. ثم يؤكد فريد منزلته العلمية، وأنه وُلد بلا نظير ولا مثيل. ويصف أيضا عن صفاته الجليلة في الأبيات التالية:

"فتى في علمه أضحى فريدا وحل المشكلات به يُنَاط

وكان إلى التقى يدعو البرايا وينهى فرقة فسقوا ولاطوا

وكان الجنّ تفرّق من سطاها بوعظ للقلوب هو السياط

فيا لله ما قد ضمّ لحد ويا لله ما غطى البلاط

هم حسدوه لما لم ينالوا مناقبه فقد مكروا وشاطوا^٢

يشير الشاعر إشارة إلى علم الإمام وفرادته، ثم ينتقل إلى الجانب السلوكي، فيصفه بأنه داعية إلى التقى، محذّر من الفجور. يذم أعداءه الذين ارتكبوا الفواحش، ويعظم أثر الإمام في وعظه

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٣ ص ١٣٥

^٢ المصدر نفسه، ص ١٣٥

حتى 'إن الجن تفرّ من سطاها' أي من شدة مهابته، ووعظه الذي يشبه السياط في قوة التأثير. يتحسر على دفن مثل هذا العلم، ويستعظم أن يكون مثل هذا الشخص قد وُوري في قبر أو غُطّي بالبلاط. يتهم خصومه بالحسد لأنهم لم يبلغوا منزلته، فمكروا به واحترقوا غيظاً، وفي الأبيات التالية يذكر أيضاً عن أوصافه الظاهرة.

"وكانوا على طرائقه كسالى ولكن في أذاه لهم نشاط
وحبس الدر في الأصدف أفخر وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بآل الهاشي له اقتداء فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
بنوا تيمية كانوا فبانوا نجوم العلم ادركها انهباط
ولكن يا ندامة حابسيه فشك الشرك كان به يماط"^١

يعبر الشاعر عن تناقض أعداء الإمام، فهم كسالى عن اتباع الحق، ولكن نشطوا في أذيته. يشبه الإمام بالدرّ الذي يُحفظ في الصدف، وسجنه زاده رفعة. يُجري مقارنة بينه وبين آل البيت الذين ظلموا وماتوا، في اقتداء روجي بمنهج الابتلاء والصبر. ثم يُقارن الإمام ابن تيمية - الذي سُجن رغم علمه - بنجوم العلم التي أفلتت، ويوجّه الخطاب إلى من سجنوه، داعياً إياهم إلى الندم، فقد كانت مواعظه تُزيل الشرك وتكشفه.

"ويا فرح اليهود بما فعلتم فإن الضد يعجبه الخباط
ألم يك فيكم رجل رشيد يرى سجن الإمام فيستشاط

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٣، ص ١٣٥

إمام لا ولاية كان يرجوا ولا وقف عليه ولا رباط

ولا جاراكم في كسب مال ولم يعهد له بكم اختلاط

ففيهم سجنتموه وعظتموه إما لجزا أذيته اشتراط^١

يظهر الشاعر النار على الساكتين عن ظلم الإمام، فيقول إن اليهود يفرحون بما فعلتم، لأنهم أعداء الحق، وما يعجب الأعداء ليس خيرا. يلوم المجتمع الإسلامي على صمته: ألا يوجد منكم رجل رشيد ينتفض ضد هذا الظلم؟ يصف الإمام بأنه لم يسعَ إلى جاه أو مال أو سلطة، ولم يكن له طمع دنيوي حتى يُتهم ويُسجن. يطرح سؤالاً استنكارياً شديد اللهجة: إذا لم يكن له في الدنيا مطمع، فبأي ذنب سجنتموه؟ أم أن جزاء موعظته هو الإيذاء؟ يلوم المؤلف عن الذين سجنوا الشيخ ويعلن مقتته وغيظه عن هذا الفعل الشنيع في الأبيات التالية:

"وسجن الشيخ لا يرضاه مثلي ففيه لقد مرثلكم انحطاط

أما والله لولا كتم سري وخوف الشر لانحل الرباط

وكنتم أقول ما عندي ولكن باهل العلم ما حسن اشتطاط

فما أحد إلى الانصاف يدعوا وكل في هواه له انخراط

سيظهر قصدكم يا حابسيه وننبئكم إذا نُصب الصراط^٢

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٣، ص ١٣٦

^٢ المصدر نفسه، ص ١٣٦

يظهر الشاعر رفضه لمبدأ سجن العلماء، ويرى فيه إذلالاً لمن سجنهم، لا للعلماء أنفسهم. ثم يُلمح إلى أنه يكتف في صدره أقوالاً عن الظلم، خوفاً من بطش الطغاة. يشتكي من أهل العلم، الذين غلبهم الهوى والتعصب، بدل أن يكونوا منصفين،. يختم بالتحذير: نواياكم ستتكشف يوم القيامة، حين يُنصب الصراط، ويحاسب كل ظالم. يذكر الشاعر في الختام عن أعدائهم وأفعالهم.

فما هومات عنكم واسترحتم فعاطوا ما أردتم أن تعاطو

وحلوا وأعقدوا من غير ردّ عليكم وانطوى ذاك البساط.^١

يخاطب النواب خصوم الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية بسخرية مرة: نعم، لقد مات، فافعلوا ما شئتم الآن من تدبير ومكر، فقد فرغتم من خصمكم. ينتقد تقلبهم وفسادهم، فهم من يحلون ويعقدون الأمور بلا رجوع إلى حق أو عدل. يختم بكناية عميقة: 'انطوى ذاك البساط' أي انتهت قصة الإمام في الدنيا، وبدأت قصة الظالمين أمام الله، حيث لا نفع لحيل ولا مكر في يوم القيامة.

الأداء التعبيري في شعره:

التضمين: التضمين لغة جعل الشيء في ضمن الشيء مشتملاً عليه، والتضمين في الشعر أن يضمّن الشاعر شعره بيتاً أو شطراً من الشعر ليس له فيأتي به في آخر شعره أو وسطه متمثلاً

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٣، ص ٣٦

به، والمضمّن من أبيات الشعر ما لم يتم معناه إلا في البيت الذي بعده.^١ أمثلة التضمين في أشعار أبجد العلوم وهي كما يلي:

وصلت حمى بهوبال بانفسُ فانزلي فقد نلت مأمول الفؤاد المعول

ويا حبّذا ساحاتها لك انها نسيم الصبا بريّا القرنفل

تذكرت عهدا بالحمى وبمن به وقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وقد ضمّن عجز من معلقة إمرئ القيس في هذين البيتين وهي: نسيم الصبا جاءت بريّا القرنفل وقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل. هذان العجزان من معلقة إمرئ القيس وهي هكذا:

إذا قامت بضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريّا القرنفل

تذكرت عهدا بالحمى وبمن مضت قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

التشبيه

ويلاحظ الباحث في شعر صديق حسن خان القنوجي تشبيهات وافرة، فيها عن كرم الأميرة وجودها، وتعظيمها للعلماء، ويشبّهها بالشمس والبحر، ويشيد لجودها وكرمها وحسن خلقها وكريم خصالها، حيث يحس الناقد في أبياته حبّ الزواج الصادق لزوجته المحبوبة وشغفها بها وتأثرها بجودها وسلوكها قائلاً:

^١ التوفيق علي مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، الناشر: دار الفكر المعاصر دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ج ١ ص ١٨١ نقلاً عن شعر العربية للأمير صديق حسن خان، لدكتور سعد الله المحمّدي، فصلية ثقافية تراثية، قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، العدد التسعون - ١٤٣٦ هـ ص ١٤٥

^٢ شرح المعلقات السبع، أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزوني، الناشر: دارالكتب الإسلامية لاهور باكستان د. ص ١٠ نقلاً عن شعر العربية للأمير صديق حسن خان، الدكتور سعد الله المحمّدي، المصدر السابق ص ١٤٥

"معاذة أهل الفضل من كلّ حادث ملاذة أعيان العلاّ الأفاضل

مغيثه أرباب الفواضل والحجي الثمالُ اليتامى عصمة للأرامل

هي البحر جودا فيضها شَمِلَ الوري وقد نال معروفها كل سائل

هي الشمس إفضالا يعم نوالها جميع الرعايا من صنوف القبائل^١

وتشبيهه أيضا عن شيخ الإسلام ابن تيمية في منظومة مرثية في أسلوب رائع وهي كما يلي:

وحبس الدر في الأصدف أفخر وعند الشيخ بالسجن اغتباط^٢

في هذا البيت شبه الأمير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بالدرّ في الصدف.

مظاهر الصور التقليدية

يحتوي شعر النواب على كثير من الصور التقليدية، منها البكاء على الأطلال واستيقافها، هي

ظاهرة فكرية معروفة في الشعر العربي القديم، حيث كان الشاعر يقوم ويستوقف أصدقاءه

على أطلال حبيبته ليتذكر الأيام السعيدة.

"قفوا أخبرونا من يقوم مقامها ومن ذا يردُّ الآن لهفة سائل

قفوا أخبرونا هل لها من مُشابه قفوا أخبرونا هل لها من مُشاكل^٣

الأماكن التاريخية والشخصيات التراثية:

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١ ص ٩

^٢ المصدر نفسه، ص ١٣٥، ١٣٦

^٣ المصدر نفسه، ص: ٩، ١٠

وصلت حمى بهوبال بانفس فانزلي فقد نلت مأمول الفؤاد المعول^١

يذكر عن مدينة بهوبال في ولاية ماديا براديش تعني بلاد الوسط، هي مدينة مشهورة في الهند

أفاضت فيوضا أخلجت جود حاتم أسالت إلينا هاطلا بعد هاطل.^٢

يذكر في هذا البيت مدحا عن مجد زوجته شاه جهان بيكم، استحيت بذلك جود. حاتم الطائي
'هومعروف بالجود والسخاء والكرم في الجاهلية.

أغراض الشعر

تناول صديق حسن خان القنوجي عدة أغراض الشعرية التقليدية وهي: أولا: المدح ثانيا: الغزل
ثالثا: الرثاء، رابعا: الزهد والوعظ، خامسا: الوصف، سادسا: الشكوى والعتاب. غرض هذه
القصيدة هو مدح النبي صلعم وثنائه.

المدح:

يمدح عن وفرة جود حاكمة شاه جهان بيكم، وسعة كرمها وعظمة شرفها في الابيات التالية.
ويقول ليس لها مثيلة فيها، قد غلبت على حاتم الطائي الذي ذاع صيته في الأفاق في المجد والكرم
والصدقة .

أفادت كرامات بهمتها التي لها ليس مثلا عند كل مماثل

أفاضت فيوضا أخلجت جود حاتم أسالت إلينا هاطلا بعد هاطل

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١ ص ٩: ١٠

^٢ المصدر نفسه، ص ٩: ١٠

قفوا أخبرونا من يقوم مقامها ومن ذا يردُّ الآن لهفة سائل

قفوا أخبرونا هل لها من مُشابه قفوا أخبرونا هل لها من مُشاكل

فما هي إلا رَحمةٌ مُستطابةٌ تعمُّ البرايا من غنيّ وعائل

أدام لها ربُّ البرايا مكارما تقصّر عنها كلّ حاف وناعل

وزاد لها الإقبال إقبال عزةً وكان لها عوناً لدى كل نازل^١

تظهر جمالية المدح في هذه الأبيات في أسلوبها الرفيع وصورها البلاغية المؤثرة، حيث يبرز الشاعر تفرد الممدوحة في مكارمها وهمّتها، نافيا وجود أي مثل لها، ومفضلا جودها على جود حاتم الطائي، رمز الكرم العربي، في صورة بديعية تجعل جوده خجلا متواريا. كما يُشبه عطاياها بالمطر الهاطل المتتابع، دلالة على غزارة الكرم وديمومته. ويعزز الشاعر هذا التفرد بالاستفهام الإنكاري والتعجبي في قوله 'قفوا أخبرونا'، ليؤكد أنه لا نظير لها، ثم يسمو بالمدح حين يصفها بأنها 'رحمة مستطابة' تعم الجميع، غنهم وفقيرهم، مما يُضفي على مدحه طابعا إنسانيا وروحانيا، ويختتم الشاعر بالدعاء لها بالمكارم والإقبال والشكر والامتنان.

الرثاء

وقد نظّم النواب برثاء شيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ. في هذه المنظومة يرثي فيها وفاته في السجن ويذكر مكانته العلمية ومآثره الحميدة، هذه قصيدة بديعية رائعة يشيد فيها بعلمه

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص: ٩، ١٠.

الوافر وقوة ذاكرته العميقة، ومهارته ونبوغه من حلّ المسائل الدينية، ويرثي على وفاته حبيسا وحيدا.

عثافي عرضه قوم سلاط لهم من نثر جواهره الالتقاط

تقي الدين أحمد خير حبر خروق العضلات به تخاط

توفي وهو محبوس فريد وليس له إلى الدنيا انبساط

ولو حضروه حين قضى لألفوا ملائكة النعيم به أحاطوا

قضى نحبا وليس له قرين ولا لنظيره لف القمط

فتى في علمه أضحى فريدا وحل المشكلات به يُنَاط

والناظر في هذه الأبيات يجد رثاء شعريا لعالم جليل هو تقي الدين أحمد، وفيها يظهر الشاعر مشاعره الفياضة من الحزن والإكرام تجاه الممدوح بعد وفاته. وقد جاء الرثاء بلغة جزلة وصور بلاغية رفيعة. يُجسّد الرثاء في هذه الأبيات مزيجا رفيعا من الحزن النبيل والإجلال الصادق، حيث يتناول الشاعر فقد عالم فدّ هو تقي الدين أحمد، لا بوصفه مجرد راحل، بل كنموذج للعلم والفضل والورع. تنبض الأبيات بعاطفة صامته متزنة، فلا تذرف دموعا، بل ترفع مقام الميت بالمدح، إذ تصوره فريدا في علمه، مرجعا في حلّ العضلات، محاطا عند وفاته بملائكة النعيم، وهي صورة روحانية سامية. كما تبرز في الرثاء فكرة التفرد منذ المولد حتى الممات، بانعدام النظير والمثيل. يغدو الرثاء هنا أداة لتخليد القيم العلمية والروحية، في قالب لغوي جزيل، يمزج بين فخامة اللفظ وسمو المعنى، ما يمنح النص أبعادا تتجاوز التأبين إلى التقديس الأدبي للممدوح. هذا أسلوب فريد يتفرد به الشاعر صديق حسن خان القنوجي.

ويشبهه في سجنه كأنه درّ نفيس وضع في الأصداف، كما يقول في الأبيات التالية:

"وحبس الدر في الأصداف أفخر وعند الشيخ بالسجن إغتياب"^١.

يستذكر صديق حسن خان القنوجي عن رؤية رسول صلعم في منامه، يظهر فرحه وسروره في ذلك، وقرض شعرا في أبيات مطلعها:

رأيت رسول الله في النوم ليلة وقد كنت مشتاقا إليه متيما^٢

يعكس في هذا البيت لحظة روحية شفافة، حيث يُنبئ الشاعر عن رؤيته لرسول الله ﷺ في المنام، وهي رؤية لها مكانة خاصة في الوجدان الإسلامي، إذ تُعدّ بشرى ورحمة، خاصة لمن كان قلبه عامرا بالمحبة. تبدأ الصورة بالفعل 'رأيتُ'، لتبرز وقوع الحدث في زمن خاص هو 'النوم'، وفي ظرف أخص هو 'ليلة'، مما يمنح الموقف طابعا حُلُميا مقدّسا. ثم تأتي الجملة الثانية لتكشف عن الحالة النفسية للشاعر: 'وقد كنت مشتاقا إليه متيما'، فالشوق هنا لا يصف عاطفة سطحية، بل يتصاعد إلى 'التيّم'، وهو ذروة العشق وانعدام التماسك أمام المحبوب. وبهذا تكتمل صورة المحبة النبوية في أقصى حالاتها: رؤيا نتيجة لحبٍ صادقٍ ذائب، تجسد ما في النفس من صفاء روحي، وتُعبّر بلغة بسيطة وشفافة عن تجربة إنسانية عالية المقام، يتداخل فيها الحب بالدين والعاطفة بالإيمان والصدق في التعبير.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٣، ص ١٣٥، ١٣٦

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٧١

الفصل الثاني

الخصائص الفنية في الحكم والأمثال في أبجد العلوم

الحكم والأمثال تعكس خلاصة الحكمة البشرية وتجارب الحياة، وهي تساعد على نقل الخبرات والتجارب من جيل إلى جيل، تساهم دعماً نفسياً ومعنوياً للأفراد، ولها أثر بالغ في المجتمع لأنها تعتبر وسيلة قوية للتوجيه والإرشاد والتعليم، وتحقيق التعبير عن الأفكار العميقة بأسلوب موجز وكلمة رائعة، لها دور حاسم في تعزيز القيم الإنسانية وتلطيف الجو الاجتماعي عبر العصور. ولهذا اعتنتها الأمم في كل عصر و مصر.

"الهنود أمة حكم وأمثال لم تكفهم ألسنة البشر حتى صاغوا حكمهم على لسان الطير والحيوان، وصدورها إلى العالم من حولهم فقلدتها الأمم. وفارس كالهند أرض حكمة وفلسفة من قديم الزمان، وقد امتزجت حكمة العرب بحكمة فارس قبل دخولها شبه القارة لتتزوج بما على أرضهم من حكمة. لكن ذلك لم يظهر في الأدب العربي في منطقتنا بشكل بارز، ذلك أن هذا الأدب كان مقطوع الصلة بأرض الواقع ولم تنم جذوره بين الشعب ولهذا قل فيه فن الأمثال والحكم."^١

الفرق بين الحكم والأمثال

الحكم والأمثال هما نوعان من الأدب القصير يحملان معان عميقة ومفيدة، ولكنهما يختلفان في عدة جوانب، فيما يلي توضيح للفرق بينهما. "المثل مستمد من الواقع خيره وشره، والحكمة

^١ الدكتور/أحمد إدريس، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م ص ١٨٩

مستمدة من خبرة قائلها وحنكته. المثل يؤخذ من الحياة نفسها. الحكمة تعبر عن نظرة قائلها نحو الحياة. المثل له مورد وله مضرب، وليس ذلك مطردا. الحكمة قول مأثور صادر عن حكيم، أو بليغ، خبر الحياة خيرها وشرها، وهي في الوقت ذاته تعني التعرف على حقائق الأشياء ومسبباتها. في الحكمة تخير في الألفاظ ونظمها. الحكم ليست تعبيراً عن الذات بقدر ما هي تعبير عن خلاصة تجربة عبر عنها لتصلح أن تكون نبراساً لغير زمان ومكان، وهي تجارب مدروسة وخلاصة محكمة.^١

وبالجملة تفترق الحكمة عن المثل في الغرض والمصدر. يمكن أن تكون بعض الأمثال تصلح كشعارات شعبية أو شخصية لمدى قربها من روح الفرد ومجتمعه بسبب نبوعها من المجتمع، يمكن أن نكتب شعراً يحتوي على مثل ولكن لا يتجاوز البيت، وغالباً يكون له طابع الوعظ المباشر؛ على عكس الحكمة التي يمكن أن تكون مناقشة ومشاركة في الخبرات، هي مستمدة من التراث الشعبي، الأدباء والعلماء ينقلونها من جيل إلى جيل على مر العصور.

الحكم في أبجد العلوم

تلوح في موسوعة 'أبجد العلوم' لصديق حسن خان القنوجي حكمة بالغة، حيث تأتي الحكم فيه في أسلوب جذاب، تجمع بين التنظير العلمي والتهذيب الأخلاقي. وقد أضاف المؤلف موسوعته جملاً تشتمل صفاء الفكر، وقوة العبارة، وتوازن المعنى، مما يمنح هذه الحكم طابعاً رائعاً خلافاً.

^١ أمين عبد الله محمد اليزيدي، الخصائص الفنية في الحكم والأمثال العربية دراسة تحليلية تطبيقية على كتاب مجمع الأمثال للميداني، جامعة النيلين جامعة الدراسات العليا كلية الآداب قسم اللغة العربية، ٢٠٠٥ م ص ٣٣

الحكم من الأحاديث النبوية

في أبجد العلوم نجد حكما من سنة النبي صلعم، منها ما يأتي:

"وعن ابن عباس قال: (تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائه.. رواه الدارمي. وفي حديث ابن عمر ومرفوعا: إنما بعثت معلما، رواه الدارمي. وعن الأعمش مرفوعا: "آفة العلم النسيان، رواه الدارمي مرسلا".^١

إذا كان هناك حديثا ضعيفا يشير المؤلف "وكان ذلك مصلحة عظيمة وفكرة في الصواب مستقيمة، فرأوا ذلك مستحبا بل واجبا لقضية الإيجاب المذكور مع قوله-صلى الله عليه وسلم - العِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدٌ قِيدُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى علومكم بالكتابة. الحديث. قلت: ولعل هذا الحديث لم يصح".^٢

تبرز الأحاديث النبوية الجليلة الواردة في هذا السياق نماذج راقية من البيان العربي، فهي تظهر ملامح بلاغية وأدبية بارزة كالإيجاز البليغ والتصوير الفني والإيقاع اللفظي. ففي قوله: 'تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائه' نجد أسلوب المقارنة لتبيين فضل العلم، وفي 'إنما بُعثت معلما' أسلوب قصر يدل على شرف التعليم، أما 'آفة العلم النسيان' فهي عبارة حكمية قصيرة تصور النسيان كداء يهلك العلم، مما يضيفي على الحديث طابعا تصويريا قويا. وتأتي عبارة 'العلم صيد والكتابة قيد' في غاية الجمال البلاغي، إذ تشبّه العلم بصيد نادر والكتابة بقيد يحفظه، مع توظيف السجع والتمثيل في آن واحد، مما يمنح الكلام إيقاعا وجاذبية. هذه

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١ ص ٩٧

^٢ المصدر نفسه، ص ١٧٨

الأحاديث، بما تحمله من فصاحة ودقة تصوير وإحكام في المعاني، هذه الأحاديث الشريفة تعكس الأسلوب الفني الأدبي.

حكم الفلاسفة والعلماء

ولم يكتف المؤلف الحكم من القرآن والحديث فحسب، بل نقل في الأبواب والفصول بأسلوب بديع، يذكر في الإعلام الرابع تحت عنوان 'في مراتب العلوم من التعليم' حكمة بالغة وقاعدة عظيمة منها: "ولا يخفي أنه يقدم الأهم فالأهم فيه، والوسيلة مقدمة على المقصد، كما أن المباحث اللفظية مقدمة على المباحث المعنوية، لأن الألفاظ وسيلة إلى المعاني. ويقدم الأدب على المنطق ثم هما على أصول الفقه ثم هو على الخلاف." في العبارة 'والوسيلة مقدمة على المقصد' مقابلات لفظية وردت في ترتيبه لمراتب العلوم، لتدل على أن الأبواب التي توصل إلى المقاصد يجب تقديمها لأنها الوسائل، ولا يمكن بلوغ المعنى دون ضبط اللفظ.

قوله: "أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن. فإن العلائق شاغلة وصارفة، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق، ولذلك قيل: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر. والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ الزرع." ^٢ هذه الفقرة العظيمة حاوية الاقتباس والحكمة والتشبيه وغيرها.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ١٠٨

^٢ المصدر نفسه، ص ١٢٤

والناظر في نثر الأمير يدرك أنه متضمّنة من الحكم الرائعة، مثالا: يقول في آداب المتعلم ووظائفه. "أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودّة ولا نوعا من أنواعها إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته، ثم أن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية، فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض. ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله، فإن الناس أعداء ما جهلوا."^١

وأیضا أورد الأمير حكم الصحابة والتابعين وغيرهم. مثلا روى قول علي رضي الله عنه لإخبار أهمية طلب العلم. "أن لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله. فإن العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا وبعضها طُرق إلى بعض، والموفق من راعي ذلك الترتيب والتدرّج. وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقى إلى ما هو فوقه. وينبغي أن يعرف الشيء في نفسه فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص، ولذلك قال علي رضي الله عنه: ولا تَعْرِفُ الْحَقَّ بالرجال. اعرف الْحَقَّ تعرف أَهْلَهُ."^٢

العبارة الآتية ولا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله، حكمة منسوبة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تدعو إلى اتباع الدليل لا الأشخاص، وهي مبدأ أصيل في المنهج العلمي القائم على البرهان. أوردتها القنوجي لتعليم طلابه التجرد والتثبت، وأن المعرفة لا ترتبط بالأسماء بل بالدلائل.

ومن قول علي رضي الله عنه أيضا: "أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، ولا يلقي إليه مالا يبلغه عقله كلموا الناس على قدر فينفره أو يخبط عليه عقله كما قيل: كَلِّمُوا النَّاسَ على قدر عقولهم. وأشار علي عليه السلام إلى صدره وإن ههنا لعلوما جَمَّة لو وجدت لها حملة."^٣

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ١ ص ١٢٥

^٢ المصدر نفسه، ص ١٢٦

^٣ المصدر نفسه، ص ١٢٩

يروي في الفصل حالة العلماء حكما دون أن يذكر أصحابه: "اعلم أن العلم له حقائق لغوية: وهو ضد الجهل. واصطلاحية: وهي كما قيل: من جمع بين علم المعقول والمنقول. وكما قيل: من تمكن من إثبات المسائل بأدلتها عن علم وثبت وعرفية: وهي كل من اشتغل بتحصيل العلم ولو كان على جهة التقليد أو الشروع في التحصيل. فيطلق العالم على من تعلم النحو والصرف أو الفقه أو جميعها، وليس مرادي إلا من تمكن من إثبات المسائل بأدلتها عن علم وثبت، فيشمل من عرف جميع الآلات وعرف الكتاب والسنة فإنه يتمكن من إثباتها على ذلك الوجه." وفي هذه الفقرة لم يذكر المؤلف ممن روي عنه هذه الحكمة.

"فإذا عرفت هذا علمت أن العلم من أشرف المطالب لا يساويه مساو ولا تبلغ غايته غاية ولا فضيلة سواه. ولقد صدق القائل: من فاته العلم ماذا أدرك، ومن أدرك العلم ماذا فاته قال الشافعي: إذا لم يكن العالم العامل وليا فما لله ولي."^٢

وأيضاً: "أن يصون العلم عما يدنسه، فالعلم جوهر شفاف نوري يكدره أدنى مكدر ويذهب برونقه أيسر شيء، وما ذاك إلا لشرفه، ولذا قيل: إن عيب ذي الشرف مذكور وعيب الجاهل مغمور فيصير عند كل راءٍ وسامعٍ أضحوكة وسخرية، فكيف بمن علم تحريم المحرمات كالخمر والزنا والربا وأكل أموال الناس بالباطل والارتشاء ثم أقدم على أحدها فهل تكون لعلمه فائدة وهل تصير له ثمرة، وهل كان إلا نكالا ووبالا وسببا لهلاكه."^٣

١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١ ص ١٣٤

٢ المصدر نفسه، ص ١٣٦

٣ المصدر نفسه، ص ١٤٧

بعد ذكر حالة العلماء يقول عن سلوك طلاب العلم: "أن يعظم شيوخه ويجلهم ويكون لهم بمثابة الرقيق فقد قيل. وإن للشيخ حقا مثل ما للأب، بل أزيد لأن الشيخ سبب الحياة الدنيوية والأخروية والأب إنما هو سبب الحياة الدنيوية فقط، والعلم حياة والجهل موت، وقد قيل في تفسير الآية يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي أن المراد يتخرج العالم من الجاهل والجاهل من العالم." وفي هذه الحكمة استشهد المؤلف بتفسير الآية الكريمة تأييدا لحكمته.

وأیضا نرى أن المؤلف ضمّن في الفقرة أكثر من واحد مثلا: "ويسافر في طلب الأستاذ إلى أقصى البلاد إن لم يكن ببلده الذي يسكن فيه، ويقال: أول ما يذكر من المرء أستاذه، فإن كان جليلا جل قدره، فإذا وجده يلقي إليه زمام أمره ويذعن لنصحه إذعان المريض للطبيب. ولا يستبد بنفسه اتكالا على ذهنه، ولا يتكبر عليه وعلى العلم ولا يستنكف، لأنه قد ورد في الحديث: من لم يتحمل ذلّ التعلم ساعة بقي في ذلّ الجهل أبدا." ٢

وفي الجملة التالية أيضا: "ومن الشروط المعتبرة في التحصيل المذاكرة مع الأقران ومناظرتهم، كما قيل: العلم غرس وماؤه درس ولكن طلبا للثواب وإظهارا للصواب، وقيل: ومطارحة ساعة خير من تكرار شهر." ٣

وفي السحاب المركوم القسم الثاني لأبجد العلوم حكما ولكن قليلة نادرة. منها: "واذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه وإذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام العرب

١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١ ص ١٥٠

٢ المصدر نفسه، ص ٢٤٢

٣ المصدر نفسه، ص ٢٤٣

فإن كلامهم واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة، ألا ترى أن قولهم زيد جاءني مغاير لقولهم جاءني زيد من قبل أن المتقدم منهما هو الأهم عند المتكلم.^١

في المنظر الثالث "في شرائط تحصيل العلم وأسبابه" في الفتح الرابع: "ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق وقد قيل: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك" فإذا أعطيته كلك فنت على خطر من الوصول إلى بعضه.^٢ 'العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك' مثل تربوي يدل على أن تحصيل العلم لا يتحقق إلا بالبذل الكامل من الجهد والتفرغ والنية. أتى به القنوجي في معرض حديثه عن التفرغ لطلب العلم، وأن تشتيت الذهن بين العلائق الدنيوية يصرف عن إدراك الحقائق والمعارف.

الأمثال

المثل فن من الفنون الأدبية، وهو نوع جذاب من حيث أنه يخلب النفوس الإنسانية، ويميل إليه الفطرة السليمة، وله علاقة وثيقة للمجتمع الإنساني، وقد ذكر في القرآن الكريم كثير من الأمثال.^٣ وفي موسوعة أبجد العلوم الأمثال متوفرة في الأبواب والفصول. ومن قوله: "ومنها ذم جاهل متعالماً لجهله إياه، فإن من جهل شيئاً أنكره وعاداه كما قيل: المرء عدو لما جهله أو ذم جاهل متعالماً لتعصبه على أهله بسبب من الأسباب، فإنك تسمعهم يقولون بتحريم المنطق مع كونه ميزان العلوم."^٤ 'المرء عدو لما جهله' هذا مثل عربي سائر يشير إلى أن الإنسان بطبعه

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج ٢، ص ١٣٠.

^٢ المصدر نفسه، ج ١ ص ٢٤١.

^٣ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة-

الكويت، ٢٠٠٩م ص ١٩.

^٤ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ١٠٦.

يعادي ما يجهله، لأن الجهل يولد النفور وسوء الظن. وقد استخدمه القنوجي في سياق ذم من يهاجم علما لم يدرسه أو يتعصب ضده لجهله به، كمن يحرم المنطق دون علم به، وهو بذلك يعزز الانفتاح العقلي على العلوم. نسبت هذه الحكمة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

يحفز المؤلف الدارسين في طلب العلم ويدرسهم قيمة الاستمرارية فيه. "وفيه أن زمان الطلب من المهد إلى اللحد، وإن عاقبة طلب العلم الجنة. وهذه بشارة وأي بشارة لمن يعلم أو يتعلم. جعلنا الله من أهليه وحشرنا في زمرة ذويه." ^١ هذا مثل ثائر بين الناس منذ قديم الزمان.

نجد في هذا المثل 'من المهد إلى اللحد' أثر بالغ في النفوس. يُستخدم للتعبير عن الاستمرارية والملازمة مدى الحياة، ويقصد به أن بعض الأمور، وعلى رأسها طلب العلم، لا يتوقف عند عمر معين، بل يجب أن يستمر مع الإنسان من ولادته (المهد) حتى وفاته (اللحد). وقد يُستأنس له بقول النبي ﷺ: اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد، وإن كان هذا الحديث لا يصح من جهة الإسناد، إلا أن معناه صحيح ومقبول، ويشهد له عموم النصوص الشرعية، أثره الأدبي: المثل يقوم على طباق بين 'المهد' و'اللحد'، أي البداية والنهاية، وهو أسلوب بلاغي يزيد المعنى قوة وتأكيذا. كما أن فيه تجسيدا للزمن الكامل لحياة الإنسان، مما يعطي للمثل وقعه القوي في النفس، وأثر خلايا في السامعين.

ويذكر أيضا في علم الملاحم 'المثل السائر': "بل الذي يجب على كل مؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن يستعلم حكم الفتن قبل الابتلاء بها من السنة كما قيل: أعط القوس باريها، ولا منجأ

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ٩٥.

من حوادث الدنيا لأحد كائناتنا من كان ولا ملجأ له إلا من الله تعالى وهو الذي يتولى الصالحين من عباده ويأمنهم من المخاوف والهلكة في أرضه وبلاده وبالله التوفيق.^١

‘أعطِ القوس بارئها’ مثل سائر تناقلت العرب من جيل إلى جيل، يستخدمه القنوجي في باب العلوم وتوزيع التخصصات، وهو دعوة لتسليم العلم وأهله مقاليد التعليم، لا لمن يتطفل على غير فنه. يدل على احترام التخصص وأهمية إسناد المهام إلى من يُحسنها. يضرب هذا المثل في إعطاء العمل لمن يتقنه.

وفي الجملة التالية نجد المثل. ‘ولابد من المذاكرة والمناظرة والمطارحة، لكن بالإنصاف والتأني والتأمل دون الشغب والغضب، وهي أقوى من فائدة مجرد التكرار وقيل: مطارحة ساعة خير من تكرار شهر.’^٢ هذه العبارة الآتية: ‘مطارحة ساعة خير من تكرار شهر’ مثل تربوي شائع استخدمه القنوجي ليؤكد أن مناقشة المسائل العلمية ومذاكرتها مع الأقران لها أثر أقوى من التكرار الفردي، إذ توقد الذهن وتحرك الفهم، بخلاف التكرار الآلي. هذا مثل رائع أيضا.

ونقل أيضا أقوال علماء البارزين وأعلام الرائدة منها ما يلي: “ويزيد كل يوم كلمة وقد قيل: السبق حرف والتكرار ألف. قال الأستاذ شرف الدين العقيلي: الصواب عندي في هذا ما فعله مشائخنا، وإنهم كانوا يختارون للمبتدئ صغارات المبسوط لأنه أقرب إلى الفهم والضبط وأبعد عن الملالة وأكثر وقوعا بين الناس، قيل: حفظ حرفين خير من سماع وقرئين، وفهم حرفين خير من حفظ وقرئين، فينبغي أن لا يتهاون في الفهم.”^٣

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم، ج ٢، ص ٥١٩

^٢ المصدر نفسه، ج ١ ص ١٣٢

^٣ المصدر نفسه، ص ١٣١

هذه العبارة الآتية 'السبق حرف والتكرار ألف' مثل يعبر عن قيمة البداية الصغيرة والمواظبة الطويلة، فبداية الطريق خطوة بسيطة، لكن ثماره بالتكرار والمثابرة. استشهد به القنوجي لتشجيع طلابه على الاستمرار وعدم التهاون. وأيضاً المثل 'حفظ حرفين خير من سماع وقرئين، وفهم حرفين خير من حفظ وقرئين، فينبغي أن لا يتهاون في الفهم'. يدل على أهمية الحفظ في الدراسة.

الفصل الثالث

جماليات التوظيف الاستشهادي في النصوص

أورد صديق حسن خان القنوجي في أبجد العلوم استشهادات عديدة، فقد زوّد فيه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحكم والأمثال فضلا عن الأشعار، بغرض تأييد مفاهيمه العلمية والأدبية. وهذه الشواهد لم تكن حليا لفظيا فحسب، بل جاءت تأتي تثبيتا للآراء وتدعيما للأحكام، فأنعشت الفكر، وهيأت القريحة، وقربت المعنى إلى الأذهان، ولا سيما في موسوعة أبجد العلوم في دوائر العلوم والفنون التي ظلت ولا تزال منهلا للعلماء والباحثين. وقد انتهج القنوجي فيها نهجا خاصا انفرد به الموسوعيين من قبله ومن بعده، فجاء كتابه جامعا لمباحث دينية و فلسفية ولغوية، مستدلا بالأدلة القاطعة والحجج الباهرة. قد وظّف القنوجي هذه الاستشهادات توظيفا مزدوجا معرفيا وجماليا.

الشواهد في اللغة والاصطلاح:

يقول ابن منظور: (قال ابن سيدة. الشاهد، العالم الذي يبين ما علمه، شهد شهادة. والشهادة خبر قاطع يقول فيه: شهد الرجل على كذا، وشهد الشاهد عند الحاكم أي بين ما يعلمه وأظهره، والمشاهدة المعاينة^١)

^١ ابن منظور، لسان العرب ٤/ ٢٣٤٨ نقلا عن الشواهد القرآنية في شرح ابن بابشاذ لمقدمته المحسبة دراسة نحوية لعدنان بن ناصر الملحم، جامعة الملك فيصل -كلية التربية قسم اللغة العربية، ١٤٢٧ هـ ص ٣٢

أولاً: الشواهد القرآنية

استدلّ الأمير بالآيات القرآنية الكريمة في تقرير كثير من القضايا العلمية، فمن ذلك ما قاله في تعريف العلم: "ثم اعلم أنّ محل العلم الحادث سواء كان متعلقاً بالكليات أو بالجزئيات عند أهل الحق غير متعين عقلاً، بل يجوز عندهم عقلاً أن يخلقه الله تعالى في أي جوهر أراد من جواهر البدن لكن السمع دل على أنه القلب، قال الله تعالى: (فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) وقال: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)."^١

و ردّ الكاتب على من أنكر بقاء العلم والعقل بعد الموت في الجنّة، مستدلاً بالآيات النيرة، بقوله: "وما يذكرونه من حالهم الذي كانوا عليه في أهلهم بل ما يودونه من إبلاغ الأحياء عنهم ما صاروا فيه من النعيم قال: (يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) وورد مثل هذا المعنى في القرآن الذي رفع لفظه من المصحف."^٢

أكد القنوجي فضل العلم وعلو مرتبته بآيات متعددة منها: "واكتفيت مما ورد فيه من الآيات والأخبار بالقليل لشهرته وقوة الدليل. قال الله تعالى: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) وقال تعالى: قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال تعالى: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط). فانظر كيف ثلث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وإجلالاً ونبلاً."^٣

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١ ص ١٤

^٢ المصدر نفسه، ١٦

^٣ المصدر نفسه، ص ٩١

يقول عن آداب المتعلم والمعلم في الإعلام الثامن "وينبغي أن يثبت ويصبر على أستاذ وعلى كتاب حتى لا يتركه أبتر، وعلى فنّ حتى لا يشتغل بفنّ آخر قبل أن يتقن الأول، وعلى بلد حتى لا ينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة، ولا ينال ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره. ولا بد لطالب العلم من الجد والمواظبة والملازمة، وإليه الإشارة في القرآن الكريم (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) و (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) قيل: اتخذ الليلَ جملاً تدرك به أملاً. ويواظب على الدرس والتكرار في أول الليل وآخره، فإن ما بين العشاءين و وقت السحر وقت مبارك، والكسل من قلة التأمل في مناقب العلم وفضائله.^١ ففي هذه الفقرة دعا إلى الصبر والمثابرة في سبيل طلب العلم مستشهداً بقول الله عزّ وجلّ.

وعقب بقوله. "أن يعظم شيوخه ويجلهم ويكون لهم بمثابة الرقيق فقد قيل: إن للشيخ حقاً مثل ما للأب، بل أزيد لأن الشيخ سبب الحياة الدنيوية والأخروية والأب إنما هو سبب الحياة الدنيوية فقط؛ والعلم حياة والجهل موت، وقد قيل في تفسير الآية (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ). إنَّ المراد يخرج العالم من الجاهل والجاهل من العالم.^٢ في هذه الآية الكريمة أبرز المؤلف فضل العلم والعالم والمتعلم.

ثانياً: شواهد الأحاديث النبوية

استشهد الأمير في الكتاب عدداً من الأحاديث النبوية، وهي مستفيضة في الأبواب والفصول، ينقل الأحاديث حين يبين عن مراتب العلم وشرفه وما يلحق به. ومن أبرز ما استشهد به: "وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سلك طريقاً

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ١٣١

^٢ المصدر نفسه، ص ١٥٠

يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر « رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة والدارمي.^١ احتج القنوجي هذا الحديث عن بيان فضل العالم ودرجته عن غيرهم.

واعتمد أيضا الحديث النبوي، بقصد تقوية البرهان وتأکید المعنى. يقول عن فضل العلم وثوابه: "وعن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من طلب العلم فأدركه كان له كفلان من الأجر فإن لم يدركه كان له كفل من الأجر « رواه الدارمي. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله عز وجل أوحى إلي أنه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريق الجنة، وفضل في علم خير من فضل في عبادة، وملاك الدين الورع... رواه البيهقي في (شعب الإيمان).^٢ هذا الحديث يدل أن من دخل في سبيل طلب العلم يسر الله له طريقا إلى الجنة.

يذكر أيضا عن مكارم الأخلاق لطلاب العلم ومحاسنهم، ينبغي عليهم التحلي بها، وهي اثنا عشر أمورا منها: "أن يبذل نفسه ووسعه ويفرغ أوقاته لمن أراد التعلم عليه، وينصح الطالب ويلقي عليه ما يجب عليه من الفوائد والنكت إن كان أهلا لذلك، ويعرفه ما هو الحق والصواب وما يجب عليه اتباعه واجتنابه. فما فائدة العلم والتعليم سوى ذلك، ولم يجب علينا طلب العلم

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١ ص ٩٣

^٢ المصدر نفسه، ص ٩٧

إلا للإفادة به لمن طلبه، والعالم يكون كالشاهد لكونه قد عرف، والطالب يكون كالغائب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (البلغ الشاهد الغائب). ثم إن له على التعليم الأجر العظيم والمقام الكريم.^١

استدل أيضا الحديث النبوي في عنوان 'في أهل الإسلام وعلومهم' في الإشارة الثانية. يذكر عن أهمية الكتابة والتأليف. "ولما انتشر الإسلام واتسعت الأمصار وتفرقت الصحابة في الأقطار، وحدثت الفتن واختلاف الآراء وكثرت الفتاوى والرجوع إلى الكبراء، أخذوا في تدوين الحديث والفقه وعلوم القرآن، واشتغلوا بالنظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط وتمهيد القواعد والأصول، وترتيب الأبواب والفصول، وتكثير المسائل بأدلتها، وإيراد الشبه بأجوبتها، وتعيين الأوضاح والاصطلاحات، وتبيين المذاهب والاختلافات. وكان ذلك مصلحة عظيمة وفكرة في الصواب مستقيمة، فرأوا ذلك مستحبا بل واجبا لقضية الإيجاب المذكور مع قوله - صلى الله عليه وسلم - (العِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدٌ قَيْدُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى علومكم بالكتابة) الحديث. قلت: ولعل هذا الحديث لم يصح.^٢ إذا كان الحديث ضعيفا يشير المؤلف في آخره.

ووضّح أنّ من أهم شروط طالب العلم الإخلاص وحسن النية، استدل المؤلف الحديث لتأييد آراءه في المنظر الثامن 'في شرائط تحصيل العلم وأسبابه'. إلى قوله: "ومنها الإخلاص في مقاساة هذا المسالك، وقطع الطمع عن قبول أحد. فيجب أن ينوي في تعلمه أن يعمل بعلمه الله تعالى، وأن يعلم الجاهل، ويوقظ الغافل، ويرشد الغوي، فإنه قال عليه السلام: (من تعلّم العلم لأربع

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١ ص ١٤٨، ١٤٩

^٢ المصدر نفسه، ص ١٧٩

دخل النار. ليباهي به العلماء، وليماري به السفهاء، ويقبل به وجوه الناس إليه، وليأخذ به الأموال).^١

الشواهد الشعرية

أتى صديق حسن خان القنوجي بالشواهد الشعرية كثيرة في أبجد العلوم. منها في الإعلام الثاني في كون العلم ألد الأشياء وأنفعها. يقول عن فضل العلم و جلب الخير و ذهاب الضر. استشهد لذلك البيت الآتي:

العلم زين وكثر لا نفاد له نعم القرين إذا ما عاقلا صحبا^٢

وفي مسألة 'علم الكيمياء' استدلل المؤلف ماقاله الغزي:

كجوهر الكيمياء ليس ترى من ناله والأنام في طلبه^٣

وفي 'علماء المعاني والبيان' حينما يبين عن هذا العلم، أتى المؤلف بالشاهد البيت الآتي:

وعين البغض تبرز كل عيب وعين الحب لا تجد العيوب^٤

الشواهد من الحكم والأمثال

لم يكتف القنوجي للاستشهاد على النصوص الدينية فقط، بل استعمل أيضا الحكم والأمثال التي ترسخ المعاني في ذهن المتعلمين. فهو لتأييدا لرأيه و تأكيدا لموقفه، وهي متناوبة متناثرة في

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١ ص ٢٤٠، ٢٤١

^٢ المصدر نفسه، ص ١٠٣

^٣ المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٦٠

^٤ المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٨

أبجد العلوم، مثل قوله. "ومنها ذم جاهل متعالم لجهله إياه، فإن من جهل شيئاً أنكره وعاداه كما قيل : المرء عدو لما جهله أو ذم جاهل متعالم لتعصبه على أهله بسبب من الأسباب، فإنك تسمعهم يقولون بتحريم المنطق مع كونه ميزان العلوم."^١

وقوله أيضاً: "أن يعظم شيوخه ويجلهم ويكون لهم بمثابة الرقيق فقد قيل . وإن للشيخ حقاً مثل ما للأب، بل أزيد لأن الشيخ سبب الحياة الدنيوية والأخروية والأب إنما هو سبب الحياة الدنيوية فقط، والعلم حياة والجهل موت، وقد قيل في تفسير الآية يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي إن المراد يتخرج العالم من الجاهل والجاهل من العالم."^٢

احتج المؤلف قول علي رضي الله عنه في تحليل آداب المتعلم والمعلم. إلى قوله: "أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، ولا يلقي إليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخط عليه عقله كما قيل : كَلِّمُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ. وأشار علي عليه السلام إلى صدره و إن ههنا لعلوماً جمّة لو وجدت لها حملة." ^٣ هذه بعض من الأمثال للشواهد من الحكم والأمثال في أبجد العلوم.

^١ القنوجي، النواب سيد صديق حسن خان، أبجد العلوم ج ١، ص ١٠٦

^٢ المصدر نفسه، ص ١٥٠

^٣ المصدر نفسه، ص ١٢٩

خاتمة البحث

بفضل الله وتوفيقه انتهى هذا البحث إلى نهاية المسار، وقد عنون الباحث موضوع دراسته 'الملاح الأديبية في 'أبجد العلوم' لنواب صديق حسن خان القنوجي: دراسة تحليلية'.

موسوعة صديق حسن خان القنوجي تشهد على مكانة اللغة العربية كوعاء حي للعلوم والفنون، حيث جمعت بين الدقة العلمية والأناقة الأدبية، وتعد هذه الموسوعة واحدة من أبرز نماذج التفاعل بين الحضارتين العربية والهندية، ليست مجرد موسوعة تقليدية، بل هي مرآة لفكر القنوجي الأدبي والعلمي، ودليل على تفاني العلماء الهنود في خدمة العلوم الإسلامية والعربية والأديبية، من ناحية أخرى، تسلط هذه الدراسة الضوء على أهمية الأسلوب الذي اتبعه القنوجي في تأليف موسوعته.

إنّ الملاح الأديبية التي ظهرت في أبجد العلوم تمثل إبداعاً لغوياً من حيث الاستخدام الممتاز للألفاظ والتراكيب البلاغية، حيث حرص المؤلف على اختيار الكلمات بعناية شديدة، مما أعطى الموسوعة طابعاً أدبياً مميزاً. فقد كان يتمتع بقدرة فذة على المزج بين العلم والأدب، فكانت كل كلمة وكل جملة في عمله تأخذ طابعاً أدبياً من خلال صياغتها التي تتسم بالبلاغة والعمق الفكري. وقد تبين من خلال التحليل الأدبي للموسوعة أن القنوجي كان يسعى من خلال أسلوبه الأدبي إلى إيصال الأفكار والمعارف بأسلوب ممتع وجذاب، بعيداً عن الجفاف العلمي التقليدي.

تناول البحث الملاح الأديبية في موسوعة أبجد العلوم لصديق حسن خان القنوجي، يحتوي أربعة أبواب، وستة عشر فصول. وجرت الدراسة حول موسوعته وأهميتها، وموسوعة أبجد العلوم وسماته البارزة ومنهجية القنوجي في تأليف الموسوعة، وتفنيد الشبهات المثارة حول مؤلفاته،

وبيان الحقائق المتعلقة بها، المحسنات البلاغية في أجد العلوم مثل: الاقتباس والطباق والسجع والتشبيه والاستعارة. والنصوص الأدبية المتضمنة في أجد العلوم من الشعر والحكم والأمثال وجمالية الاستشهاد. ومن خلال هذه الدراسة خرج البحث بالنتائج التالية:

عرض لأهم نتائج البحث

الأولى: يدل هذا البحث على تميز موسوعة أجد العلوم لصديق حسن خان القنوجي بخصائص أدبية عديدة، بجمع بين الطابع العلمي والجمالي، مما يجعله نموذجاً فريداً يعكس الموروث الثقافي واللغوي في عصره، ويؤدي إلى تأثر مزدوج علمي وأدبي.

الثانية: يؤكد هذا البحث على أنّ المؤلف نجح في أعماله بدمج النصوص الأدبية مثل: الشعر والحكم والأمثال والمحسنات البلاغية.

الثالثة: يبين البحث أنّ المؤلف قام باستخدام الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي والسجع والطباق والتشبيه والاستعارة لتوضيح المفاهيم العلمية مع تعزيز الطابع الجمالي للنصوص.

الرابعة: يشير هذا البحث إلى أنّ القنوجي قام بإثراء الموسوعة بالاستشهاد بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأمثال العربية القديمة.

الخامسة: يدل البحث على أنّ الموسوعة أصبحت فريدة بتناولها العلوم الإسلامية بأسلوب أدبي بارز. تمثل نموذجاً متميّزاً لتكامل بين العلم والأدب في التراث العربي الإسلامي.

السادسة: يؤكد هذا البحث بأن شخصية القنوجي غنية بمواهب عديدة، ومهارات متنوعة في التأليف والخطابة والسيادة والتنظيم.

السابعة: يشير هذا البحث إلى أن موسوعة أبجد العلوم تمتاز بالملاح الأدبية التي فاقت بها سائر الموسوعيين.

الثامنة: يبين البحث أن الموسوعة فازت بجمع بين منظور أدبي وعلمي معا. وذلك بتكامل العناصر الأدبية والعلمية في النصوص.

التاسعة: يؤكد البحث بأن الموسوعة تمتاز بترتيب منهجي من خلال تقسيم النصوص إلى فصول وأبواب مترابطة، مما يعكس التزام المؤلف بالوضوح والترتيب في عرض المعلومات.

العاشر: يظهر البحث أن الموسوعة تمتاز بأساليب اللغة العربية الكلاسيكية، واختيار الألفاظ المناسبة التي تجمع بين البساطة والعمق، مما يجعل النصوص واضحة ومفهومة.

الحادي عشر: يؤكد الباحث أن القنوجي جمع بين النزعة الموسوعية والروح الأدبية دون أن يطغى أحدهما على الأخرى.

الاقتراحات والتوصيات:

يقدم الباحث بعض الاقتراحات والتوصيات للباحثين القادمين.

الأولى: لم يتناول الباحث لبحثه سوى النصوص الأدبية من الأشعار والحكم والأمثال. ومن المطلوب الدراسة الشاملة بخصوص النصوص الأدبية الأخرى.

الثانية: مقارنة موسوعة 'أبجد العلوم' بالموسوعات الأخرى، لاستكشاف مدى تأثير الأسلوب الأدبي في الأعمال العلمية.

الثالثة: تناول الباحث المحسنات البلاغية، مثل: الاقتباس والطباق والسجع والتشبيه

والاستعارة فقط، الدراسة استخدام المحسنات البلاغية الأخرى في موسوعة أبجد العلوم.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأحاديث النبوية

- (١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط ٥ دار القلم، بيروت-لبنان ١٩٨٤ م
- (٢) أبو الحسن علي الحسيني الندوي، المسلمون في الهند، دار ابن كثير دمشق-بيروت الطبعة الأولى الخاصة بدار ابن كثير ١٤٢٠-١٩٩٩ م
- (٣) أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزوني، شرح المعلقات السبع، الناشر: دار الكتب الإسلامية، لاهور، باكستان، لم يعثر سنة طباعته.
- (٤) أحمد حسن زيات، تاريخ الأدب العربي، ط ١، دار الغد الجديد، ٢٠١٩ م
- (٥) أخت جمال محمد لقمان، السيد صديق حسن خان القنوجي آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف، سنة الطباعة ١٤٠٨ هـ
- (٦) الإمام أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي، نقد أوهام صديق حسن خان المسقي إبراز الغي الواقع في شفاء العي، دار الفتح عمان -الأردن، لم يعثر سنة طباعته.
- (٧) أمين عبد الله محمد اليزيدي، الخصائص الفنية في الحكم والأمثال العربية دراسة تحليلية تطبيقية على كتاب مجمع الأمثال للميداني، جامعة النيلين جامعة الدراسات العليا كلية الآداب قسم اللغة العربية، ٢٠٠٥ م

- (٨) أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني، الناشر دارالتوفيقية لتراث - القاهرة، رقم الإيداع: ٩١٩٧/٢٠١١
- (٩) جمال الدين محمد بن هشام الأنصاري، شرح قصيدة بانث سعاد، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م
- (١٠) د. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار النفائس، الطبعة الثانية عشر، ٢٠٠٩ م
- (١١) د/ سعيد الأعظمي الندوي، اللغة العربية في الهند، الطبعة الأولى ٢٠١٤ م
- (١٢) الدكتور سعد الله المحمدي، شعر العربية للأمير صديق حسن خان، آفاق الثقافة والتراث مجلة فصلية ثقافية تراثية، قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، العدد التسعون - ١٤٣٦ هـ
- (١٣) الدكتور محمد اجتباء الندوي، الأمير سيّد صديق حسن خان حياته وآثاره، الطبعة الأولى، دار ابن كثير دمشق - بيروت، ١٩٩٩ م
- (١٤) الدكتور/أحمد إدريس، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م
- (١٥) الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٠٠ سؤال عن اللغة العربية، الطبعة الأولى - ٢٠١٥ م،
- (١٦) زروقي جمعة، الاستشهاد في كتاب المقتضب للمبرد دراسة لغوية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، السنة الدراسية ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ م

(١٧) سالمه صالح محمد العمامي، جامعة طبرق، بوابة البحث، الإستدلال والإستشهاد با
لشعر ودوره في التقعد عند ابن جني: الخصائص أنموذجا، دراسة إحصائية تحليلية،
٢٠٢٢ م

(١٨) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسيرالكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،
المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة-الكويت، ٢٠٠٩ م

(١٩) الشيخ غلام علي آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي، سبحة المرجان في آثار هند ستان،
دار الدولفين بن، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٥ م

(٢٠) عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الاقتباس أنواعه وأحكامه، مكتبة دار المنهاج -
الرياض ١٤٢٥ هـ

(٢١) عبيد الرحمن، مساهمة النواب سيّد صديق حسن خان في الأدب العربي: دراسة
تحليلية، مركز الدراسات العربية والإفريقية مدرسة دراسة الأدب و الثقافة عام
٢٠٠٣ م

(٢٢) عدنان بن ناصر الملحم، الشواهد القرآنية في شرح ابن بابشاذ لمقدمته المحسبة دراسة
نحوية جامعة الملك فيصل -كلية التربية قسم اللغة العربية، ١٤٢٧ هـ

(٢٣) العلامة الأمير محمد صديق حسن خان القنوجي، سلسلة المسجد في ذكر مشائخ
السند، الشاه جهاني بهوبال ١٢٩٣ هـ

(٢٤) العلامة السيد محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، التاج المكلل من جواهر
مآثر الطراز الآخر والأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون
الإسلامية، دولة قطر، الطبعة الثانية ٢٠٠٧ م

- (٢٥) العلامة عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر في بهجة المسامع والنواظر دائرة المعارف،
حيدرآباد سنة ١٣٩٠ هـ
- (٢٦) القاضي حسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار ابن كثير، دمشق-بيروت،
الطبعة الأولى ١٩٨٩
- (٢٧) كونيل أدورد فنديق، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أشهر التأليف، طبع في مطبعة
الهلال، مصر سنة ١٣٢٢ هـ
- (٢٨) محمد عبد الرؤوف المناوي، الكلمة العنبرية في مدح خير البرية صلعم التوفيق علي
مهمات التعاريف، تحقيق د. رضوان محمد الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر دمشق،
الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ
- (٢٩) محمد منصور عالم، إسهامات النواب صديق حسن خان في إثراء علم اللغة في الهند،
الطبعة الأولى، روز ورد بوكس، نيودلهي، الهند، أبريل ٢٠١٦ م
- (٣٠) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، المكتبة العصرية صيدا-بيروت ٢٠٠٤ م
- (٣١) النواب سيد صديق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم، ج ٢ السحاب المركوم،
منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي-دمشق-١٩٧٨ م
- (٣٢) النواب سيد صديق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم، ج ٣ الرحيق المختوم، دار
الكتب العلمية، بيروت-لبنان، -١٩٧٨ م
- (٣٣) النواب سيد صديق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم ج ١ الوشي المرقوم، منشورات
وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق - ١٩٧٨

(٣٤) النواب سيد صديق حسن خان، الدين الخالص، المطبع الأحمدى، مصر، سنة

١٣٧٩هـ

المراجع

(١) الأستاذ سليم فارس، قرة الأعيان ومسيرة الأذهان في مآثر الملك الجليل النواب محمد

صديق حسن خان، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٢٩٨ هـ

(٢) الإمام النووي، شرح رياض الصالحين، شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ج٤،

المكتبة العصرية، صيدا-بيروت-لبنان، ٢٠١١ م.

(٣) الأمير صديق حسن خان، سلسلة العسجد في ذكر مشائخ السند الشاه جهاني بهوبال

١٢٩٣ هـ

(٤) الأميرة شاه جهان بيكم، تاج الإقبال في تاريخ بهوبال، المطبع شاه جهاني بهوبال، ١٣٠٧ م

(٥) الشيخ سيد سليمان الندوي، العلاقات العربية الهندية، مطبع معارف أعظم جراه،

(الهند) عام ١٩٩٤ م

باللغة الأردنية

(١) أبو يحيى إمام خان نوشهروي، تراجم علماء حديث هند، مطبع أردو أرت بريس، لاهور،

الطبعة الثانية، أكتوبر ١٩٩٢ م

(٢) الأمير صديق حسن خان: إبقاء المنن بإلقاء المحن، المطبع الشاه جهاني، بهوبال ١٣٠٥ هـ

(٣) الأمير صديق حسن خان، الروض الخضيب، مطبع مفيد عام آكره، ١٢٩٨ هـ

(٤) الأمير علي حسن خان: مآثر صديقي، طبعة نولكشور لكهنؤ ٤١-١٩٤٢ م

(٥) الأميرة سلطان جهان: تزك سلطاني، المطبع السلطاني بهوبال، ١٣٢٨ هـ

الموسوعات والمعاجم:

(١) أ.د. أحمد شوقي إبراهيم، موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي، ج ١، ط ٤،

المنطقة الصناعية الرابعة، ٢٠٠٦ م

(٢) ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ٢٠٠٥

(٣) محمد سعيد مرسي قاسم عبد الله، موسوعة المسابقات الثقافية ٥٠٠٠ سؤال وجواب،

ط ١، مؤسسة اقرأ، ٢٠٠٤ م

(٤) المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت ط ٢٧، ١٩٨٤

الرسائل والأطروحات الجامعية:

(١) أميرة عمر المغربي، انتشار الإسلام وأثره الحضاري في الهند، جامعة بنغازي، العام

الجامعي ٢٠١٣-٢٠١٤ م

(٢) سهاد حمدان أحمد السامرائي، البلغة إل أصول اللغة لمحمد صديق حسن خان بهادر

القنوجي البخاري الهندي، مجلس كلية الترب للبنات في جامعة تكريت، نيسان ٢٠٠٤ م

(٣) سيد عبد الماجد الغوري، الأمير صديق حسن خان البخاري القنوجي وإسهامه في

الحديث النبوي، الحديث مجلة علمية محكمة نصف سنوية، ٢٠١٩ م

(٤) سيوطي عبد المناص وعبد الله جميل محمد، المحدث الأمير صديق حسن خان القنوجي

وإسهامه في شرح الحديث عون الباري لحل أدلة البخاري "نموجا"، مجلة الإسلام آسيا،

المجلد ١٢، العدد ١، يونيو ٢٠١٥ م

- (٥) طارق محمود شفيق، الشيخ صديق حسن خان القنوجي وإسهامه في الأدب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور-باكستان. العدد الثاني والعشرون، ٢٠١٥ م
- (٦) عبد الله خالد عبد طالب كاظم الخالدي، الدلالة النحوية في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي، أطروحة مقدمة مجلس كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء، ٢٠٢٤ م

الدوريات والمجلات :

- (١) مجلة المعارف، عدد حزيران، ١٩٧٥ م
- (٢) صوت الجامعة، الجامعة السلفية بنارس، بنارس، الهند، من ذي القعدة ١٣٩٠ هـ ١٩٧١ م

مواقع الإنترنت :

- (١) أ.كاشف جمال، في تاريخ أعلام الهند، «أبجد العلوم» لنواب صديق حسن خان القنوجي، باحث هندي في مركز الدراسات العربية والإفريقية في جامعة جواهر لال نهرو-نيو دلهي :

— الهند <https://diea.net/43742/>

- (٢) رخسار أحمد، دراسة في كتاب "أبجد العلوم" لصديق حسن خان القنوجي، أقلام الهند: مجلة إلكترونية فصلية، محكمة، العدد الرابع، ٢٠١٩ <https://www.aqlamalhind.com>
- (٣) سيد علوي الوافي، مجلة ملبار، إطلاع إلى تاريخ ولاية كيرالا وقدم المسلمين إليها ٢٠/٤/

٢٠١٧ م www.nidaulhind.com

٤) صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي، برنامج منتخب الأبواب والفصول، ١، ٢ أبجد

العلوم، الكتاب الرابع، السنة الرابعة ١٤٣٢ هـ

<https://www.youtube.com/watch?v=dl2cncKo54g&t=1817>

٥) هذه اللغات في العالم تكتب بالأبجدية العربية ٢٠١٧ نوفمبر ١٧

<https://www.almanar.com.lb/2970031#:~:>

المراجع الأجنبية المترجمة :

١) سليمة الغاوي، أهمية المواقع الإلكترونية، اطلع عليها بالتاريخ ١٢ / ٠٣ / ٢٠٢٥ م،

<https://mawdoo3.Com>

٢) غوستاف لوبون، حضارات الهند، ترجمة لعادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم

والثقافة، ٢٠١٢ م

باللغة الإنجليزية:

- 1- Farid Uddin Ahmed, Contribution of Nawab Hasan Khan to Arabic Language and Linguistics: A Study, Dept. of Bangali, 2014
- 2- Merriam-Webster's Encyclopedia of Literature, 1995
- 3- SAEEDULLAH, Life & Works of Nawab SIDDIQU HASAN KHAN of Bhopal, Ashraf press, Lahore, first Edition, December 1973
- 4- The New Encyclopaedia Britannica, William Benton, MACROPAEDIA, Volume 1, 15TH EDITION

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled 'Literary Aspects In "Abjad Al-Ulum" Of Nawab Siddiqu Hasan Khan Al-Khannuji: An Analytical Study' submitted for the award of the Degree of Philosophy in Arabic Language and Literature is a bonafide study and research work done by SULFIKER.M under my guidance and supervision. No part of this thesis hitherto been submitted for award of any Degree/Diploma in any University.

Prof. (Dr.) ABDU P (Rtd.)
Head, Dept. Of Arabic
Govt. Sanskrit College
Pattambi - 679306
Kerala India

Dr. ABDU. P. Professor (Rtd.),
Sree Neelakanta Govt. Sanskrit
College, Pattambi &
Research Guide, PG &
Research Department of Arabic,
MES Mampad College

Place: MES Mampad College
Date :05-01-2026

DECLARATION

I hereby declare that this thesis entitled 'Literary Aspects In "Abjad Al-Ulum Of Nawab Siddiqu Hasan Khan Al-Khannuji: An Analytical Study' has been written by me under the supervision of Dr. ABDU. P, Professor of Arabic (Rtd.), Sree Neelakanta Govt. Sanskrit College, Pattambi & Research Guide, PG & Research Department of Arabic, MES Mampad College, in fulfilment of the requirements for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature.

I also declare that this thesis is the result of my own effort and no part of this thesis has hitherto been submitted for the award of any Degree/Diploma in any University.

Prof. (Dr.) ABDU P (Retd.)
Head, Dept. Of Arabic
Govt. Sanskrit College
Pattambi - 679306
Kerala, India
22/06/26

Place: MES Mampad College
Date: 05-01-2026

SULFIKER.M



**LITERARY ASPECTS IN “ABJAD AL-ULUM” OF
NAWAB SIDDIQU HASAN KHAN AL-KHANNUJI: AN
ANALYTICAL STUDY**

(Revised Copy)

*Thesis submitted to the University of Calicut
In partial fulfilment for the requirements for the award of the*
**DEGREE OF DOCTOR OF PHILOSOPHY IN ARABIC
LANGUAGE & LITERATURE**

Submitted by
SULFIKER M.

Under the supervision of
Dr. ABDU.P
Professor (Rtd.), Department of Arabic
Sree Neelakanta Govt. Sanskrit College, Pattambi.
Research Guide, PG & Research Department of Arabic
MES Mampad College (Autonomous) Mampad



**UNIVERSITY OF CALICUT
KERALA, INDIA**

2026